شرح العقيدة الاصفهانية

تأليف الشيخ الامام العالم الرباني امام الأئمة ومفتي الامة وبحر العلوم سيد الحفاظ * وفارس المعاني والالفاظ * وفريد العصر وقريع الدهر (شيخ الاسلام) بركة الانام علامة الزمان * وترجمان القرآن * علم الزهاد وأوحد العباد * قامع المبتدعين * وآخر المجتهدين * تقي الدين أبي العباس أحمد بن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني رحمهم الله تعالى آمين

﴿ وقد مدح هذا الشرح في الرد الوافر بما لامزيد عليه وجعله مما ﴾
﴿ فضل به شيخ الاسلام على سائر الأئمة الاعلام ﴾

طبع على نسختين عظيمتين الاولي بخط أستاذنا العلامة فخر العراق (السيد محمود شكري الآلوسي) * والثانية بتصحيح العلامة المفضال الشيخ محمد جمال الدين القاسمي حفظهما الباري

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سئل شيخ الاسلام ﴾ أبو العباس تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه وهو مقيم بالديار المصرية في شهور سنة اثنى عشر وسبعمائة أن يشرح العقيدة التي الفها الشيخ شمس الدين محمد بن الاصفهاني[1] الامام المتكلم المشهور الذي قيل إنه لم يدخل الى الديار المصرية أحد من رؤس علماء الكلام مثله وأن يبين مافيها *

﴿ فاجاب ﴾ الى ذلك واعتذر بانه لابد عند شرح ذلك الكلام من مخالفة بعض مقاصده لما توجبه قواعد الاسلام فان الحق أحق أن يتبع والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين والله تعالى يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا)

وليعلم أن الشرح المطلوب الآتي ذكره اشتمل ولله الحمد مع اختصاره على غرر قواعد أصول الدين التي لم ينهض بتحقيق الحق فيها الا الجهابذة النقاد من سادات الاولين والآخرين كما ستشهد ذلك ويشهد به وقت التأمل أهل العدل والانصاف من المحققين المحققين والله سبحانه ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق وهو حسبنا ونعم الوكيل (وأول العقيدة المذكورة قوله)

---

(١) هو محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي الشهير بشمس الدين الاصفهاني مولده باصفهان سنة ٦١٦ ووفاته سنة ٦٨٨ ترجمه الذهبي والخضيري في طبقاته وصاحب فوات الوفيات وغيرهم * وأما شمس الدين الاصفهاني شارح مختصر الاصول فهو متأخر عن هذا فليحفظ (محمود شكري)

الحمد لله حق حمده * وصلواته على محمد رسوله وعبده * للعالم خالق واجب الوجود لذاته واحد عالم قادر حي مريد متكلم سميع بصير ﴿ والدليل على وجوده الممكنات ﴾ لاستحالة وجودها بنفسها واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استغناء المعلول بعلته عن كل ما سواه وافتقار الممكن الى علته ﴿ والدليل على وحدته ﴾ انه لا تركيب فيه بوجه والا لما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الى ما تركب منه * ويلزم من ذلك ان لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال ﴿ والدليل علي علمه ﴾ ايجاده الاشياء لاستحالة ايجاده الاشياء مع الجهل بها ﴿ والدليل على قدرته ﴾ ايجاده الاشياء * وهى إما بالذات وهو محال والا لكان العالم وكل واحد من مخلوقاته قديما وهو باطل فتعين أن يكون فاعلا بالاختيار وهو المطلوب * ﴿والدليل علي انه حي ﴾ علمه وقدرته لاستحالة قيام العلم والقدرة بغير الحى ﴿والدليل علي ارادته﴾ تخصيصه الاشياء بخصوصيات واستحالة التخصيص من غير مخصص ﴿ والدليل على كونه متكلما ﴾ انه آمر وناه لانه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ولا معنى لكونه متكلما الا ذلك * ﴿ والدليل على كونه سميعا بصيرا ﴾ السمعيات ﴿ والدليل على نبوة الأنبياء ﴾ المعجزات ﴿ والدليل على نبوة نبينا محمد ﴾ صلى الله تعالى عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه ﴿ ثم نقول ﴾ كل ما أخبر به محمد عليه السلام من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من أحوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه ممكن * وقد أخبر به الصادق فلزم صدقه والله الموفق ﴿متن﴾

فأجاب رضي الله تعالى عنه * الحمد لله رب العالمين * ما في هذا الكلام من الاخبار بأن للعالم خالقا وانه واجب الوجود بنفسه وانه واحد عالم قادر حيّ مريد متكلم سميع بصير فهو حق لاريب فيه * وكذلك ما فيه من الاقرار بنبوة الأنبياء عليهم السلام ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه يجب التصديق بكل ما أخبر به من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من أحوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فانه حق فان هذه الأسماء المقدسة المذكورة لله تعالى منها ماهو فى كتاب الله تعالى كاسمه الواحد والعالم والقادر والحيّ والسميع والبصير * قال تعالى (وإلهكم إله واحد) وقال تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) وقال تعالى (الله لا إله الا هو الحيّ القيوم * وعنت الوجوه للحيّ القيوم)

وقال تعالى (والله شكور حليم *عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) وقال تعالى (ان الله على كل شئ قدير) وقال تعالى (ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) ومثل هذا في القرآن كثير*

﴿ وأما تسميته ﴾ سبحانه بأنه مريد وانه متكلم فان هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الاسماء الحسني المعروفة ومعناهما حق ولكن الأسماء الحسني المعروفة هي التي يدعى الله بها وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها والعلم * والقدرة والرحمة ونحو ذلك هي في نفسها صفات مدح والأسماء الدالة عليها أسماء مدح

﴿ وأما الكلام والارادة ﴾ فلما كان جنسه ينقسم الى محمود كالصدق والعدل والى مذموم كالظلم والكذب والله تعالى لا يوصف الا بالمحمود دون المذموم جاء مايوصف به من الكلام والارادة في أسماء تخص المحمود كاسمه الحكيم والرحيم والصادق والمؤمن والشهيد والرؤف والحليم والفتاح ونحو ذلك مما يتضمن معنى الكلام ومعنى الارادة * فان الكلام نوعان انشاء واخبار والاخبار ينقسم الى صدق وكذب والله تعالى يوصف بالصدق دون الكذب * والانشاء نوعان انشاء تكوين وانشاء تشريع فانه سبحانه له الخلق والأمر وانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والتكوين يستلزم الارادة عند جماهير الخلائق وكذلك يستلزم الكلام عند أكثر أهل الاثبات * وأما التشريع فيستلزم الكلام * وفي استلزامه الارادة نزاع * والصواب انه يستلزم أحد نوعي الارادة كما سنبين ان شاء الله * والانشاء يتضمن الأمر والنهي والاباحة والله تعالى يوصف بأنه يأمر بالخير وينهى عن الشر فهو سبحانه لا يأمر بالفحشاء * وكذلك الارادة قد نزه نفسه عن بعض أنواعها بقوله تعالى (وما الله يريد ظلما للعباد) وقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فلهذا لم يجئ في أسمائه الحسنى المأثورة المتكلم والمريد

وأما مايوصف به الرب من الكلام والارادة فقد دلت عليه أسماؤه الحسنى * وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على ان الله تعالى متكلم بكلام قائم به وان كلامه غير مخلوق وانه مريد بارادة قائمة به وان ارادته ليست مخلوقة وأنكروا على الجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين قالوا ان كلام الله مخلوق خلقه في غيره وانه كلم موسى بكلام خلقه في الهواء * واتفق سلف الأمة وأئمتها على ان كلام الله منزل غير مخلوق * منه بدأ واليه يعود * ومعنى قولهم منه بدأ أي هو المتكلم به لم يخلقه في غيره كما قالت الجهمية من المعتزلة وغيرهم انه بدأ من بعض المخلوقات وانه سبحانه

لم يقم به كلام ولم يرد السلف أنه كلام فارق ذاته فان الكلام وغيره من الصفات لا تفارق الموصوف بل صفة المخلوق لا تفارقه وتنتقل الي غيره فكيف تكون صفة الخالق تفارقه وتنتقل الي غيره * ولهذا قال الامام أحمد كلام الله من الله ليس ببائن منه ورد بذلك علي الجهمية المعتزلة وغيرهم الذين يقولون كلام الله بائن منه خلقه في بعض الاجسام * ومعنى قول السلف اليه يعود ماجاء في الآثار ان القرآن يسرى به حتى لا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في القلوب منه آية * وقد قال الله تعالى عن المخلوق (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا) ومع هذا فكلمة المخلوق لا تفارق ذاته وتنتقل الى غيره * وماجاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين لهم باحسان وغيرهم من أئمة المسلمين كالحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وكتبه الى المتوكل في رسالته التى أرسل بها اليه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ماتقرب العباد الى الله بمثل ماخرج منه) يعنى القرآن وفى لفظ (باحب اليه مما خرج منه) وقول أبي بكر الصديق رضى الله عنه لما سمع كلام مسيلمة ان هذا كلام لم يخرج من إلّ . أي من رب وقول ابن عباس لما سمع قائلا يقول لميت لما وضع في لحده اللهم رب القرآن اغفر له فالتفت اليه ابن عباس فقال مه القرآن كلام الله ليس بمربوب منه خرج واليه يعود وهذا الكلام معروف عن ابن عباس وقول السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ واليه يعود كما استفاضت الآثار عنهم بذلك كما هو مذكور عنهم في الكتب المنقولة عنهم بالاسانيد المشهورة لايدل على ان الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره ولكن هذا دليل على ان الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع لا أنه خلقه في غيره كما فسره بذلك أحمد وغيره من الأئمة قال أبو بكر الاشتر سئل أحمد عن قوله القرآن كلام الله منه خرج واليه يعود فقال أحمد منه خرج هو المتكلم به واليه يعود ذكره الخلال فى كتاب السنة عن عبد الله بن أحمد * وما جاءت به الآثار مثل قول خباب بن الأرت (تقرب الى الله بما استطعت فانك لن تتقرب اليه بشيء أحب اليه مما خرج منه) وروى ذلك مرفوعا ونحو ذلك أولى أن لايدل على أن الكلام يفارق المتكلم وينتقل الى غيره ولكن هذا دليل على أن الله هو المتكلم بالقرآن ومنه سمع لا أنه خلقه في غيره * وقد بين السلف والائمة وأتباعهم فساد قول الجهمية وأتباعهم الذين يقولون كلامه مخلوق بوجوه كثيرة * مثل قولهم لو كان مخلوقا فى غيره لكان صفة لذلك المحل ولاشتق لذلك المحل منه اسم كما فى سائر الصفات مثل العلم والقدرة والسمع والبصر

والحياة وكما في الحركة والسكون والسواد والبياض وسائر الصفات التى تشترط لها الحياة فانها اذا قامت بمحل كانت صفة لذلك المحل دون غيره واشتق لذلك المحل منها اسم دون غيره * فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل دون غيره وسمى بالاسم المشتق منها ذلك المحل دون غيره ﴿ وطرد هذا عند ﴾ السلف وجمهور أهل الاثبات في اسماء الافعال كالخالق والعادل وغير ذلك *

وأما من لم يطرد ذلك بل زعم انه يوصف بصفات الافعال وهى عنده المفعولات المباينة له ويشتق له منها اسم فقوله متناقض ولهذا نقضت المعتزلة قول هؤلاء بما ساموه لهم وبسط هذا له موضع آخر *

والمقصود هنا التنبيه على الفرق بين المتكلم والمريد وغيرهما حيث جاءت النصوص باسم العليم والقدير والسميع والبصير ولم تأت باسم المريد والمتكلم بما يدل على مطلق الارادة والكلام وانما جاءت بما يدل على الكلام المحمود والارادة المحمودة لا باسم يشترك فيه المحمود والمذموم وأن الكلام والارادة مما يقوم بالرب تعالى ويوصف به ليس ذلك أمراً منفصلا عنه كما تزعم الجهمية والمعتزلة والتنبيه على أنه لو كان كلام الله مخلوقا فى محل لكان ذلك المحل هو المتكلم به وكانت الشجرة مثلا هى القائلة لموسى (انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني) ولوجب أن يكون ما أنطق الله به بعض مخلوقاته كلاما له وقد قال تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ) * وقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسلم عليه الحجر * وقال اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث اني لاعرفه الآن * وقد سبح الحصى بيديه حتى سمع تسبيحه * وأمثال ذلك كثير والله هو الذى أنطق هذه الاجسام * فلو كان ما يخلقه من النطق والكلام كلاما له لكان ذلك كلام الله كما ان القرآن كلام الله * وكان لا فرق بين أن ينطق هو وبين أن ينطق غيره من المخلوقات * وهذا ظاهر الفساد *

﴿ وكان قدماء الجهمية ﴾ تنكر أن يكون الله يتكلم فان حقيقة مذهبهم ان الله لا يتكلم * ولهذا قتل المسلمون أول من أظهر هذه البدعة في الاسلام الجعد بن درهم ضحى به خالد بن عبد الله القسرى فى يوم النحر * وقال ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحايا كم فانى مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا * ولم يكلم موسى تكليما * تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا * ثم نزل فذبحه * ثم انهم صاروا يقولون انه متكلم مجازا * ثم بعد ذلك أظهروا القول بانه متكلم

حقيقة وفسروا ذلك بأنه خالق للكلام في غيره * وكان هذا من التلبيس على الناس فان المتكلم عند الناس من قام به الكلام لا من أحدثه في غيره * كما أن المريد والرحيم والسميع والبصير والعالم والقادر من قامت به الارادة والرحمة والسمع والبصر والعلم والقدرة لا من أحدث ذلك في غيره وكذلك الارادة

﴿ومن الجهمية والمعتزلة وغيرهم﴾ من يقول انه لا ارادة له كما يقوله من يقوله من المعتزلة البغداديين ومنهم من يقول له إرادة أحدثها لا في محل كما يقوله البصريون منهم. والشيعة المتأخرون وافقوهم على ذلك ولهم قولان كالمعتزلة وهو من أفسد الاقوال من وجهين * من جهة اثباتهم صفة لا في محل * ومن جهة اثباتهم حادثا أحدثه لا بارادة *

﴿فهذا المصنف﴾ احترز عن مذهب هؤلاء وأحسن في ذلك ولكن هذا المصنف اختصر هذه العقيدة من كتب المتكلمين الصفاتية الذين يثبتون ما ذكره من الصفات بما نبه عليه من الطرق العقلية ويسمون ذلك العقليات

﴿وأما أمر المعاد﴾ فيجعلونه كله من باب السمعيات لانه ممكن في العقل والصادق قد أخبر به * وأما المعتزلة والفلاسفة والكرامية وغيرهم وكثير من أهل الحديث والفقه من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم وكثير من الصوفية وسلف الأمة وأئمتها فيجعلون المعاد أيضا من العقليات ويثبتونه بالعقل ويخوض أهل التأويل فيه كما خاضت الصفاتية في ذلك ولكن المصنف سلك في ذلك طريقة أبي عبد الله الرازى فأثبت العلم والقدرة والارادة والحياة بالعقل وأثبت السمع والبصر والكلام بالسمع ولم يثبت شيئا من الصفات الخبرية * وأما من قبل هؤلاء كأبي المعالي الجويني وأمثاله والقاضى أبي يعلي وأمثاله فيثبتون جميع هذه الصفات بالعقل كما كان يسلكه القاضي أبو بكر ومن قبله كأبي الحسن الأشعرى وأبي العباس القلانسى ومن قبلهم كأبي محمد ابن كلاب والحارث المحاسبي وغيرهما وهكذا السلف والأئمة كالامام أحمد بن حنبل وأمثاله يثبتون هذه الصفات بالعقل كما تثبت بالسمع وهذه الطريقة أعلى وأشرف من طريقة هؤلاء المتأخرين كما سنبين ان شاء الله تعالى * وأيضا فأئمة الصفاتية المتقدمون كابن كلاب والحارث المحاسبي والأشعرى وأبى العباس القلانسى وأبى عبد الله بن مجاهد وأبى الحسن الطبرى والقاضى أبى بكر بن الباقلانى وأبى اسحق الاسفرائيني وأبى بكر بن فورك وغيرهم يثبتون الصفات

الخبرية التي ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بها وكذلك سائر طوائف الاثبات كالسالمية والكرامية وغيرهم وهذا مذهب السلف والائمة *

ولا ريب ان ما أثبته هؤلاء الصفاتية من صفات الله تعالى ثابت بالشرع مع العقل وهو متفق عليه بين سلف الامة وأئمتها * وانما خصوا هذه الصفات بالذكر دون غيرها لانها هي التي دل العقل عليها عندهم كما نبه عليه المصنف * ولكن لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول فلا يلزم نفي ماسوى هذه من الصفات * والسمع قد اثبت صفات أخرى * وأيضا فان الرازي ونحوه ممن لم يثبت السمع طريقا الي اثبات الصفات * ولا نزاع بينهم انه طريق صحيح لكن يفرقون بين ما أثبتوه وبين ما توقفوا في ثبوته بأن العقل دل على ما أثبتناه ولم يدل على ما توقفنا فيه * ولهم فيما لم يثبتوه طريقان * منهم من نفاه ومنهم من توقف فيه فلم يحكم فيه باثبات ولا نفي * وهذه طريقة محققيهم كالرازي والآمدي وغيرهما بل ومن الناس من يثبت صفات أخرى بالعقل * فالذي اتفق عليه سلف الامة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل * ومن غير تكييف ولا تمثيل فانه قد علم بالشرع مع العقل ان الله تعالى ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله كما قال تعالى ليس كمثله شئ وقال تعالى (هل تعلم له سميا) وقال تعالى (فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) وقال تعالي (ولم يكن له كفوا احد) وقد علم بالعقل ان المثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر * ويجب له ما يجب له * ويمتنع عليه ما يمتنع عليه * فلو كان المخلوق مماثلا للخالق للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع * والخالق يجب وجوده وقدمه * والمخلوق يستحيل وجوب وجوده وقدمه * بل يجب حدوثه وامكانه فلو كانا متماثلين للزم اشتراكهما في ذلك فكان كل منهما يجب وجوده وقدمه ويمتنع وجوب وجوده وقدمه ويجب حدوثه وامكانه فيكون كل منهما واجب القدم * واجب الحدوث * واجب الوجود ليس واجب الوجود * يمتنع قدمه لا يمتنع قدمه * وهذا جمع بين النقيضين *

﴿ فاذا عرفت هذا ﴾ فنقول ان الله سمي نفسه في القرآن بالرحمن الرحيم * ووصف نفسه في القرآن بالرحمة والمحبة كما قال تعالى (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقال (ورحمتي وسعت كل شيء) وقال (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال (ان الله يحب المتقين) و(يحب

المحسنين * ويحب الصابرين * ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص * ونحو ذلك

﴿ ومن الناس ﴾ من جعل حبه ورحمته عبارة عما يخلقه من النعمة كما جعل بعضهم ارادته عبارة عن مايخلقه من المخلوقات * وهذا ظاهر البطلان لاسيما على أصل الصفاتية * ومنهم من جعل حبه ورحمته هى إرادته ونفى أن تكون له صفات هى الحب والرضا والرحمة والغضب غير الإرادة

﴿ فيقال لهذا القائل ﴾ لم أثبت له ارادة وانه مريد حقيقة ونفيت حقيقة الحب والرحمة ونحو ذلك فان قال لان اثبات هذا تشبيه لان الرحمة رقة تلحق المخلوق والرب ينزه عن مثل صفات المخلوقين * قيل له وكذلك يقول من ينازع فى الارادة ان الارادة المعروفة ميل الانسان الى ماينفعه وما يضره والله تعالى منزه عن أن يحتاج الى عباده وهم لا يبلغون ضره ولا نفعه بل هو الغنى عن خلقه كلهم

(فان قلت) الارادة التى تثبتها لله ليست مثل ارادة المخلوق كما انا قد اتفقنا وسائر المسلمين على انه حى عليم قدير * وليس هو مثل سائر الاحياء العلماء القادرين * (قال لك)أهل الاثبات وكذلك الرحمة والمحبة التي تثبتها لله * وليست مثل رحمة المخلوق ومحبة المخلوق* (فان قلت) لا أعقل من الرحمة والمحبة الا هذا * (قال لك النفاة) ونحن لا نعقل من الارادة الا هذا ومعلوم عند كل عاقل ان ارادتنا ومحبتنا ورحمتنا بالنسبة الينا كارادته ورحمته ومحبته بالنسبه اليه فلا يجوز التفريق بين المتماثلين فيثبت له احدى الصفتين وتنفى الأخرى * وليس في العقل ولا فى السمع مايوجب التفريق اذ اكثر مايقال اني أثبت الارادة بالعقل لان وجود التخصيص فى المخلوقات دلّ علي الارادات * فيقال لك انتفاء الدليل المعين لا يقتضى انتفاء المدلول فهب ان مثل هذا الدليل لا يثبت فى الرحمة والمحبة فمن أين نفيت ذلك * ثم يقال بل السمع أثبت ذلك أيضا وقد يسلك فى اثبات ذلك نظير الطريق العقلي الذي أثبت به الارادة * فيقال مافى المخلوقات من وجود المنافع للمحتاجين وكشف الضر عن المضرورين والاحسان الى المخلوقات وأنواع الرزق والهدى والمسرات هو دليل على رحمة الخالق سبحانه والقرآن يثبت دلائل الربوبية بهذا الطريق تارة يدلهم بالآيات المخلوقة على وجود الخالق ويثبت علمه وقدرته ومشيئته *

وتارة يدلهم بالنعم والآلاء على وجود بره واحسانه المستلزم رحمته وهذا كثير في القرآن وان لم يكن مثل الأول أوأكثرمنه ولم يكن أقل منه بكثير كقوله تعالى (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وقوله (أو لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) وقوله فى سورة الرحمن بعد أن ذكر كل نوع من هذه الانواع (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وبالجملة ما ذكره في القرآن من الامثال والآيات تارة يقرر بها نفس مشيئته وقدرته وخلقه وتارة يقرر بها احسانه وانعامه ورحمته * وهذه الطريقة مستلزمة للأولى من غير عكس * فانه يلزم من وجود الاحسان والرحمة وجود القدرة والمشيئة من غير عكس * وقس على هذا غيره من الصفات * وأمره هو أيضا مما يعلم بالسمع وبالعقل أيضا كما تعلم ارادته وكما تعلم محبته وهذه المسائل مبسوطة فى مواضع * وانما ذكرنا فى هذا الشرح مايناسب حال هذه العقيدة المختصرة المشروحة وقد بسطنا في غير هذا الموضع الكلام فى محبة الله وذكرنا ان للناس فى هذا الأصل العظيم ثلاثة أقوال * أحدها ان الله تعالى يحب ويحب كما قال تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) فهو المستحق أن يكون له كمال المحبة دون ماسواه وهو سبحانه يحب ما أمر به ويحب عباده المؤمنين. وهذا قول سلف الأمة وأئمتها. وهذا قول أئمة شيوخ المعرفة * والقول الثانى أنه يستحق أن يحب لكنه لا يحب الا بمعنى انه يريد وهذا قول كثير من المتكلمين ومن وافقهم من الصوفية * والثالث انه لا يحب ولا يحب وانما محبة العباد له ارادتهم طاعته وهذا قول الجهمية ومن وافقهم من متأخرى أهل الكلام والرازى ومما يوضح ذلك ان وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فانه مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام ان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وان لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته) ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الاخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أو لم يخبر به فان ما أخبر به اذا لم يعلمه بعقله

لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه ومالم يخبر به ان علمه بعقله آمن به والا فلا فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول واخباره وبين عدم الرسول وعدم اخباره وكان مايذكره من القرآن والحديث والاجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق *

(ثم الطريق النبوية) فمنهم من يحيل على القياس ومنهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقتين فيها من الاضطراب والاختلاف مالا ينضبط وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية تحصل الايمان النافع في الآخرة بدون ذلك * ثم ان حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا مع ان القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التى بها يستدل على مثل مافى القرآن كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) فأخبر انه يري عباده من الآيات المشهودة التى هى أدلة عقلية ما يتبين ان القرآن حق * وليس لقائل أن يقول انما خصصت هذه الصفات بالذكر لأن السمع موقوف عليها دون غيرها فان الأمر ليس كذلك لأن التصديق بالسمعيات ليس موقوفا على اثبات السمع والبصر ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾

فان قيل انما نفينا الرحمة والمحبة والرضا والغضب ونحو ذلك من الصفات لانه لا يعقل لها حقيقة تليق بالخالق الا الارادة فالمحبة والرضا ارادة الاحسان والغضب ارادة العقاب منه فالفرق بينهما بحسب تعلقاتها لان هذه فى نفسها ليست هذه * قيل هذا باطل فان نصوص الكتاب والسنة والاجماع مع الادلة العقلية تبين الفرق فان الله سبحانه يقول (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضي لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) وقال تعالى (اذ يبيتون مالا يرضي من القول) فبين أنه لا يرضى هذه المحرمات مع أن كل شيء كائن بسببه وقال تعالى (والله لا يحب الفساد) وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام وباجماع سلف الامة قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم ان الله يحب الايمان والعمل الصالح ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان وانه يرضى هذا ولا يرضي هذا والجميع بمشيئته وقدرته والذين لم يفرقوا لهم تأويلات * تارة يقولون لا يرضاه لعباده المؤمنين فهم يقولون لا يحب الايمان والعمل الصالح ممن لم يفعله كما لم يرده ممن لم يفعله ويقولون انه يحب الكفر والفسوق والعصيان ممن فعله كما أراده ممن فعله * وفساد هذا القول

مما يعلم بالاضطرار من دين الاسلام مع دلالة الكتاب والسنة واجماع السلف على فساده. وتأويلهم الثاني قالوا لا يرضاه دينا كما يقولون لا يريده دينا ومعناه عندهم أنه لا يريد أن يثيب فاعله اذ جميع الموجودات والافعال عندهم بالنسبة اليه سواء لا يحب منها شيئا دون شيء ولا يبغض منها شيئا دون شيء. وقد بسط الكلام على فساد هذا القول وتناقضه في مواضع أخر. وانما المقصود هنا التنبيه على ان ما يجب اثباته لله تعالى من الصفات ليس مقصورا على ماذكره هؤلاء مع اثباتهم بعض صفاته بالعقل وبعضها بالسمع فان من عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم الى تلك الاقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم فانهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده حيث عذره الله ورسوله واهل البدع يبتدعون بدعة باطلة ويكفرون من خالفهم فيها

﴿ فصل ﴾ ومن شأن المصنفين في العقائد المختصرة على مذهب أهل السنة والجماعة أن يذكروا ما تميز به أهل السنة والجماعة عن الكفار والمبتدعين * فيذكرون اثبات الصفات وان القرآن كلام الله غير مخلوق وانه تعالى يرى في الآخرة خلافا للجهمية من المعتزلة وغيرهم * ويذكرون ان الله خالق أفعال العباد وانه مريد لجميع الكائنات وانه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن خلافا للقدرية من المعتزلة وغيرهم * ويذكرون مسائل الاسماء والاحكام والوعد والوعيد وان المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب ولا يخلد في النار خلافا للخوارج والمعتزلة ويحققون القول في الايمان * ويثبتون الوعيد لأهل الكبائر مجملا خلافا للمرجئة * ويذكرون امامة الخلفاء الأربعة وفضائلهم خلافا للشيعة من الرافضة وغيرهم * وأما الايمان بما اتفق عليه المسلمون من توحيد الله تعالى والايمان برسله والايمان باليوم الآخر فهذا لا بد منه * وأما دلائل هذه المسائل ففي الكتب المبسوطة الكبار * وهذا المصنف لم يسلك هذا الطريق بل أشار اشارة مختصرة الى دليل ماذكره من الاحكام ولم يستوف الاحكام التي تذكر في المعتقدات وعذره في ذلك أن يقول ذكرت جمل الاقرار بالربوبية والرسالة والمعاد فذكرت صفات الله الثبوتية وذكرت الرسالة وما جاءت به النبوات من الايمان بالمعاد وقولي انه متكلم يناقض قول من قال القرآن مخلوق فان حقيقة قول أولئك أنه ليس بمتكلم واثبات الارادة عامة يتناول جميع

الكائنات واثبات القدرة المطلقة تتضمن انه خالق كل شئ بقدرته وبهذين يخرج قول المعتزلة في الكلام والقدر والمعترض عليه يقول اقتصرت على بعض الصفات دون بعض فان كنت اقتصرت على مايعلم بالعقل عندك فقد ذكرت السمع والبصر والكلام وأثبت ذلك بالسمع وان كنت ذكرت مايتوقف تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم عليه فهو لا يتوقف عندك على إثبات السمع والبصر والكلام لأنك أثبت ذلك بالسمع وحقيقة الأمر انك أثبت هذه الصفات السبع لأنها هي المشهورة عند المتأخرين من الكلابية كأبي المعالي وأمثاله بأنها العقليات ولكن لم يثبتها جميعها بالعقل بل أثبت بعضها بالسمع موافقة للرازى فلهذا لم تطرد له في ذلك طريق واحد وهوقد نبه على الأدلة تنبيها يعلم به جنس مايثبت به من الأدلة والا فما ذكره من الأدلة لايكفي في العلم بهذه الأحكام فان الدليل ان لم تقرر مقدماته ويجاب عما يعارضها لم يتم فكيف اذا لم تقرر مقدماته بل ولا تثبت * ونحن نزيد على ماذكره وعلى وجه تقريره *

(فأما قوله) فالدليل على وجوده الممكنات لاستحالة وجودها بنفسها واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استغناء المعلول بعلته عن كل ماسواه وافتقار الممكن الى علته *

(فهذا الدليل مبنى على مقدمتين) (احداهما) أن الممكنات موجودة (والثانية) أن الممكن لا يوجد الا بواجب الوجود والمقدمة الاولى لم يقررها بحال ولايمكن أن يسلك في ذلك طريقة ابن سينا وأمثاله من المتفلسفة الذين قالوا نفس الوجود يشهد بوجود واجب الوجود * فان الوجود إما ممكن وإما واجب والممكن مستلزم للواجب فثبت وجود الواجب على هذا التقرير * فان هذه الطريقة وان كانت صحيحة بلا ريب لكن نتيجتها اثبات وجود واجب * وهذا لم ينازع فيه أحد من العقلاء المعتبرين ولا هو من المطالب العالية ولا فيه اثبات الخالق ولا اثبات وجود واجب أبدع السموات والارض كما يسلمه الالهيون من الفلاسفة كارسطو وأتباعه المشائين وانما فيه ان الوجود وجود واجب * وهذا يسلمه منكروا الصانع كفرعون والدهرية المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم ويقولون ان هذا الوجود واجب الوجود بنفسه * والى هذا يؤل قول أهل الوحدة القائلين بأن الوجود واحد * فانهم يقولون في آخر الأمر ماثم موجود مباين للسموات والارض * وماثم غير وجود الموجود الممكن (ومصنف العقيدة) أثبت الصانع بهذا الطريق * فانه لما أثبت انه صنع الممكنات أثبت علمه وقدرته * فلابد أن يثبت أولا وجود

شيء ممكن ليس بواجب ليبنى عليه ثبوت وجود واجب مبدع لوجود ممكن ليتم ماسلكه وأما مجرد اثبات وجود واجب فلا يفيد هذا المطلوب * فليفهم اللبيب هذا * ولا ريب انه اختصر هذه العقيدة من كتب أبي عبد الله بن الخطيب وقد تكلمنا على ماذكره أبو عبد الله الرازي مبسوطا فى مواضعه ونحن نقدر وجود الممكنات ليتم ماذكره المصنف من الدليل ويتبين أن هذا الطريق أصح فى العقل وأبين مما يذكر فى كتب الاصول والأمهات التى اختصرت منها هذه العقيدة لكونها موافقة لطريقة القرآن فان الفاضل اذا تأمل غاية مايذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود الى بعض ماذكر فى القرآن من الطرق العقلية * وفى طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق ماقد نبهنا على بعضه فى غير هذا الموضع*

﴿فنقول﴾ انه يمكن تقريرها بمانشاهد من حدوث الحوادث فانا نشاهد من حدوث الحوادث حدوث الحيوان والنبات والمعادن * وهذه الحوادث ليست ممتنعة فان الممتنع لايوجد * ولا واجبة الوجود بنفسها فان واجب الوجود بنفسه لايقبل العدم وهذه كانت معدومة ثم وجدت فعدمها ينفى وجوبها * ووجودها ينفى امتناعها وهذا دليل قاطع واضح بين على ثبوت الممكنات لكن من سلك هذه الطريق لم يحتج الى أن يثبت امكانها بحدوثها ثم يستدل بامكانها على الواجب بل نفس حدوثها دليل على اثبات المحدث لها فان العلم بان المحدث لابدله من محدث أبين من العلم بان الممكن لابد له من واجب فتكون تلك الطريق أبين وأقصر وهذه أخفى وأطول حيث يستدل بالحدوث على الامكان ثم بالامكان على الواجب * وان كان بعض الناس يستدل بالحوادث على المحدث فان الحوادث لاتختص بما هى عليه الا بمخصص فانه يجوز أن تقع على خلاف ما وقعت عليه فتخصيص أحد طرفى الممكن لابد له من مخصص فهذا الاستدلال وان كان صحيحا فليس بمسلك سديد فان العلم بان المحدث لابدله من محدث أبين من هذا المحتاج الى هاتين المقدمتين اللتين هما أخفى من ذلك ومن استدل على الجلي بالخفى فانه وان تكلم حقا فلم يسلك طريق الاستدلال فان كل مستلزم للشئ يصلح أن يكون دليلا عليه اذ يلزم من ثبوت الملزوم ثبوت اللازم والدليل * وهذا من شأن الدليل فانه يلزم من ثبوته ثبوت المدلول عليه ولهذا يجب طرد الدليل ولايجب عكسه لكن اذا كان اللازم والمدلول عليه أظهر من الملزوم الذي هو الدليل كان الاستدلال بالملزوم على اللازم خطأ فى البيان والدلالة وان سلك المصنف

في أثبات الممكنات تقرير امكان الاجسام كلها * فهذا دليل طويل وفيه مقدمات متنازع فيها نزاعا طويلا وكثير من الناس يقدح فيها بما لم يمكن دفعه فاثبات الصانع بمثل هـذه المقدمات لو كانت صحيحة كان الدليل باطلا

﴿ وأما المقدمة الثانية وهي ان الممكن لا بد له من واجب ﴾ فقـد نبه على هذه المقدمة بقوله ﴿لاستحالة وجودها بنفسها﴾ فان الممكن هو الذي يقبل الوجود والعدم كما نشاهده من المحدثات وما كان قابلا للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه كما ان المحدث لا يكون وجوده بنفسه كما قال تعالى ﴿ أم خلقوا من غير شي أم هم الخالقون ﴾ يقول سبحانه أحدثوا من غير محدث أم هم أحدثوا أنفسهم * ومعلوم ان الشيء لا يوجـد نفسه فالممكن الذى ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجودا بنفسه بل ان حصل ما يوجده والا كان معدوما وكل ما أمكن وجوده بدل عن عدمه وعدمه بدل عن وجوده فليس له من نفسه وجود ولا عدم وهذا بين * ومما يقرره ان ما يمكن عدمه بدلا عن وجوده لا يكون وجوده بنفسـه اذ لو كان وجوده بنفسه لـكان واجبا بنفسه ولو كان واجبا بنفسه لم يقبل العدم وهو قد قبل العدم فليس موجودا بنفسه* تقرر ذلك ان ما كان موجودا فاما ان يكون مفتقرا في وجوده الى غيره وإما ان لا يكون فان كان مفتقرا في وجوده الى غيره لم يكن وجوده بنفسه بل بذلك الغير الذي هو مفتقر اليه أو به وبذلك الغير فعلى التقـديرين لا يكون وجوده بنفسه وان لم يكن مفتقرا في وجوده الى غيره كان موجودا بنفسه فالموجود بنفسه لا يكون مفتقرا الى غيره * والمفتقر الي غيره لا يكون موجودا بنفسه * فالموجود بنفسه الذى لا يفتقر الى غـيره واجب بنفسه اذ نفسه كافيـة في وجود * فلا يتوقف وجوده على شي غير إنيته ان قدران إنيته شيء غير وجوده * وان قدران إنيته هي وجوده كما هو قول أهل السنة كان قول القائل موجودا بنفسه أى هويته ثابتة بهويته بحيث قدرت هويته لم يمكن عدمها فالموجود بنفسه لا يقبل العدم * وما قبل العدم فليس موجودا بنفسه فيفتقر الى غيره * فـكل ممكن مفتقر الى غيره * وهذه المقامات ثابتة في نفس الامر ويمكن تحريرها بوجوه من الطرق والعبارات والمعنى فيها واحـد * فتبين قول المصنف لاستحالة وجود الممكنات بانفسها * ﴿ وأما قوله واستحالة وجودها بممكن آخر ضرورة استغناء المعلول بعلتـه عن كل ماسواه * وافتقار المعلول الي علته ﴾ فمقصوده أن يبين ان الممكنات كما لا توجـد

بانفسها فلا توجد بممكن آخر فيلزم انه لابد له من واجب بنفسه * وذلك لانها لو وجدت بممكن استغنت به عما سواه لان ذلك الممكن ان لم يكن علة تامة لوجودها لم توجد به وان كان علة تامة لوجودها استغنت به عما سواه * فان العلة التامة تستلزم وجود المعلول * فلا يفتقر المعلول الى غيرها فلو وجدت الممكنات بممكن لزم أن يستغنى به عما سواه * وذلك الممكن من جملة الممكنات والممكن مفتقر الي غيره * فيلزم ان يكون مفتقرا الى علة غير نفسه * والمفتقر الى غيره لايكون مستغنيا بنفسه فيلزم أن يكون مفتقرا الى غيره غير مفتقر الى غيره غنيا بنفسه ليس بغنى بنفسه * وهو جمع بين النقيضين فلو كان فاعل الممكنات كلها ممكنا لزم ان يكون هذا الممكن غنيا بنفسه ليس بغنى بنفسه * فقيرا الى غيره غير فقير الى غيره * حيث جعل ممكنا مفتقرا * وجعل معلولا بعلة تامة * فلايفتقر فيلزم التناقض والامر فى هذا أوضح من هذا التطويل *

وانما سلك هذا المصنف طريقة أبي عبد الله بن الخطيب الرازى فان هذه طرقه * وكان ينسج على منواله والا فالعلم بان جميع الممكنات تفتقر الي غيرها كالعلم بان هذا الممكن مفتقر الى غيره * فان الافتقار اذا كان من جهة كونه ممكنا سواء كان الامكان دليل الافتقار أو علة الافتقار فهو يعمها كلها فاى شيء قدر ممكنا كان الفقر ثابتا فيه الى غيره فلا بد لكل ممكن من مفتقر اليه كما لابد لهذا الممكن من غير يفتقر اليه (ومعلوم) ان افتقار الشيء الى بعض اشد من افتقاره الى نفسه فاذا كان الممكن لا يوجد بنفسه ولا يكون موجودا بنفسه فكيف يكون موجودا ببعضه وكيف يتصور ان يكون مجموع الممكنات موجودة بممكن من الممكنات وهي لايكفى في وجودها مجموع الممكنات والهيئة الاجتماعية لاتخرجها عن الامكان الذى هو علة الافتقار أو دليل الافتقار وهذا بين ولله الحمد *

* فصل *

فلما قرر اثبات الصانع أخذ يثبت وحدانيته * فقال (والدليل على وحدته انه لاتركيب فيه بوجه والالما كان واجب الوجود لذاته ضرورة افتقاره الي ماتركب منه ويلزم من ذلك ان لا يكون من نوعه اثنان اذ لو كان لزم وجود الاثنين بلا امتياز وهو محال * وهذا الدليل أخذه من كلام أبي عبدالله الرازى وهو سلك فيه مسلك المتفلسفة كابن سينا وأمثاله فان هذا هو عمدتهم فيما

لناقش العلوم شيءٌ هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وان كان يوجد للصورة الا نسية نوع ترتيب على هذه المشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين ان يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله لان الرحمة الالهية هي التي صورت الحضرة الالهية بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فاعطاه صورة مختصرة جامعة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم فهو نسخة من العالم مختصرة وصورة آدم أعني هذه الصورة مكتوبة بخط الله تعالى وهو الخط الالهي الذي ليس برقم وحروف اذ تنزه عن ان يكون رقما وحروفا كما تنزه كلامه عن ان يكون صوتا ولفظا وقلمه عن ان يكون خشبا أو قصبا ويده عن ان تكون لحما وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه اذ لا يعرف ربه الا من عرف نفسه فلما كان هذا في آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله فان حضرة الالهية غير حضرة الرحمة وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعياذ بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي ان يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح الرحمن والآن فتمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية فيستدعي شرحا طويلا فلنتجاوز فليكفك من الانموذج هذا القدر فان هذا بحر لا ساحل له وان وجدت في نفسك نفورا عن هذه الامثال فآنس قلبك بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية وانه كيف ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والقرآن والاودية القلوب * ثم قال خاتمة واعتذار لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة مني في رفع الظواهر واعتقادا في ابطالها حتى اقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله (فاخلع نعليك) حاش لله فان ابطال الظواهر رأي الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العالمين ولم يعرفوا الموازنة بينهما ولم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظاهر حشوي والذي يجرد الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه السلام للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع وانما نقل هذا عن علي بن أبي طالب موقوفا عليه. بل أقول فهم موسى من الأمر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع النعلين وباطنا باطراح العالمين فهذا هو الاعتبار

أي العبور من الشيء الي غيره ومن الظاهر الى السر وفرق بين من سمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاندخل الملائكة بيتا فيه كلب فيقر الكلب فى البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب فانه يمنع المعرفة التي هي من أنوار الملائكة اذ الغضب غول بين العقل و بين من يمتثل الامر فى الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذى مقر الشخص والبدن واجباً عن صورة الكلب فلان يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن شر الكلبية أولى فانا اجمع بين الظاهر والسر جميعا فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لايطفئ نور معرفته نور ورعه ولذلك ترى الكامل لاتسمح نفسه بترك حد واحد من حدود الشرع مع كمال البصيرة وهذه مغلطة بسببها وقع بعض السالكين في باحة وطى بساط الاحكام ظاهرا حتى انه ربما ترك أحدهم الصلاة وزعم انه دائما في الصلاة بسره وهذا أسوأ مغالطة من الحمقى الاباحية الذين تأخذهم الترهات لقول بعضهم ان الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبائث وليس يمكن تزكيتها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لظنه انه مأمور باستئصالها وهذه حماقات وقد ابطلنا جميع ذلك فى كتاب الجام العوام أهل الزيغ والضلالة وأما ماذكرناه فهو كبوة جواد وهفوة سالك جره الشيطان فدلاه بحبل غروره وأرجع الى حديث النعلين فاقول ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة وأهل هذه المرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتى معني الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفى حتى صار كالزجاج الصافى صار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الريح وسيأتيك قصة الزجاجة فاعلم ان العالم الكثيف الخيالى السفلي صار في حق الأنبياء زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا تعرف ان المثال الظاهر حق ووراءه سر وقس على هذا الطور والنار وغيرهما (قلت) ليس المقصود هنا الكلام المفصل على مافى هذا الكلام وأمثاله فان علماء المسلمين قد بينوا من ذلك مافيه كفاية وقد تكلمنا في غير هذا الموضع على ماشاء الله تعالى من ذلك والكلام الجلى ان مثل هذا الكلام يشتمل على أمور باطلة من جهة

النقـل كقوله ان في الصحيح ان الله خلق آدم على صورة الرحمن وقوله علي صورته ليس في الصحيح فهذا من أبين الباطل فانّ اللفظ الذى في الصحيح من غـير وجه علي صورته وأما قوله على صورة الرحمن يروي عن ابن عمر وفيه كلام قد ذكرناه مع ماقاله عامة طوائف الناس في هذا الحديث من غير هـذا الموضع ويشتمل على أمور باطلة وهى فى انفسها مخالفة للشرع والعقل مثل مافيه انّ ملـكا من الملائـكة وهو العقل الفعال مبدع لجميع ماتحته من المخلوقات أو ان الملائـكة يسمونها العقول والنفوس ابدع بعضها بعضا أو ان عالم الشهادة هو المحسوسات وعالم الغيب المعقولات أو ان تفسير القرآن هو مثل تعبـير الرؤيا وأمثال ذلك مما ليس هو من قول المسلمين واليهود والنصارى بل من اقوال الملاحدة من الصابئين والفلاسفة والقرامطة وفيها ماهو من جنس الاشارة والاعتبار الذى سلـكه الفقهاء والصوفية كما في قوله ان الملائـكة لا تدخل بيتا فيه كلب فاذا قيس علي تطهير القلب عن الاخلاق الخبيثة كان هذا من جنس اشارات الصوفية وقياس الفقهاء ومنه ماهو من جنس القياس الفاسد كما ذكر من ان موسي أمر مع خلعه للنعلين بخلع الدنيا والآخرة وانما ينزل على قلوب أهل المعرفة من جنس خطاب تـكليم موسى وتـكليمه بهذا باطل باتفاق سلف الامة وائمتها وهو مبسوط في غير هذا الموضع وما فيه من تعظيم الامر والنهي وقتل من يبيح المحرمات كلام حسن فان أبا حامد هو في علم المعامـلة والامر والنهي كلامه من جنس كلام أمثاله من أهـل التصوف والفقه وأما ماسماه هو علم المـكاشفة فـكلامه فيه الوان فتارة يذكره بصوت أهل الفلاسفة وتارة بصوت الجهمية وتارة بصوت هو من تصويت أهل الحديث والمعرفة وتارة يطعن على هؤلاء وتارة يذكر ماهو غير ذلك فكلامنا في هذا الجواب انما كان على فساد ما احتجوا به في قوله أول ماخلق الله العقل فبينا فساد كلامهم من وجوه *الأول أن كلام ابن الجوزى على حديث العقل قد تقدم حيث بدأنا بالحديث وذكرنا ماقال فيه أئمة العلم وانقضى

الثاني ان هؤلاء لا يجعلون العقول والنفوس التى يثبتها الفلاسفة في عالم الخلق بل يفسرون عالم الخلق بعالم الاجسام بناء علي ان الخلق التقدير وان الاجسام هى ذوات المقدرات ويقولون بناء على أصـل هؤلاء الفلاسفة الفاسد والذي وافقهم عليـه هؤلاء ان العقول والنفوس ليست أجساما بل هى عالم الامر عنـدهم كما يقولون مايذكره أبو حامـد في مواضع من الفرق بين

عالم الملك والملكوت والجبروت. ويفسرون عالم الملك بعالم الاجسام وعالم الملكوت بعالم النفوس لانها باطن للاجسام وعالم الجبروت بالعقول لانها غير متصلة بالاجسام ولا متعلقة بها ومنهم من يعكس وقد يجعلون الاسلام والايمان والاحسان مطابقا لهذه الامور ومعلوم ان ماجاء في الكتاب والسنة من لفظ الملكوت كقوله تعالى (بيده ملكوت كل شئ) وقوله صلي الله عليه وسلم في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة لم يرد به هنّ باتفاق المسلمين ولا دل كلام أحد من السلف والأئمة على التقسيم الذي يذكرونه بهذه الألفاظ وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك المعاني التي تلقوها عن الفلاسفة وضعا وضعوه ثم يريدون ان ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم على ماوضعوه من اللغة والاصطلاح وهذا لو كانت تلك المعاني التي يذكرها الفلاسفة صحيحة ماجاز بل كان من الكذب علي الله تعالى وعلى رسوله صلي الله عليه وسلم ن يقال انه أرادها فكيف وا كثر تلك المعانى باطلة ومضطربة وما يذكرونه من الاقيسة العقلية علي ثبوتها أقيسة ضعيفة بل فاسدة وقد اعترفت اساطين الفلاسفة بانها لاتفضي الى اليقين وكل منهم يعبر عن المعاني الفلسفية بعبارات اسلامية ومنهم من لايبين لا كثر الناس ان مراده ذلك ومنهم من يزعم ان تلك المعانى حصلت له بطريق الكشف والمشاهدة كما يزعمه صاحب الفتوحات المكية واشباهه وقد يقول عن الملائكة أنوار في أنوار وأنوار في ظلال وأنوار في ظلمة والأول هي العقول والثاني هي النفوس الفلكية والثالث النفوس الطبيعية ومعلوم ان الملائكة الذين وصفهم الله تعالى في الكتاب والسنة لاينطبقون على هذه العقول العشرة والنفوس التسعة التي يذكرونها كما قد بسطنا الكلام في ذلك في غير هذا الموضع ولهذا يؤول بهم الامر الى ان يجعلوا الملائكة والشياطين اعراضا تقوم بالنفس ليست أعيانا قائمة بنفسها حية ناطقة ومعلوم بالاضطرار ان هذا خلاف ما أخبرت به الرسل واتفق عليه المسلمون وان كان قد يعنى بالشيطان العاتي المتمرد من كل نوع وقد يعني به بعض الناس عرضا وهذا كما يجعلون كلام الله مايفيض على نفس النبي من غير ان يثبتوا لله تعالى كلاما خارجا عما في نفس النبي وعند التحقيق فلا فرق عندهم بين الفيض على نفس النبي وسائر النفوس الا من جهة كونها اصفى وا كمل وحينئذ فيكون القرآن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا حقيقة قول

التوحيد الذي قال في القرآن (ان هذا الا قول البشر) كما قد بيناه في غير هذا الموضع ولهذا يقولون انه لم يسجد لآدم الا الملائكة الارضية ويعنون بالسجود انقياد هذه القوى للبشر كما في جواهر القرآن * قال وأما الافعال فبحر متسع اكنافه ولا ينال بالاستقصاء اطرافه بل ليس في الوجود الا الله وافعاله فكل ماسواه فعله لكن القرآن اشتمل على الخلق منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والارض والجبال والبحار والحيوان والنبات وانزال الماء الفرات وسائر اصناف النبات والحيوان وهي التي ظهرت للحس واشرف افعاله واعجبها وادلها على جلالة صانعها مالا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة اجزاء الآدمي فانها أيضا من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانس وهي التي سجدت لآدم ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانسان وهي التي امتنعت عن السجود لآدم ومنها الملائكة السماوية وأعلاهم الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس لاالتفات لهم الى الآدميين بل لاالتفات لهم الى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحضرة حضرة الربوبية وجلالها فهم قاصرون عليه لحاظهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا تستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله جلال الله تعالى عن الالتفات الى آدم وذريته ولا يستعظم الآدمي الى هذا الحد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أرضا بيضاء تسير الشمس فيها ثلاثين يوما هي مثل ايام الدنيا ثلاثين مرة مشحونة خلقا لا يعلمون ان الله يعصي في الارض ولا يعلمون ان الله خلق آدم وابليس رواه ابن عباس فاستوسع مملكة الله تعالى (قلت) فهذا الكلام سيعظمه في بادئ الرأى أومطلقا من لم يعرف حقيقة ماجاء به الرسول ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها بعبارات المسلمين * فاما قول القائل ان القرآن اشتمل على الخلق وهي التي ظهرت للحس واشرف افعال الله تعالى مالا يظهر للحس يعني ولم يشتمل القرآن عليه فهذا مع مافيه من الغض بالقرآن وذكر اشتماله على القسم الناقص دون الكامل وتطرق أهل الالحاد الى الاستخفاف بماجاءت به الرسل هو كذب صريح يعلم صبيان المسلمين انه كذب على القرآن فان في القرآن من الاخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك مالا يخفي على أحد وهو أكثر من أن يذكرهنا وفي القرآن من الاخبار بصفات الملائكة وأصنافهم واعمالهم مالا يهتدى هؤلاء الى

عشره اذليس عندهم من ذلك الا شئ قليل مجمل بل الرسول انما بعث ليخبرنا بالغيب والمؤمن من آمن بالغيب وماذكره من المشاهدات فانما ذكره آية ودلالة وبينة على ماأخبر به من الغيب فهذا وسيلة وذلك هو المقصود * ثم يقال انه انما ذكر الوسيلة ياسبحان الله اذا لم يكن الاخبار عن هذا القسم فى هذا الكتاب الذى ليس تحت أديم السماء كتاب أشرف منه وعلم هذا لايؤخذ عن الرسول الذى هو أفضل خلق الله تعالى في كل شئ في العلم والتعليم وغير ذلك أيكون ذكر هذا في كلام أرسطو وذويه وأصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك باقيسة مشتملة على دعاوى مجردة لانقل صحيح ولاعقل صريح بل تشبه الأقيسة الطردية الخالية عن التأثير وتعود عند التحقيق الى خيالات لاحقيقة لها فى الخارج كما سننبه عليه وكذلك روح الانسان وقلبه فى الكتاب والسنة من الاخبار عن ذلك مالا يكاد يحصيه الا الله تعالى * ثم قوله بعد ذلك ومنها الملائكة الارضية الموكلة بجنس الانسان وهي التي سجدت لآدم وزعم ان ملائكة السموات والكروبيين لم يسجدوا لآدم هو أبعد قول عن أقوال المسلمين واليهود والنصارى فان القرآن قد أخبر أنه سجد الملائكة كلهم اجمعون فأتى بصيغة العموم ثم أكدها تأكيدا بعد تأكيد فليت شعري اذا أراد المتكلم الاخبار عن سجود جميع الملائكة هل يمكنه أبلغ من هذه العبارة لكن من يفسر الملائكة بقوي النفوس لايستبعد أن يقول مثل هذا والملائكة السماوية عندهم هى النفوس الفلكية والكروبيون على اصطلاحهم العقول العشرة ومعلوم ان هذا كله ليس من أقوال أهل الملل اليهود والنصارى فضلا عن المسلمين وقول القائل ان أولئك لايلتفتون الى الآدميين هو من أقوال الفلاسفة الضالين * والمشهور عند أهل السنة والجماعة ان الانبياء والاولياء أفضل من جميع الملائكة وقد قال عبد الله بن سلام ماخلق الله خلقا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم فقيل له ياأبا يوسف ولا جبرائيل ولا ميكائيل فقال ياابن أخي أو تعرف ما جبرائيل وميكائيل انما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقا أكرم عليه من محمد وثبت بالاسناد الذى على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه قال قالت الملائكة ياربنا قد جعلت لبنى آدم الدنيا يأكلون منها ويشربون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا فقال لاافعل ثم اعادوا عليه فقال لاافعل ثم أعادوا عليه فقال وعزتى لاأجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان

وروى هذا عبد الله بن أحمد فى كتاب السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد مرسل والمرسل يصلح للاعتضاد بلا نزاع وقد تكلمت على هذه المسألة بكلام مبسوط كتبناه من سنين كثيرة وأما قوله ومنها الشياطين المسلطة على جنس الانسان وهي التي امتنعت عن السجود فغلط أيضا فانه لم يؤمر بالسجود من جنس هؤلاء الا ابليس ولم يؤمر بالسجود لآدم أحد من ذريته فكيف يوصفون بالامتناع المذكور واذا كان رب العباد سمع كلام عباده ويجيب دعاءهم عند المسلمين فأى نقص على الملائكة اذ استغفروا لهم بل كان من قولهم ان الله لا يجيب داعيا ولا يقدر على تغيير ذرة في العالم وانما دعاء العباد وتصرف نفوسهم في هيولى العالم وان كان العالم لازما لذاته لا يمكنه دفعه عن هذا اللزوم بل أئمتهم على أنه لا يشعر باعيان خلقه واذا كانوا كذلك لم يستنكر لهم ان يقولوا في ملائكته هذا * وأما قوله مستغرقون بجمال الحضرة وجلالها فهذا الكلام من جنس الطامات فان هذا من جنس مايسميه بعض الصوفية الفناء وهو استغراق القلب في الحق حتى لا يشعر بغيره ومعلوم باتفاق الناس أن حال البقاء أكمل من الفناء وهذه حال الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين ومعلوم أن الرسل أفضل الخلق وهم يدعون العباد الى الله تعالى ويعلمونهم ويجاهدونهم ويأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فلو كانت تلك الحال أكمل لكان من لم يرسل أكمل من الرسل وهذا خلاف دين المسلمين واليهود والنصارى لكنه يوافق دين غالية الصابئة من المتفلسفة الذين يفضلون الفيلسوف على النبي والرسول وحال الجهمية الاتحادية الذين يفضلون الولى أو خاتم الاولياء على الرسل ومعلوم ان هذا باطل وكفر عند المسلمين * وأما قوله لا تستبعد ان يكون فى عباد الله تعالى من يشغله جلال الله تعالى عن الالتفات الى آدم وذريته فهذا ليس صفة كمال بل الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم مع ذلك يدبرون من أمر الخلق ما أمروا بتدبيره وقد أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس وقد أخبر النبي صلي الله عليه وسلم ان أهل الجنة يلهمون التسبيح كما يلهم أهل الدنيا النفس ومعلوم ان النفس لا يشغل الانسان عما يزاوله من الاعمال فحينئذ كمال التسبيح والمشاهدة لجلال الله تعالي لا يشغلهم عن التدبير الذى وكلوا به وهذا الجمع أكمل لا سيما وهم يقولون كمال الانسان التشبه بالاله على حسب الطاقة وقد وافقهم هؤلاء على هذا المعني وكذلك قولهم فى الملأ الاعلى واذا كان ذلك فمعلوم ان الله تعالي لا يشغله عن

معرفته وعلمه وذكره شيء بل هو سبحانه لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يتبرم بالحاح الملحين وان كان قولهم في الله تعالي ليس موافقا لقول المسلمين في علمه وقدرته ومشيئته فالكلام مع من يذكر مطابقة الكتاب والسنة لقولهم وهذا لا يكون الا مسلما فلا يمكن ذكره المطابقة مع المخالفة لاصول المسلمين وأما مع من لا يبالي بدين الرسول أو يفضل الفيلسوف على النبي فهذا الكلام مقام آخر يستقصى فيه غير الاستقصاء كما بسط تناقض أقوالهم على أصولهم بفسادها علي كل أصل في غير هذا الموضع وقد قال الله تعالى (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم) الآيتين ومعلوم ان حملة العرش ومن حوله من أعظم المقربين من الملائكة بل قد ذكر من ذكر من المفسرين ان الملائكة المقربين هم حملة العرش والكروبيون من الملائكة مشتقون من كرب اذا قرب فالمراد وصفهم بالقرب لا بالكرب الذي هو الشدة كما يظن ذلك طوائف من هؤلاء ويفرقون بين الكروبيين والروحانيين بأن أولئك في عالم الجلال وهؤلاء في عالم الجمال فان هذا توهم وخيال لم يقله أحد من علماء أهل الملل المتلقين مايقولونه عن الرسل صلى الله عليهم وسلم أجمعين والأحاديث والآثار في هذا الباب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها والحديث الذي ذكره عن ابن عباس من الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل العلم ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعتمدة وانما يوجد هذا الكلام أو نحوه في جزء فيه التفكر والاعتبار لابن أبي الدنيا وايضا فهؤلاء يعتقدون من جهة علم الهيئة ان هذا الحديث باطل فاذا كان هؤلاء يفسرون عالم الخلق بعالم الاجسام وعالم الأمر بعالم العقول والنفوس ويزعمون أنها ليست أجساما وعندهم هذا العالم لا يقال فيه انه مخلوق بل هو مبدع بطل قولهم ان أول مخلوق هو العقل وان كان التقسيم خلاف اجماع المسلمين ثم هم مجمعون على ان الله تعالى خالق كل شيء وان كل ماسواه فهو مخلوق وصفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه بل القرآن كلام الله غير مخلوق وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم وان كان بعضهم قد نازع في بعض الأعراض كما في أفعال العباد التي تنازع

الكتب المصنفة في السنة والرد على الجهمية واصول الدين المنقولة عن السلف مثل كتاب الرد على الجهمية لمحمد بن عبد الله الجعفي شيخ البخارى وكتاب خلق الافعال للبخاري وكتاب السنة لأبي داود السجستاني ولأبي بكر الأثرم ولعبد الله بن أحمد بن حنبل ولحنبل بن اسحاق ولأبي بكر الخلال ولأبي الشيخ الاصفهاني ولأبي القاسم الطبراني ولأبي عبد الله بن منده وأمثالهم وكتاب الشريعة لأبي بكر الآجري والابانة لأبي عبد الله بن بطة وكتاب الاصول لأبي عمر الطلمنكي وكتاب رد عثمان بن سعيد الدارمي وكتاب الرد على الجهمية له واضعاف هذه الكتب وذلك مثل ماذكره الخلال وغيره عن اسحاق ابن راهويه حدثنا بشر بن عمر قال سمعت غير واحد من المفسرين يقول (الرحمن على العرش استوى أى ارتفع)

وقال البخاري في صحيحه قال أبو العالية استوى الى السماء ارتفع وقال مجاهد استوى (علا) على العرش وقال البغوي في تفسيره قال ابن عباس وأكثر مفسرى السلف استوى الى السماء ارتفع الى السماء وكذلك قال الخليل بن أحمد وروى البيهقي عن الفراء استوى أي صعد وهو كقول الرجل كان قاعدا فاستوى قائما

وروى الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك أنه قال عن يوم الجمعة وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وروى أبو بكر الاثرم عن الفضيل بن عياض قال ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف لان الله وصف فابلغ فقال ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد ﴾ فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه ومثل هذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الاطلاع كما شاء أن ينزل وكما شاء أن يضحك فليس لنا أن نتوهم أن ينزل عن مكانه كيف وكيف واذا قال لك الجهمى أنا كفرت برب ينزل فقل أنت أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء

وقال البخاري في كتاب خلق الافعال والفضيل بن عياض اذا قال لك الجهمى أنا أكفر برب يزول عن مكانه فقل أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء * قال البخاري وحدث يزيد بن هرون عن الجهمية فقال من زعم ان الرحمن على العرش استوى على خلاف ماتقرر فى قلوب العامة فهو جهمى * وروى الخلال عن سليمان بن حرب انه سأل بشر بن السرى حماد بن زيد فقال يا أبا اسماعيل الحديث ينزل الله الى السماء الدنيا أيتحول من مكان الى مكان فسكت حماد بن زيد ثم قال هو فى مكانه يقرب من خلقه كيف شاء وهذا نقله الاشعري في كتاب المقالات عن أهل السنة والحديث فقال

ويصدقون بالاحاديث التى جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿ فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ﴾ ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين ولا يحدثون فى دينهم مالم يأذن به الله ويقرون ان الله يجيء يوم القيامة كما قال ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ وان الله يقرب من خلقه كما يشاء كما قال ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾

(ثم قال الاشعرى وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب)

وقال أبو عثمان النيسابورى الملقب بشيخ الاسلام في رسالته المشهورة فى السنة قال ويثبت أهل الحديث نزول الرب سبحانه فى كل ليلة الى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون له ما أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه الى الله وكذلك يثبتون ما أنزل الله فى كتابه من ذكر المجيء والاتيان في ظلل من الغمام والملائكة وقوله عز وجل ﴿ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴾ وقال سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول سمعت أبا زكريا يحيي بن محمد العنبرى يقول سمعت ابراهيم بن أبي طالب سمعت أحمد بن سعيد الرباطى يقول حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضر اسحاق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه فسأل عن حديث النزول صحيح هو فقال نعم فقال بعض قواد عبد الله ياأبا يعقوب أتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال كيف ينزل قال أثبته فوق حتى أصف لك النزول فقال الرجل أثبته فوق فقال اسحاق قال الله تعالي (وجاء ربك والملك صفا صفا) فقال له الأمير عبد الله بن طاهر يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحاق أعز الله الامير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم وروى باسناده عن اسحاق قال قال لى الامير عبد الله بن طاهر ياأبا يعقوب هذا الحديث الذي تروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا كيف ينزل قال قلت أعز الله الامير لا يقال لامر الرب كيف ينزل انما ينزل بلا كيف * وباسناده أيضا عن عبد الله بن المبارك انه سأله سائل عن النزول ليلة النصف من شعبان فقال عبد الله ياضعيف ليلة النصف أي وحدها هو ينزل في كل ليلة فقال الرجل يا أبا عبد الرحمن كيف ينزل ألم يخل ذلك المكان فقال عبد الله بن المبارك ينزل كيف شاء قال أبو عثمان النيسابورى فلما صح خبر النزول عن النبي صلى الله عليه وسلم أقر به أهل السنة وقبلوا الحديث وأثبتوا النزول على ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتقدوا

تشبيها له بنزول خلقه وعلموا وعرفوا واعتقدوا وتحققوا ان صفات الرب تعالى لاتشبه صفات الخلق كما ان ذاته لاتشبه ذوات الخلق سبحانه وتعالى عما يقول المشبهة والمعطلة علوا كبيراً * وروى البيهقي باسناده عن اسحاق بن راهويه قال جمعني وهذا المبتدع يعني ابن صالح مجلس الامير عبد الله بن طاهر فسألني الامير عن اخبار النزول فثبتها فقال ابراهيم كفرت برب ينزل من سماء الى سماء فقلت آمنت برب يفعل مايشاء فرضي عبد الله كلامي وانكر على ابراهيم * وقال حرب ابن اسماعيل الكرماني في كتابه المصنف في مسائل أحمد واسحاق مع ماذكر فيها من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم قال ﴿باب القول في المذهب﴾ هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الاثر المعروفين بها المقتدى بهم فيها وادركت من أدركت من علماء العراق والحجاز والشام عليها فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أوطعن فيها أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن سبيل السنة ومنهج الحق وهو مذهب أحمد واسحاق بن ابراهيم وبقي بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم وذكر الكلام في الايمان والقدر والوعيد والامامة وماأخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من اشتراط الساعة وأمر البرزخ وغير ذلك (الى أن قال) وهو سبحانه بائن من خلقه لايخلو من علمه مكان ولله عرش وللعرش حملة يحملونه وله حد والله أعلم بحده والله تعالى على عرشه عز ذكره وتعالى جده ولا إله غيره والله تعالى سميع لايشك بصير لايرتاب عليم لايجهل جواد لايبخل حليم لايعجل حفيظ لاينسى يقظان لايسهو رقيب لايغفل يتكلم ويتحرك ويسمع ويبصر وينظر ويقبض ويبسط ويفرح ويحب ويكره ويبغض ويسخط ويغضب ويرحم ويعفو ويغفر ويعطي ويمنع ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا كيف شاء متكلما عالما تبارك الله أحسن الخالقين

وروى أبو بكر الخلال في كتاب السنة قال أخبرني به يوسف بن موسى ان أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل قيل له أهل الجنة ينظرون الى ربهم ويكلمونه ويكلمهم قال نعم ينظر اليهم وينظرون اليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاء * واذا شاء وقال أيضا أخبرني عبد الله بن حنبل أخبرني أبي حنبل بن اسحاق قال قال عمي نحن نؤمن بان الله على العرش كيف شاء وكما شاء قال الخلال وأخبرني علي بن عيسى ان حنبلا حدثهم قال قلت لأبي عبد الله ألله يكلم عبده يوم القيامة * قال نعم فمن يقضي بين الخلائق الا الله عز وجل يكلم عبده ويسأله ألله متكلم لم يزل

الله متكلما يأمر بما شاء ويحكم بما شاء وليس له عدل ولا مثل كيف شاء وأين شاء قال الخلال وان محمد بن علي بن بحران يعقوب بن بختان حدثهم ان أباعبد الله سئل عمن زعم ان الله لم يتكلم بصوت قال بلى تكلم بصوت وهذه الاحاديث كما جاءت نرويها لكل حديث وجه يريدون أن يموهوا على الناس بأن من زعم ان الله لم يكلم موسى فهو كافر *

وأخبرنا المروزى سمعت أباعبد الله وقيل له ان عبد الوهاب قد تكلم وقال من زعم ان الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله وعدو الاسلام فتبسم أبوعبد الله وقال ماأحسن ماقال عافاه الله *وعن عبد الله بن أحمد أيضا سألت أبي عن قوم يقولون لما كلم الله موسي لم يتكلم بصوت فقال أبي بل تكلم تبارك وتعالى بصوت وهذه الاحاديث نرويها كما جاءت وحديث ابن مسعود اذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان قال أبي والجهمية تنكره قال أبي وهؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس أن من زعم ان الله لم يتكلم فهو كافر ﴿قلت﴾ قد بين الامام أحمد وغيره من السلف ان الصوت الذى تكلم الله تعالى به ليس هو الصوت المسموع *وسئل أحمد عن قوله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال هو الرجل يرفع صوته به هذا معناه وقال في قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم يحسنه بصوته* وقال البخاري في كتاب خلق الافعال ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وليس هذا لغير الله قال البخارى وفي هذا دليل على ان صوت الله لا يشبه أصوات الخلق لان صوت الله يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب وان الملائكة يصعقون من صوته فاذا ينادى الملائكة لم يصعقوا قال تعالى ﴿فلا تجعلوا لله أندادا﴾ فليس لصفة الله ند ولا مثل ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين* ثم روى باسناده حديث عبد الله بن أنيس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة واحد من أهل النار يطلبه بمظلمة وذكر الحديث الذى رواه أيضا في صحيحه في هذا المعنى في قوله ﴿حتى اذا فزع عن قلوبهم﴾ الآية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا الى النار قال يارب ما بعث النار قال من كل ألف أراه قال

تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وذكر البخارى حديث ابن مسعود الذى استشهد به أحمد وذكر الحديث الذى رواه فى صحيحه عن عكرمة قال سمعت أبا هريرة يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان (فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير) وذكر البخارى حديث ابن عباس المعروف من حديث الزهري عن على بن الحسين عن ابن عباس عن نفر من الانصار وقد رواه احمد ومسلم فى صحيحه وساقه البخاري من طريق ابن اسحاق عنه أن رسول الله صلى عليه وسلم قال لهم ماتقولون في هذه النجوم التى يرمي بها قالوا كنا نقول حين رأيناها يرمي بها مات ملك ولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن اذا قضى الله في خلقه امرا يسمعه حملة العرش فيسبحون فيسبح من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهى الى السماء الدنيا حتى يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم فيقولون الا تسألون من فوقكم مم سبحتم فيسألونهم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي كان يهبط الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهى الى السماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من أهل الارض فيحدثهم فيخطئون ويصيبون فيحدث به الكهان * قال البخارى ولقد بين نعيم بن حماد ان كلام الرب ليس بخلق وان العرب لاتعرف الحي من الميت الا بالفعل فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت وان افعال العباد مخلوقة فضيق عليه حتى مضى لسبيله وتوجع أهل العلم لما نزل به *

قال البخارى وفي اتفاق المسلمين دليل على ان نعيما ومن نحا نحوه ليس بمارق ولا مبتدع * وقال أبو عبدالله ابن حامد في كتابه فى أصول الدين ومما يجب الايمان به التصديق بان الله متكلم وان كلامه قديم وانه لم يزل متكلما فى كل أوقاته موصوفا بذلك وكلامه قديم غير محدث كالعلم والقدرة قال وقد علم أن المذهب ان كون الكلام صفة ومتكلما به ولم يزل موصوفا بذلك ومتكلما اذا شاء وبما شاء ولا نقول انه ساكت فى حال ومتكلم فى حال من حيث حدوث الكلام قال ولا خلاف عن أبي عبدالله يعنى أحمد بن حنبل ان الله لم يزل متكلما قبل أن يخلق الخلق وقبل كل الكائنات وان الله كان فيما

فيما لم يزل متكلما كيف شاء وكما شاء اذا شاء أنزل كلامه واذا شاء لم ينزله فقد ذكر ابن حامد انه لاخلاف فى مذهب أحمد انه سبحانه لم يزل متكلما كيف شاء وكما شاء ثم ذكر قولين هل هو متكلم دائما بمشيئته أو انه لم يزل موصوفا بذلك متكلما اذا شاء وساكتا اذا شاء لا بمعنى انه يتكلم بعد ان لم يزل ساكتا فيكون كلامه حادثا كما يقوله الكرامية فان قول الكرامية فى الكلام لم يقل به أحد من أصحاب احمد وكذلك ذكر القولين أبو بكر عبد العزيز في أول كتابه الكبير المسمى بالمقنع وقد ذكر ذلك عنه القاضى أبو يعلى في كتاب ايضاح البيان فى مسألة القرآن قال أبو بكر لما سألوه انكم اذا قلتم لم يزل متكلما كان ذلك عبثا فقال لاصحابنا قولان أحدهما انه لم يزل متكلما كالعلم لان ضد الكلام الخرس كما ان ضد العلم الجهل قال ومن أصحابنا من قال أثبت لنفسه انه خالق ولم يجز أن يكون خالقا فى كل حال بل قلنا انه خالق في وقت ارادته أن يخلق وان لم يكن خالقا في كل حال ولم يبطل أن يكون خالقا كذلك وان لم يكن متكلما فى كل حال لم يبطل أن يكون متكلما بل هو متكلم خالق وان لم يكن خالقا في كل حال ولا متكلما في كل حال قال القاضى أبو يعلي فى هذا الكتاب نقول انه لم يزل متكلما وليس بمتكلم ولا مخاطب ولا آمر ولا ناه نص عليه أحمد في رواية حنبل فقال لم يزل الله متكلما عالما غفورا قال وقال فى رواية عبد الله لم يزل الله متكلما اذا شاء وقال حنبل فى موضع آخر سمعت أبا عبدالله يقول لم يزل الله متكلما والقرآن كلام الله غير مخلوق ﴿قلت﴾ أحمد أخبر بدوام كلامه سبحانه ولم يخبر بدوام تكلمه بالقرآن بل قال والقرآن كلام الله غير مخلوق ٭قال القاضى قال أحمد فى الجزء الذى رد فيه على الجهمية والزنادقة وكذلك الله يتكلم كيف شاء من غير أن نقول من جوف ولا فم ولا شفتين وقال بعد ذلك بل نقول ان الله لم يزل متكلما اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق ٭وقال أبو اسماعيل الانصارى الملقب بشيخ الاسلام فى مناقب الامام أحمد لما ذكر كلامه في مسألة القرآن وترتيب حدوث البدع قال وجاءت طائفة فقالت لا يتكلم بعد ما تكلم فيكون كلامه حادثا قال وهذه اغلوطة أخرى فى الدين غير واحدة فانتبه لها أبو بكر بن خزيمة وكانت نيسابور دار الآثار تمد اليها وتشد اليها الركائب ويجلب منها العلم فابن خزيمة في بيت ومحمد بن اسحاق يعنى السراج فى بيت وابو حامد بن الشرقي فى بيت قال فطار لتلك الفتنة الامام أبو بكر فلم يزل يصيح بتشويهها ويصنف في ردها كأنه منذر جيش

حتى دون في الدفاتر وتمكن في السرائر وتفسر في الكتاتيب ونقش في المحاريب ان الله متكلم ان شاء تكلم وان شاء سكت قال فجزى ذلك الامام وأولئك النفر على نصر دينه وتوقير نبيه خيرا ﴿قلت﴾ لفظ السكوت يراد به السكوت عن شيء خاص وهذا مما جاءت به الآثار كقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تسألوا عنها والحديث المعروف عن سلمان مرفوعا وموقوفا الحلال ماأحله الله في كتابه والحرام ماحرمه الله في كتابه وماسكت عنه فهو مما عفا عنه والعلماء يقولون مفهوم الموافقة أن يكون الحكم في المسكوت عنه أولى منه في المنطوق به ومفهوم المخالفة أن يكون الحكم في المسكوت مخالفا للحكم في المنطوق به وأما السكوت المنطوق به فهذا هو الذي ذكروا فيه القولين والقاضي أبو يعلى وموافقوه على أصل بن كلاب يتأولون كلام أحمد والآثار في ذلك بانه سكوت عن الاسماع لا عن التكليم وكذلك تأول ابن عقيل كلام أبي اسماعيل الانصاري وليس مرادهم ذلك كما هو بين لمن تدبر كلامهم مع ان الاسماع على أصل النفاة انما هو خلق ادراك في السامع ليس سببا يقوم بالمتكلم فكيف يوصف بالسكوت لكونه لم يخلق ادراكا لغيره فاصل ابن كلاب الذي وافقه عليه القاضي وابن عقيل وابن الزاغوني وغيرهم أنه منزه عن السكوت مطلقا فلايجوز عندهم أن يسكت عن شيء من الاشياء اذ كلامه صفة قديمة لازمة لذاته لاتتعلق عندهم بمشيئته كالحياة حتي يقال ان شاء تكلم بكذا وان شاء سكت عنه ولايجوز عندهم أن يقال ان الله سكت عن شيء كما جاءت به الآثار بل يتأولونه على عدم خلق الادراك منزه عن الخرس باتفاق الامة هذا مما احتجوا به على قدم الكلام وقالوا لو لم يكن متكلما للزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس وذلك ممتنع عندهم سواء قيل هو سكوت مطلق أوسكوت عن شيء معين*وقال أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي الشافعي في كتابه الذي سماه ﴿الفصول في الاصول عن الائمة الفحول﴾ وذكر اثنى عشر إماما الشافعي ومالك وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وسفيان بن عيينة وابن المبارك واسحاق بن راهويه والبخاري وأبو زرعة وأبو حاتم قال فيه سمعت الامام أبامنصور محمد بن أحمد يقول سمعت الامام أبابكر عبيد الله بن أحمد يقول سمعت الشيخ أباحامد الاسفرائني يقول مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر والقرآن حمله جبريل مسموعا

من الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى نتلوه نحن بالسنتنا فما بين الدفتين ومافي صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا كل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين *قال أبو الحسن وكان الشيخ أبو حامد شديد الانكار على الباقلاني وأصحاب الكلام قال ولم تزل الائمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينتسبوا الى الاشعرى ويتبرؤن مما بني مذهبه عليه وينهون أصحابهم وأحبابهم من الحوم حواليه على ماسمعت عدة من المشايخ والأئمة منهم الحافظ المؤتمن بن أحمد الساجي يقولون سمعنا جماعة من المشايخ الثقاة قالوا كان الشيخ أبو حامد أحمد بن طاهر الاسفرائيني امام الأئمة الذى طبق الارض علما وأصحابا اذا سعى الى الجمعة من قطيعة الكرخ الى الجامع المنصور يدخل الرباط المعروف بالروزى المحاذى للجامع ويقبل على من حضر ويقول اشهدوا علىّ بان القرآن كلام الله غير مخلوق كما قال أحمد بن حنبل لا كما يقول الباقلانى ويتكرر ذلك منه فقيل له في ذلك فقال حتي تنتشر فى الناس وفى أهل البلاد ويشيع الخبر في أهل البلاد اني بريء مما هم عليه يعنى الاشعرية وبريء من مذهب أبي بكر الباقلانى فان جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ويقرؤن عليه فيفتنون بمذهبه فاذا رجعوا الى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة فيظن ظان انهم مني تعلموه وأنا قلته وأنا بريء من مذهب الباقلاني وعقيدته *قال وسمعت الفقيه الامام أبا منصور سعد بن العجلي سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد اظن أبا اسحاق الشيرازى أحدهم قالوا كان أبو بكر الباقلانى يخرج الى الحمام مبرقعا خوفا من الشيخ أبي حامد الاسفرائيني * والكلام على ما وقع من انكار أبي حامد وغيره من أئمة الاسلام على القاضى أبي بكر مع جلالة قدره وكثرة رده على أهل الالحاد والبدع بسبب هذا الاصل الذى بني عليه مذهبه طويل ولبسطه موضع آخر *وانما المقصود هنا التنبيه على بعض من أثبت هذا الاصل ولم يوافق النفاة والحارث المحاسبي قد ذكر القولين عن أهل السنة المثبتين الصفات والقدر فقال فى كتاب فهم القرآن لما تكلم على مالا يدخل فيه النسخ وما يدخل فيه النسخ وما يظن انه متعارض من الآيات وذكر عن أهل السنة فى الارادة والسمع والبصر قولين في مثل قوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله﴾ وقوله تعالى ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ﴾ وقوله تعالى ﴿ انما أمره اذا أراد شيئا أن

يقول له كن فيكون ﴾ وكذلك قوله ﴿ انا معكم مستمعون ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾ ورسوله والمؤمنون ونحو ذلك فقال ذهب قوم من أهل السنة الى أن لله استماعا حادثا في ذاته وذكر ان هؤلاء وبعض أهل البدع تأولوا ذلك في الارادة على الحوادث قال فأما من ادعي السنة فأراد اثبات القدر فقال ارادة الله تحدث من تقدير سابق للارادة * وأما بعض أهل البدع فزعموا ان الارادة انما هي خلق حادث وليست مخلوقة ولكن بها كون الله المخلوقين قال وزعموا ان الخلق غير المخلوق وان الخلق هو الارادة وانها ليست بصفة لله من نفسه قال وكذلك قال بعضهم ان رؤيته تحدث * قال محمد بن الهيصم في كتاب جمل الكلام لما ذكر جمل الكلام وانه مبنى على خمسة فصول ﴿ أحدها ﴾ ان القرآن كلام الله وقد حكى عن جهم بن صفوان ان القرآن ليس كلام الله على الحقيقة وانما هو كلام خلقه الله فنسب اليه كما قيل سماء الله وأرض الله وكما قيل بيت الله وشهر الله * وأما المعتزلة فانهم أطلقوا القول بانه كلام الله على الحقيقة ثم وافقوا جهما في المعني حيث قالوا كلام خلقه بائنا عنه * وقال عامة المسلمين ان القرآن كلام الله على الحقيقة وانه تكلم به (والفصل الثاني) ان القرآن غير قديم فان الكلابية وأصحاب الاشعري زعموا ان الله لم يزل متكلما بالقرآن وقال أهل الجماعة انما تكلم بالقرآن حيث خاطب به جبريل وكذلك سائر الكتب (والفصل الثالث) ان القرآن غير مخلوق فان الجهمية والنجارية والمعتزلة زعموا انه مخلوق وقال أهل الجماعة انه ليس بمخلوق (والفصل الرابع) انه غير بائن منه فان الجهمية وأتباعهم من المعتزلة قالوا ان القرآن بائن من الله وكذلك سائر كلامه وزعموا ان الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى وخلق كلاما في الهواء فسمعه جبريل ولا يصح عندهم انه وجد من الله كلام يقوم به في الحقيقة * وقال أهل الجماعة بل القرآن غير بائن من الله وانما هو موجود منه وقائم به *

وذكر محمد بن الهيصم في مسألة الارادة والخلق والمخلوق وغير ذلك ما يوافق التي ليست أعيانها قديمة ولا مخلوقة وهو يحكى ذلك عن أهل الجماعة * وقال الامام عثمان بن سعيد الدارمى في كتابه المعروف بنقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمى العنيد فيما افترى على الله في التوحيد قال وادعى المعارض ان قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينزل الي السماء الدنيا حين يمضى من الليل الثلث فيقول (هل من مستغفر هل من تائب هل من داع) قال فادعى ان

لا ينزل بنفسه انما ينزل أمره ورحمته وهو على العرش وكل مكان من غير زوال لانه الحي القيوم والقيوم بزعمه من لا يزول * قال فيقال لهذا المعارض وهذا أيضا من حجج النساء والصبيان ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان لان أمر الله ورحمته تنزل في كل ساعة ووقت وأوان فما بال النبي صلى الله عليه وسلم يحد لنزوله الليل دون النهار ويوقت من الليل شطره أو الاسحار أفأمره ورحمته تدعوان العباد الي الاستغفار أو يقدر الامر والرحمة ان يتكلما دونه فيقولا (هل من داع فأجيب له هل من مستغفر فاغفرله هل من سائل فاعطيه) فان قررت مذهبك لزمك أن تدعى ان الرحمة والامر هما اللذان يدعوان الى الاجابة والاستغفار بكلامهما دون الله وهذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء * قد علمتم ذاك ولكن تكابرون وما بال أمره ورحمته ينزلان من عنده الليل ثم يمكثان الى طلوع الفجر ثم يرفعان لان رفاعة يرويه ويقول في حديثه حتى ينفجر الفجر وقد علمتم ان شاء الله ان هذا التأويل أبطل باطل ولا يقبله الا كل جاهل وأما دعواك أن تفسير القيوم الذى لا يزول عن مكانه ولا يتحرك فلا يقبل منك هذا التفسير الا بامر صحيح مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن بعض أصحابه أو التابعين لان الحي القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك اذا شاء ويهبط ويرتفع اذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس اذا شاء لان ذلك أمارة ما بين الحي والميت لان كل متحرك لا محالة حي وكل ميت غير متحرك لا محالة ومن يلتفت الي تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة اذ فسر نزوله مشروطا منصوصا ووقت له وقتا موضوحا لم يدع لك ولا لاصحابك فيه لبسا ولا عويصا قال ثم أجمل المعارض جميع ما أنكره الجهمية من صفات الله تعالى وذواته المسماة فى كتابه وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم فعد منها بضعة وعشرين صفة نقشا وأخذ يتكلم عليها ويفسرها بما حكى المريسي وفسرها وتأولها حرفا حرفا خلاف ما عنى الله ورسوله وخلاف ما تأولها الفقهاء والصالحون لا يعتمد فى أكثرها الا على المريسي فبدأ منها بالوجه * ثم بالسمع والبصر والغضب والرضا والحب والبغض والفرح والكره والضحك والعجب والسخط والارادة والمشيئة والاصابع والكف والقدمين وقوله (كل شي هالك الا وجهه فاينما تولوا فثم وجه الله)(وهو السميع البصير) (وخلقت بيدى) (وقالت اليهود يد الله مغلولة ويد الله فوق أيديهم)(والسموات مطويات بيمينه) وقوله(فانك باعيننا) (وهل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل

من الغمام والملائكة) (وجاء ربك والملك صفا صفا) (الذين يحملون العرش ومن حوله) وقوله (ويحذركم الله نفسه) (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة) (وكتب ربكم على نفسه الرحمة وتعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) (والله يحب التوابين ويحب المتطهرين) * قال عمد المعارض الى هذه الصفات فنسقها ونظم بعضها الى بعض كما نظمها شيأ بعد شيء ثم قررها أبوابا في كتابه وتلطف ردها بالتأويل كتلطف الجهمية معتمدا فيها على الرابع الجهمي بشر بن غياث المريسي عند الجهال بالتشنيع بها على قوم يؤمنون بالله ويصدقون الله ورسوله فيها بغير تكييف ولا تمثيل فزعم أن هؤلاء المؤمنين بها يكيفونها وينسبونها بذوات أنفسهم وان العلماء بزعمه قالوا ليس في شيء منها اجتهاد رأى ليدرك كيفية ذلك أو يشبه فيها شيء مما هو في الخلق قال وهذا خطأ كما أن الله ليس كمثله شيء فكذلك ليس ككيفيته شيء * قال أبو سعيد عثمان بن سعيد فقلنا لهذا المعارض المدلس بالتشنيع ان قوله كيفية هذه الصفات وتشبيهها مما هو في الخلق خطأ فانا لا نقول له كما قال هي عندنا له ونحن لا نكيفها ولا نشبهها بما هو في الخلق موجود أشد إلفا منكم غير انا كما لا نشبهها ولا نكيفها لا نكفر بها ولا نكذبها ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها امامك المريسي * قال وأما ما ذكرت من اجتهاد الرأى في تكييف صفات الله فانا لا نجيز اجتهاد الرأى في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها باعيننا ونسمعها باذاننا فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وقصرت عنها الظنون غير أنا لا نقول فيها كما قال المريسي ان هذه الصفات كلها شيء واحد وليس السمع منه غير البصر ولا الوجه منه غير اليد ولا الذات غير النفس وان الرحمن ليس يعرف بزعمكم لنفسه سمعا من بصر ولا بصرا من سمع ولا وجها من يدين ولا يدين من وجه وهو كله بزعمكم سمع وبصر ووجه وأعلا وأسفل ويد ونفس وعلم ومشيئة وارادة مثل خلق السموات والارض والجبال والتلال والهواء التي لا يعرف لشيء منها شيء من هذه الصفات والذوات ولا يوقف بها منها على شيء فالله تعالى عندنا أن يكون كذلك فقد ميز الله تعالى في كتابه السمع من البصر وذكر الآيات الواردة في ذلك فقال تعالي (انني معكما أسمع وأرى وانا معكم مستمعون) وقال (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم) ففرق بين الكلام والنظر دون السمع فقال عند السمع والصوت (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير) (ولقد

سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) ولم يقل رأى الله قول التي تجادلك في زوجها وقال تعالى في موضع الرؤية (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ولم يقل يسمع الله تقلبك ويسمع الله عملكم فلم يذكر الرؤية فيما يسمع ولا السمع فيما يرى كما انها عنده خلاف ما عندكم وذكر كلاما طويلا في الرد على النفاة ﴿قلت﴾ وكلام أهل الحديث والسنة فى هذا الاصل كثير جدا

وأما الآيات والاحاديث الدالة على هذا الاصل فكثيرة جدا يتعذر أو يتعسر حصرها لكن نذكر بعضها وقد جمع الامام أحمد كثيرا من الآيات الدالة على هذا الاصل وغيره مما يقوله النفاة وذكرها عنه الخلال فى كتاب السنة وذلك كقوله تعالى (فلما أتاها نودي ياموسي اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوي وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى) وقوله تعالى (واذ نادى ربك موسي ان ائت القوم الظالمين) وقوله تعالى (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) وقوله تعالى (فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى اني أنا الله رب العالمين) وقوله تعالى (وهل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى) فوقت النداء بقوله فلما وبقوله اذ فعلم انه كان في وقت مخصوص لم يناداه قبل ذلك وقوله تعالى ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين﴾ وقال تعالى ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فاخبر سبحانه انه قال لهم ذلك بعد ان خلق آدم وصوره لاقبل ذلك وقال تعالى ﴿ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ وقال تعالى ﴿وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق﴾ وقال تعالى ﴿بديع السموات والارض واذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون﴾ وقال تعالى ﴿انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون﴾ واذا ظرف لما يستقبل من الزمان وان الفعل المضارع للاستقبال وقال تعالى ﴿واذ قال ربك للملائكة﴾ وقال تعالى (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) وقال تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ وقال تعالى ﴿ثم استوى الي السماء وهى دخان﴾ وقال تعالى ﴿الذي خلق السموات والارض فى ستة أيام﴾ وقال تعالى ﴿هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ وقال تعالى ﴿هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾

وقال تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ وقال تعالى ﴿ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ وقال تعالى ﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ﴾ وقال تعالى ﴿ واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له ومالهم من دونه من وال ﴾ وقال تعالى ﴿ لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله ﴾ وقال موسى ﴿ ستجدني ان شاء صابرا ﴾ وقال اسماعيل ﴿ وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ﴾ وقال صاحب مدين لموسي (ستجدني ان شاء الله من الصالحين) وأدوات الشرط تخلص الفعل للاستقبال ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم من حلف فقال ان شاء الله فان شاء فعل وان شاء ترك * رواه أهل السنن واتفق الفقهاء على ذلك وكذلك ما في الصحيحين من قول النبي صلى الله عليه وسلم عن سليمان انه قال لاطوفن الليلة على تسعين امرأة تأتي كل امرأة بفارس يقاتل في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تلد منهن الا امرأة جاءت بشق ولد قال النبي صلى الله عليه وسلم فلو قال ان شاء الله لقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعين وقال تعالى ﴿ كل يوم هو في شأن ﴾ وقال تعالى ﴿ فاذهبوا بآياتنا انا معكم مستمعون ﴾ وقال تعالى لموسى وهرون ﴿ انني معكما أسمع وأرى ﴾ وقال تعالي (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلاورسلنا لديهم يكتبون ﴾ وقال تعالي (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء) وقال تعالي (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) وقال تعالى (الله نزل أحسن الحديث) وقال تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون) وقال تعالى (ومن أصدق من الله حديثا) وقال تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم) وقال تعالى (ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم وقال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال تعالى (ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم) فاخبر ان طاعته سبب لمحبته ورضاه ومعصيته سبب لسخطه وأسفه وقال تعالي (اذكروني أذكركم وجواب الشرط مع الشرط كالسبب مع مسببه ومثله في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ومن تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا من تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة) وقال تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) وأما أفعاله المتعدية

الى المفعول به الحادثة وذكرها فى القرآن العزيز فكثيرة جدا كقوله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى فسنيسره للعسرى) وقوله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا فسوف يحاسب حسابا عسيرا) وقوله تعالى (من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فاقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا) وقوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين) وقوله تبارك وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وقال تعالى (خلقكم من نفس واحدة ثم خلق منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله الا هو فانى تصرفون ﴾ وقوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ وقوله تعالى ﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبوه ﴾ وقال تعالى ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ وقوله تعالى ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذي اصطفينا من عبادنا ومثل هذا كثير فى القرآن والاحتجاج به ظاهر على قول الجمهور الذين يجعلون الخلق غير المخلوق وهو الصواب فان الذين يقولون الخلق هو المخلوق قولهم فاسد * وقد بين فساده فى غير هذا الموضع وشبهتهم انه لو كان غيره لكان ان كان قديما لزم قدم المخلوق وان كان محدثا احتاج الى خلق آخر فيلزم التسلسل وان كان قائما به فيكون محلا للحوادث وقد أجابهم الناس عن هذا كل قوم بجواب يبين فساد قولهم وطائفة منعت قدم المخلوق كالارادة فانهم سلموا انها قديمة مع حدوث المراد وطائفة منعت قيامه به وقالت لا يقوم به الخلق فلا يكون محلا للحوادث فاذا قالوا ان الخلق هو المخلوق ولا يقوم به فلان يجوز ان يكون غير المخلوق ولا يقوم به أولى وطائفة قالت لا نسلم انه اذا افتقر المخلوق المنفصل الى خلق أن يفتقر ما يقوم به من الخلق الى خلق آخر بل يكفى فيه القدرة والمشيئة فانكم اذا جوزتم وجود الحادث الذى يباينه بمجرد القدرة والمشيئة فوجود ما لا يباينه بهما أولى بالجواز وهؤلاء وغيرهم

ينازعونهم في قيام الحوادث به وطائفة منعت امتناع التسلسل في الآثار والافعال وقالت انما يمتنع في الفاعلين لا في الفعل كما قد بسط في موضع آخر

وأما الاحاديث الدالة على هذا الاصل التي في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها عن النبي صلي الله عليه وسلم فاكثر من ان يحصيها واحد كقوله في الحديث المتفق على صحته عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الحديبية على أثر سماء كانت من الليل فقال أتدرون ماذا قال ربكم الليلة قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فمن قال مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فهو كافر بي مؤمن بالكوكب* وفي الصحيحين في حديث الشفاعة يقول كل من أولي العزم من الرسل مع آدم ان ربي قد غضب اليوم غضبا شديدا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله *وقوله في الحديث الصحيح اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفوان وقوله في الحديث الصحيح ان الله يحدث من امره ما يشاء ومما أحدث ان لا تكلموا في الصلاة *وقوله صلي الله عليه وسلم في حديث التجلي المتفق على صحته من غير وجه ويقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون وقوله في الحديث المتفق عليه لله أشد فرحا بتوبة عبده المؤمن ممن أضل راحلته بارض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ اذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته* وقوله في الحديث الصحيح يضحك الله الى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة* وقوله في حديث الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة وهو حديث أبي هريرة الذي يقول الله فيه أولست قد أعطيت العهود والمواثيق ان لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني اشقي خلقك فيضحك الله منه ثم يأذن له في دخول الجنة وفي حديث بن مسعود وهو حديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم فيقول الله يا ابن آدم أيرضى ان اعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول أي رب اتستهزئ بي وانت رب العالمين وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا تسالوني مما ضحكت فقالوا لم ضحكت فقال من ضحك رب العالمين حين قال اتستهزئ بي وأنت رب العالمين فيقول اني لا أستهزئ بك ولكني على ما اشاء قادر وفي حديث أبي رزين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينظر اليكم أذلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب فقال

له أبو رزين أويضحك الرب قال نعم قال لن نعدم من رب يضحك خيرا وفى الحديث الصحيح يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدي ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله حمدنى عبدى فاذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله أثني على عبدى فاذا قال (مالك يوم الدين) قال الله مجدنى عبدى فاذا قال (اياك نعبد واياك نستعين) قال الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدى ما سأل فاذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال الله هؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المتفق عليه (ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسألني فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له حتى يطلع الفجر) وقوله فى الحديث الصحيح حديث الانصاري الذى أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله فلما أصبح الرجل وغدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد ضحك الله الليلة أو قال عجب من فعالكما أو قال من أفعالكما الليلة وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال (الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) وفى الصحيح عنه أنه قال (ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) وفى الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه اذ جاءه ثلاثة نفر فاما رجل فرأى في الحلقة فرجة فجلس فيها وأما رجل فجلس خلفهم وأما رجل فانطلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم عن هؤلاء النفر أما الرجل الذى جلس في الحلقة فرجل آوى الى الله فآواه الله وأما الرجل الذى جلس فى خلف الحلقة فاستحيي فاستحيي الله منه وأما الرجل الذى انطلق فاعرض فاعرض الله عنه وفى صحيح البخارى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقول الله تعالى من عاد الى وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الىّ عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) وفى

الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الامنافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله) وفي الصحيح عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة انا لا نكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فاذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وان الكافر اذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه) وفي الصحيحين عن أنس قال (أنزل علينا ثم كان من المنسوخ أبلغوا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) وفي حديث عمر بن مالك الرواسي قال (اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارض عني قال فاعرض عني ثلاثا فقلت يارسول الله ان الرب ليرضى فارض عني فرضي عني) وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله) وهو حينئذ يشير الى رباعيته وقال اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله) وفي صحيح مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده (اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لما قضي الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي) وفي رواية سبقت وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادى قالوا أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون) وفي صحيح مسلم عن أبى هريرة وأبي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ماجلس قوم يذكرون الله الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده) وفي الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقبض الله الارض ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض) وفى الصحيحين عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (مامنكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى الا ماقدمه وينظر أشأم منه فلا يرى الا شيأ قدمه وينظر

أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل فان لم يجد فبكلمة طيبة) وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم قال فيحفونهم باجنحتهم الى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم مايقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا قال يقول فما يسألوني قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يارب ما رأوها قال يقول لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمما يتعوذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليدنو أحدكم من ربه حتى ليقفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم يارب فيقرره ثم يقول قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وهو قوله تعالى (هاؤم اقرؤا كتابيه) وأما الكافر والمنافق فينادون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين فاخبر صلى الله عليه وسلم انه سبحانه يقول قولا ثم يقول العبد ثم يقول الرب تعالى قولا آخر وهذا الاصل العظيم دلت عليه الكتب المنزلة من الله القرآن والتوراة والانجيل وكان عليه سلف الامة وأئمتها بل وعليه جماهير العقلاء واكابرهم من جميع الطوائف حتى من الفلاسفة

﴿ فصل ﴾

﴿ وأما قوله والدليل على كونه متكلما انه آمر وناه لانه بعث الرسل لتبليغ أوامره ونواهيه ولا معني لكونه متكلما الا ذلك ﴾ فنقول السلف والأئمة وغيرهم لهم في اثبات كونه متكلما طريقان فانهم يثبتون ذلك بالسمع تارة وبالعقل أخرى كما يوجد مثل ذلك في كلام الامام أحمد وغيره من الأئمة وفي كلام متكلمة الصفاتية كعبد العزيز المكي[1] وأبي محمد بن كلاب وأبي عبد الله بن كرام

(١) هو صاحب الحيدة الذي طبع بمصر

وأبي الحسن الاشعري ونحوهم * والطرق التي أظهروها من العقليات قد دل القرآن عليها * وأرشد اليها كما دل القرآن على الطرق العقلية التي يثبت بها سائر قواعد العقائد المسماة باصول الدين ﴿ لكن الدليل ﴾ قد تتنوع عباراته وتراكيبه فانه تارة يركب على وجه الشمول المنقسم الى قياس تداخل وقياس تلازم وقياس تعاند الذي يسمى بالحملي والشرطي المتصل والشرطي المنفصل * وتارة يركب على وجه قياس التمثيل المفيد لليقين بان يجعل المشترك بين الأصل والفرع الذي يسمى في قياس التمثيل المناط والوصف والعلة والمشترك والجامع ونحو ذلك من العبارات هو الحد الاوسط في قياس الشمول فاذا قال ناظم القياس الاول نبيذ الحبوب المسكر حرام قياسا على خمر العنب لانه خمر فكان حراما قياسا عليه فهذا كما يقال في نظم قياس الشمول هذا النبيذ خمر وكل خمر حرام أو فيه الشدة المطربة وما فيه الشدة المطربة فهو حرام وما يثبت به هذه المقدمة الكبرى يثبت به كون المشترك علة الحكم وبهذا تبين ان قياس التمثيل قد يكون أتم في البيان من قياس الشمول فاما ما يقوله طائفة من النظار من أن قياس الشمول هو الذي يفيد اليقين دون التمثيل فهذا لا يصح الا بحسب المواد بان يوجد ذلك في مادة يقينية وهذا في مادة ظنية وحينئذ فقد يقال بل ذلك يفيد اليقين دون هذا وسبب غلطهم انهم تعودوا كثيراً استعمال التمثيل في الظنيات واستعمال الشمول في اليقينيات عندهم فظنوا هذا من صورة القياس وليس الامر كذلك بل هو من المادة * وقد بسط الكلام على هذا في مواضع غير هذا الموضع كالرد على الغالطين في المنطق وغير ذلك * ثم القياس تارة يعتبر فيه القدر المشترك من غير اعتبار الاولوية وتارة يعتبر فيه الاولوية فيؤلف على وجه قياس الاولى وهو ان كان قد يجعل نوعا من قياس الشمول والتمثيل فله خاصة يمتاز بها عن سائر الانواع . وهو ان يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه . وهذا النمط هو الذي كان السلف والأئمة كالامام أحمد وغيره من السلف يسلكونه من القياس العقلي في أمر الربوبية وهو الذي جاء به القرآن وذلك ان الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس الشمول الذي تستوي أفراده ولا تحت قياس التمثيل الذي يستوي فيه حكم الاصل والفرع فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه المذكورة باسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله ولكن يسلك في شأنه قياس الاولى كما قال ﴿ ولله المثل الاعلى ﴾ فانه من المعلوم ان كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا نقص فيه يكون لبعض الموجودات المخلوقة المحدثة . فالرب الخالق الصمد القيوم القديم الواجب الوجود بنفسه هو أولى به وكل نقص وعيب يجب

أن ينزه عنه بعض المخلوقات المحدثة الممكنة فالرب الخالق القدوس السلام القديم الواجب وجوده بنفسه هو أولى بان ينزه عنه

وأما اذا سلك مسلك المشبهين لله بخلقه المشركين به الذين يجعلون له عدلا وندا و مثلا فيسوون بينه وبين غيره في الامور كما يفعله أهل الضلال من أهل الفلسفة والكلام من المعتزلة وغيرهم فان ذلك يكون قولا باطلا من وجوه (منها) ان تلك القضية الكلية التي تعمه وغيره قد لا يمكنهما اثباتها عامة الا بمجرد قياس التمثيل وقياس التمثيل ان أفاد اليقين فى غير هذا الموضع ففي هذا الموضع قد لا يفيد الظن للعلم بانتفاء الفارق

﴿ ومنها ﴾ انهم اذا حكموا على القدر المشترك الذى هو الحد الاوسط بحكم يتناوله والمخلوقات كانوا بين أمرين اما أن يجعلوه كالمخلوقات أو يجعلوا المخلوقات مثله فينتقض عليهم طرد الدليل فيبطل . مثال ذلك اذا قال الفيلسوف ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد . وهو واحد فلا يصدر عنه الا واحد . فانه يحتاج أن يعلم أولا قوله الواحد لا يصدر عنه الا واحد فان هذه قضية كلية وكل قياس شمولى فلا بد فيه من قضية كلية . وعلمه بان كل واحد لا يصدر عنه الا واحد اما ان يكون باستقراء الآحاد وإما بقياس بعضها الى بعض وهذا استقراء ناقص وهذا تمثيل وهما عنده لا يفيد ان اليقين . فان قال أعلم بالبديهة ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد كان هذا مكابرة لعقله فان العلوم الكلية المطابقة للامور الخارجية ليست مغروزة فى الفطرة ابتداء بدون العلم بامور معينة منها لكن لكثرة العلم بالامور المعينة الجزئية يجرد العقل الكليات فتبقى القضية العامة ثابتة في العقل لا تحتاج الى شواهد وأمثلة جزئية الا ان يكون علم تلك القضية العقلية من تركب قضايا أخر . وقوله الواحد لا يصدر عنه الا واحد ليس من هذا ولا من هذا . ثم اذا تصور مفردات هذه القضية علم يقينا انه ليس عنده منها علم بل علم ان الواقع خلافها فان قوله الواحد ان عني به الواحد الذي لا يعلم منه أمران ليس أحدهما الآخر فليس في الوجود واحد بهذا الاعتبار فانه يعلم ان واجب الوجود موجود وانه واجب الوجود وانه عاقل ومعقول وعقل وان له عناية وأمثال هذه المعاني التى ليس أحدها هو الآخر فان الوجوب ليس هو الوجود ولا الوجوب والوجود هو العاقل ولا العاقل هو المعقول ولا العاقل والمعقول هو ذو العناية وان قال هذه كلها سلوب واضافات محضة كان مكابرا لعقله فان كون الشيء يعقل ليس

هو كونه يعقل ولا كونه عالما مجرد نسبة محضة الى المعلوم كالامور الاضافية التى لا يتغير بها حال المضاف كالتيامن والتياسر فانه من المعلوم ان كون الشيء متيامنا أو متياسرا عنك لا يختلف به حالك فى الموضعين وأما كون الشيء عالما فيخالف كونه غير عالم كما ان كونه محبا يخالف كونه غير محب وكونه قادرا يخالف كونه غير قادر ومن جعل الشيء حال كونه عالما وحال كونه غير عالم سواء فهو مصاب في عقله وهذا من أعظم السفسطة وكذلك من جعل كونه ذا عناية هو مجرد كونه عاقلا فان هذا من أعظم السفسطة والعقل الصريح يعلم ان كون الشيء عالما ليس هو مجرد كونه مريدا ولا مجرد كونه مريدا هو مجرد كونه عالما ولو قيل ان أحدهما يستلزم الآخر فالتلازم لا يوجب كون الملزوم هو اللازم واذا قيل في أي موجود فرض ان علمه هو إرادته وارادته هى حياته وأن ذلك هو وجوده كان فساد هذا من أبين الأمور فى العقل كما اذا قيل ان هـذه التفاحة طعمها هو مجرد لونها ولونها هو مجرد ريحها وريحها مجرد شكلها وشكلها هو عين ذاتها فهذا الكلام من تصوره من الناس وفهمه حتى الصبيان المميزين علم ان قائله من أضل الناس وأجهلهم فهذا الواحد الذي يصفونه يمتنع في الموجود الواجب فهو فى غيره أشدّ امتناعا ولهذا يؤول بهم الأمر الى أن يجعلوه وجودا مطلقا بشرط الاطلاق كما يجعله المعتزلة ذاتا مجردة من الصفات وكلاهما مما يعلم بصريح العقل انتفاء ثبوته في الخارج بل المطلق لا بشرط يمتنع ثبوته في الخارج وهم يجعلون موضوع العلم الالهي هذا الموجود المنقسم الى واجب وممكن وجوهر وعرض وعلة ومعلول ويجعلون هذا هو الفلسفة الأولى والحكمة العظمى وهم يعلمون ان الكليات المقسومة سواء سميت جنسا أو لم تسم جنسا لا توجد فى الخارج كلية فليس في الخارج الحيوان المنقسم الى ناطق وأعجم ولا الوجود المنقسم الى جوهر وعرض بل كل حيوان يوجد في الخارج فهو من هذا القسم وكل موجود يوجد فى الخارج فهو إما قائم بنفسه أو قائم بغيره وهو المقسوم الصادق على أقسامه فهو مطلق لا بشرط الاطلاق فانه لو شرط فيه الاطلاق لم يصدق على المعينات فان المعين ليس مطلقا بشرط الاطلاق فاذا كان المطلق لا بشرط الاطلاق لا يوجد فى الخارج فلا يوجد فيه حيوان مطلق بشرط الاطلاق ولا انسان مطلق بشرط الاطلاق وهذا بين لجميع العقلاء ثم قالوا في الموجود الواجب الوجود انه وجود مطلق بشرط الاطلاق وقد علم بصريح العقل ان الوجود المطلق بشرط الاطلاق لا يكون في الخارج وانما هو أمر يقدر

في العقل فعاد الوجود الواجب الذى أبدع العالم كله وهو ربه ومالكه الى أمر يقدر في العقل لاحقيقة له فى الخارج عن الذهن ولا ثبوت له في نفس الأمر وهـذا عين التعطيل للموجود الواجب الذى شهد به الموجود من حيث هو وجود فان الوجود من حيث هو وجود يشهد بوجود واجب الوجود كما قال ابن سينا وغيره وأصابوا في ذلك فانه لاريب ان ثم وجودا وانه اما واجب واما ممكن والممكن لابد له من واجب فثبت انه لابد فى الوجود من موجود واجب فهذا البيان الذي ذكروه في اثبات واجب الوجود حق واضح مبين لكنهم زعموا مع ذلك انه وجود مطلق بشرط الاطلاق لايتعين ولا يتخصص بحقيقة يمتاز بها عن سائر الموجودات بل حقيقته وجود محض مطلق بشرط نفي جميع القيود والمعينات والمخصصات وهم يعلمون في المنطق وكل عاقل تصور هذا الكلام ان هذا لاحقيقة له ولاوجود له إلا فى الذهن لا فى الخارج فصار الموجود الواجب الذى يشهد به الوجود في الخارج لايوجد الا فى الذهن وهـذا من أبين التناقض والاضطراب والجمع بين النقيضين حيث جعلوه بموجب البرهان الحق موجوداً في الخارج وبموجب سلب الصفات وهو التوحيد الذى تخيلوه معدوما في الخارج فصار قولهم مستلزما لوجوده وعدمه وكذلك قول من سلك سبيلهم من القرامطة الباطنية كاصحاب رسائل اخوان الصفا وأمثالهم من الاتحادية أهل وحدة الوجود كابن سبعين وابن عربي ونحوهما بل وسبيل نفاة الصفات من أهل الكلام كالمعتزلة وغيرهم بل وسبيل سائر من نفى شيأ من الصفات فان لازم كلامه تعطيله ونفيه مع اقراره بثبوته فيكون جامعا بين النقيضين وهذا مبسوط في غير هذا الموضع * وانما المقصود هنا التنبيه على مثال أقيستهم الفاسدة التى يجعلونها براهين فيما خالفوا فيه الحق ثم اذا تبين ان هذا الواحد ليس له حقيقة فى الخارج قيل لمن قال الواحد لايصدر عنه الا واحد مامعنى الصدور أنت لاتعنى به حدوثه عنه ولا فعله له بمشيئته وقدرته فلا يسبق به الفاعل مفعوله وانما تعنى به لزومه له ووجوبه به ونحن لانتصور في الموجودات شيئا صدر عنه وحده شيء منفصل عنه كان لازما له قبل هذا الوجه بل مالزمه وحده كان صفة له إما أن يكون اللازم للملزوم وحده شيئا منفصلا عنه فهذا بيان غير معقول ومعروف فهذا الصدور الذي ذكرته غير معروف فقولك في هذه القضية الكلية الواحد لا يصدر عنه الا واحد يقتضي الحكم على كل مايتصور انه واحد بانه لايصدر عنه الا واحد فاذا لم يتصور هذا الصدور

ولا يعلم صدق هذا السلب في صورة معينة من صورهذه القضية الكلية فمن أين تعلم هذه القضية الكلية واذا استدلوا على ذلك بالنار التي لايصدر عنها الا الاحراق وبسائر الاجسام البسيطة كالماء أوبالشمس التي يصدر عنها الشعاع لم يكن شئ من هذه المعينات داخلا في قضيتهم الكلية فان الاحراق لايصدر عن النار وحدها بل لابد من محل قابل للاحراق ولهذا لايصدر عنها الاحراق في السمندل والياقوت ونحوهما من الاجسام التي لاتقبل الاحراق وكذلك المبردات ثم ان الاحراق له موانع تمنعه فهو موقوف على ثبوت شروط وانتفاء موانع غير النار فلم يصر صادرا عن النار بالمعني الذي أرادوه بالحجة وهو لزومه لذات النار بحيث لا ينفك عنها وانما يعقل هذا اللزوم في صفات الملزوم كاستدارة الشمس والضوء القائم بها ونحو ذلك فان هذا لازم لها لا يفارق ذاتها بخلاف الضوء القائم بما يقابلها من الاجسام وهو الشعاع المنعكس على الاجسام المسطحة كالارض والقائمة كاشخاص الجبال والحيوان والنبات والحيطان فان هذا ليس لازماً لذات الشمس بل هو موقوف على وجود هذه الحال التي يقوم بها هذا العرض وهو ايضاً ممنوع عنها بالحجب كالسحاب الكثيف والكسوف وغير ذلك وهذا الشعاع كالظل يكون بسبب الحجاب بينها وبين مايظله الحجاب فيوجد تارة ويعدم أخرى ولهذا يوجد الليل تارة والنهار أخرى * فهذا بيان ان ما قدروه من الواحد ومن الصدور عنه أمر لا يعقل في الخارج أصلا فضلا عن أن يكون قضية كلية عامة وأما اذا قدروا واحداً يفرضونه في أنفسهم وصدورا يفرضونه في أنفسهم فلا ريب أن هذا ملازمة حكم يكون في أنفسهم لكن لا يعلم أنه مطابق للخارج حتى يعلم أن هذا الواجب الوجود هو هذا الواحد وان ابداعه للعالم هو هذا الصدور ولو علموا ذلك لم يحتاجوا الى هذا القياس * فهذا القياس لا يفيدهم شيئاً اذ مطلوبه علم معين بقضية كلية وتلك القضية لامرد لها أصلا الا ما يدعونه في ذلك المعين فهم ان علموا ثبوت الحكم لذلك المعين بدون تلك القضية لم يحتاجوا اليها وان لم يعلموا ثبوت الحكم للمعين بدون تلك القضية لم يعلم صدق القضية عليه فلايفيد بل اذا عورضوا بنقيض ما قالوه كان أبين في القياس فيقال لهم ليس في الوجود واحد يصدر عنه واحد بل كل صادر في الوجود فهو عن اثنين فصاعدا فلا حادث عن المخلوقات الا عن أصلين كالولد بين أبوين والتسخين والتدبير والاحراق والاغراق وغير ذلك لابد فيه من اثنين والشعاع المنبسط

لا بد فيه من اثنين فاذا لم يكن في الوجود واحد لا يصدر عنه واحد كان قول القائل ليس كل واحد لا يصدر عنه الا واحد أصح في العقل والقياس من قولهم بل لو قال الواحد الذي ذكروه لا يصدر عنه شئ أصلا لكان قوله أصح في العقل والقياس من قولهم وكذلك اذا قيل الواحد الذى ذكروه لا يصدر عنه شيء الا مع غيره لكان قوله أصح من قولهم وذلك يقتضي أن يكون للرب شريك وولد اذ مقصودهم بالصدور هو لزومه إياه وهذا هو التولد العقلي وحقيقة قولهم إن العقول والنفوس متولدة عنه وقولهم بالعلة والمعلول هو القول بالتولد والمتولد عنه ﴿فاستطرد شيخ الاسلام كلامهم الى أن قال﴾ فانه يحتاج أن يعلم أولا انهم (جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون * بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم * ذلكم الله ربكم لا إله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شئ وكيل * لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضع وبينا ان قول هؤلاء أفسد من قول مشركي العرب الذين قالوا ان الملائكة بنات الله وقالوا ان آلهتنا تشفع لنا فان أولئك كانوا يقولون ان الرب فاعل مختار والملائكة مخلوقون له ولكن ضلوا في بعض ما وصفوه كما ضلت النصارى في بعض ما ذكروه وأما هؤلاء فاعظم ضلالا من اليهود والنصاري ومشركى العرب فانهم في الحقيقة لا يجعلون الرب تعالى خالقا لشئ ولا يفعل فعلا بمشيئته واختياره ولا يجعلون الملائكة عباده بل يجعلون العقل الاول هو رب كل ماسوي الله والشفاعة عندهم ليست سؤالا من الله تعالى من الشافع بل توجه الى الشافع حتى يفيض منه على المستشفع ماليس لله ولا للشافع به علم عندهم ولا يحصل بقدرته ولا مشيئته * والمقصود هنا التنبيه على أن طرق السلف والائمة الموافقة للطرق التى دل القرآن عليها وأرشد اليها هى أكمل الطرق وأصحها وأكثر الناس صوابا فى العقليات أقربهم اليهم كما ان أكثرهم صوابا فى السمعيات أقربهم اليهم اذ العقل الصريح لا يخالف السمع الصحيح بل يصدقه ويوافقه كما قال تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) وقال تعالى (ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)ولهذا كان المتكلمة الصفاتية كابن كلاب والاشعري وابن كرام خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المعتزلة والمعتزلة خيرا وأصح طريقا في العقليات والسمعيات من المتفلسفة وان كان في قول كل

من هؤلاء ما ينكر عليه وما خالف فيه العقل والسمع ولكن من كان أكثر صوابا وأقوم قيلا كان أحق بان يقدم على من هو دونه تنزيلا وتفصيلا * قالت عائشة أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم وهذا من القسط الذي أمر الله به وأنزل به كتبه وبعث به رسله قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) وقال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴿ والمقصود هنا ﴾ التنبيه على طرق الناس فى اثبات كون الله متكلما تنبيها مختصرا بحسب مايحتمله جواب هذا السؤال والطرق نوعان سمعية وعقلية وان كانت العقلية هى أيضا شرعية سمعية باعتبار ان السمع دل عليها وأرشد اليها وان الشرع أحبها ودعى اليها لكن صاحب هذا المختصر انما سلك طريقا سمعية اتباعا لمتبوعه ابي عبدالله بن الخطيب وهذه الطرق مبنية على مقدمتين (احداهما) انه آمر ناه ومن كان كذلك فهو متكلم والمقدمة الاولى مدلول عليها بان الرسل بلغوا أمره ونهيه وكل من المقدمتين واضحة فان الكلام نوعان انشاء وإخبار والانشاء أمر ونهي واباحة فاذا ثبت له نوع من أنواع الكلام ثبت مطلق الكلام فثبت انه متكلم * وأما الثانية فقد علم بالاضطرار من دين جميع الرسل انهم يخبرون عن الله بانه أمر بكذا ونهي عن كذا فيلزم من ثبوت الرسالة ثبوت كلام الله تعالى وجحد كون الله متكلما هو جحد لما بلغت عنه الرسل من الامر والنهي * فان قيل فما الفرق بين هذه الطرق وبين الطرق التى أثبت بها السمع والبصر وهو السمع * قيل هناك أثبت السمع والبصر بنفس الاخبار المنفصل مثل قوله (وهو السميع البصير) وهنا أثبت تكلمه بمجرد ارسال الرسل من غير تعيين نص حيث قال علمنا ان الله أرسل رسله بتبليغ أمره ونهيه ولم يتعرض لاخبار السمع بانه متكلم * فان قيل اذا أثبت المثبت تكلمه بالسمع وجب ان يكون السمع قد علمت صحته قبل العلم بكونه متكلما لكن الرسول اذا قال ان الله أرسلني اليكم يأمركم بتوحيده وينهاكم عن الاشراك به مثلا فان لم يعلموا قبل ذلك جواز كونه متكلما لم يعلموا امكان ارساله فلا يثبت السمع * قيل الجواب من وجهين أحدهما ان ما علم بالسمع وقوعه يكفي فيه الامكان الذهنى وهو كونه غير معلوم الامتناع بل كل مخبر أخبرنا بخبر ولم نعلم كذبه جوزنا صدقه ومتى كان فيه الصدق ممكنا لم يجز التكذيب بل أمكن ان يقام الدليل الدال على صدقه ووجوب تصديقه فيجب تصديقه وهذا الموضع

يغلط فيه كثير من النظار فيظنون انه يحتاج فيما يطلب الدليل على وقوعه أو فيما قام الدليل على وجوده العلم بامكانه قبل ذلك وانما يجب ان لا يعلم امتناعه فالرسل صلوات الله عليهم تخبر بمحارات العقول ومالا تعرفه العقول أو ما تعجز عن معرفته فما علم العقل امكانه ولم يعلم هل يكون أم لا يكون تخبر الرسل بوقوعه أم عدم وقوعه ومالم يعلم بالعقل امكانه ولا امتناعه تخبر الرسل أيضا اما بامكانه واما بوقوعه المستلزم امكانه ولكن لا تخبر الرسل بوجوده ولا امكانه، وما علم عدمه لا تخبر بوجوده فلا تأتي الرسل صلوات الله عليهم بما يعلم نقيضه ولكن قد تأتي بمالم يكن يعلم كما قال تعالى ﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ وكذلك الوحي النازل على الانبياء يعلمهم مالم يكونوا يعلمون لا يأتيهم بما يعلمون خلافه قال تعالى (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

﴿ الوجه الثاني ﴾ ان يقال امكان التكلم معلوم بادني نظر العقل فانه اذا عرف انه حي عليم قدير علم انه يمكن ان يكون متكلما فان الكلام من الصفات المشروطة بالحياة والصفات المشروطة بالحياة انما تمتنع عليه سبحانه ماتمتنع منها كالنوم والاكل والشرب لتضمنها نقصا ينزه عنه وليس في الكلام نقص بل سنبين ان شاء الله انه من صفات الكمال . ونبين مايستحيل اتصافه به فهذا تقرير ما ذكره ويمكن أن يسلك في ذلك طريقا أعم مما ذكره فانه استدل بالامر والنهي خاصة والتحقيق ان الخبر يدل أيضا على انه متكلم كما ان الامر يدل على ذلك والرسل يبلغون عنه تارة الامر والنهي وتارة الخبر اما عن نفسه واما عن مخلوقاته فيبلغون خبره عن نفسه باسمائه وصفاته وخبره عن مخلوقاته بالقصص كما يبلغون الخبر عن ملائكته وأنبيائه ومن تقدم من الامم المؤمنين والمكذبين ويبلغون خبره عما يكون فى القيامة من الثواب والعقاب والوعد والوعيد بل ماتبلغه الرسل من خبره أكثر مما تبلغه من أمره والخبر فى القرآن أكثر من الامر واذا قيل لا معنى لكونه متكلما الا انه مخبر منبئ * والتحقيق ان يقال لزم من كونه آمرا ناهيا ان يكون متكلما ويلزم من كونه مخبرا منبئا أن يكون متكلما ﴿ وأما قول القائل ﴾

لامعنى لكونه متكلما الا أنه آمر ناه وانه مخبر ففيه نظر فان المتكلم يكون تارة آمراً وتارة مخبراً وهو في حالة كونه مخبرا متكلم وان لم يكن آمرا وفي حال كونه آمرا متكلم وان لم يكن مخبرا سواء قدر امكان انفكاك أحدهما عن الآخر أو قدر تلازمهما في حق بعض المتكلمين *
ولقائل أن يقول هذا الذي ذكره قليل الفائدة فانه ان كان المقصود به اثبات كونه متكلما على من يقر بالرسل فجميع هؤلاء يقرون بانه متكلم اذ لا يمكن أحدا ممن يؤمن بالتوراة أو الانجيل أو القرآن أن ينكر ان الله تكلم وهذه الكتب مملوءة بذكر ذلك وأهل الملل مطبقون على ذلك وان كان مقصوده اثبات ذلك على من لا يقر بالرسل فتقرير المسئلة تقرير لهذا * فحاصله ان ماذكره من كونه متكلما هو حقيقة أن الرسل صادقون فيما أخبروا عنه فاذا أثبت ذلك بصدق الرسل كان اثباتا للشيء بنفسه (وانما المقصود) اثبات انه متكلم حقيقة بكلام يقوم بنفسه خلافا للمتفلسفة التي تجعل كلامه انما هو تعريف فعلي وهو مايفيض على النفوس من التعريفات وللجهمية من المعتزلة وغيرهم الذين يجعلون كلامه مايخلقه في غيره من الحروف والاصوات وهذا الذي اعتنى به السلف في الرد على من يقول القرآن مخلوق خلقه الله في الهواء لم يقم به كلام فكيف بمن يقول ليس كلامه الا مايحدث في النفوس من التعريف والاعلام من غير أن يكون له كلام منفصل عن نفوس الانبياء والمرسلين * وقد بسطنا القول في مسألة الكلام واضطراب الناس فيها في غير هذا الموضع

(ولا ريب) انه سلك في هذا الاعتقاد مسلك الصفاتية المخالفين للمعتزلة * ولهذا عد هذه الصفات السبع * وأما المعتزلة فيقتصرون على انه حي عالم قادر * وقد يزيد البصريون الادراك كالسمع والبصر *

(وأما كونه متكلما ومريدا) فهذا عندهم من باب المفعولات لا من باب الصفات اذ معنى كونه متكلما عندهم انه خلق كلاما في غيره كسائر مايخلقه من المخلوقات بخلاف كونه حيا عالما قادرا أو مدركا عند البصريين فان ذلك ثبت له لذاته سواء خلق شيأ أو لم يخلقه * ولهذا كان عام التعلق لا يختص بمعلوم دون معلوم كما تختص الارادة والكلام بمراد دون مراد ومأمور دون مأمور * وهذا القدر الذي أثبته من كونه متكلما آمرا ناهيا لا ينازعه فيه معتزلي بل ولا متفلسف الهي يقر بالنبوات في الجملة كما يقر بها المتفلسفة الذين حقيقة أمرهم انهم يؤمنون ببعض الصفات

ويكفرون ببعض كما ان اليهود والنصارى يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض * (ولقائل أن يقول) ان هذا السؤال ليس لازماله في مسألة الكلام بل وفى سائر المسائل فانه لم يثبت شيأ من الصفات القائمة بنفسه وانما أثبت أحكام الصفات وأثبت الاسماء * والمعتزلة توافق على الاسماء والاحكام بل والفلاسفة أيضا توافق على اطلاق ماذكره من الاسماء والصفات فلا يكون فى هذا الاعتقاد فرق بين مذهب الصفاتية أهل الاثبات كابن كلاب والاشعري وأتباعهما ولا بين المعتزلة كابي على وأبي هاشم وأبي الحسين البصري وأمثالهم * بل هـذا الاعتقاد مشترك بين المعتزلة والاشعرية وغيرهم من الطوائف * يبين هذا انه لم يذكر في اعتقاده ماتتميز به الاشعرية عن المعتزلة ولا ذكر أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا ذكر مسألة الرؤية وان رؤية الله جائزة فى الدنيا واقعة فى الآخرة ولا ذكر أيضا مسائل القـدر * وان الله خالق أفعال العباد وانه مريد للكائنات ولا ذكر أيضا مسائل الاسماء والاحكام وان الفاسق لايخرج عن الايمان بالكلية * ولا يجب انفاذ الوعيد بل يجوز العفو عن أهل الكبائر * ولا ذكر مسائل الامامة والتفضيل * وكل هذه الاصول تذكر فى مختصرات المعتقدات التي يصنفونها متأخروا الاشاعرة كالعقيدة القدسـية لابي حامد والعقيدة البرهانية المختصرة من إرشاد أبي المعالى ونحوهما فضلا عن الاعتقاد الذي تذكره أئمة الاشعرية كالقاضي أبي بكر وذويه فانهم يزيدون على ذلك اثبات الصفات الخبرية واثبات العلو وأمثال ذلك فضلا عن الاعتقاد الذى ذكره الاشعري في المقالات عن أهل السنة وأصحاب الحديث فان فيه جملا مفصلة فضلا عما يذكره السلف والأئمة الكبار من الاثبات والتفصيل المبين للسنة الفاصل بينها وبين كل بدعة ولهذا كان أصحاب هذا المصنف مع انتسابهم الى الاشعري انما هم فى باب الصفات مقرون بما تقربه المعتزلة ولا يقرون بما تقربه الاشعرية من الزيادات وبحوث أبي عبـد الله بن الخطيب تعطيهم ذلك فان الوقت والحيرة ظاهر على كلامه في اثبات الصفات ومسألة الرؤية والكلام وأمثالها بخلاف مسائل القدر فانه جازم فيها بمخالفة المعتزلة وهذه الطريقة تشبه من بعض الوجوه طريقة ضرار بن عمرو وحسين النجار وأمثالهما ممن كان يقر بالقـدر ولكنه فى الصفات بين المعتزلة والاشعرية أو تشـبه طريقة الواقفية الذين كانوا يقفون فى القرآن فلا يقولون هو مخلوق ولا غير مخلوق * وكلام أئمة السنة فى ذم هؤلاء وكلام متكلمة الصفاتية كالاشعري وغيره في ذلك مشهور معروف

(فان قيل) فالمعتزلة لاتقر بمنكر ونكير والصراط والميزان ونحو ذلك مما ذكره هذا المصنف (قيل المعتزلة) فى ذلك على قولين منهم من يثبت ذلك ومنهم من ينفيه على ان ماذكره ليس فيه مايدل على اثبات هذه الامور وانما فيه الاقرار بكل ما أخبر به الرسول من هذه الامور وليس في المعتزلة ولاغيرهم من المسلمين من يقول لاأقر بما أخبر به الرسول بل كل مسلم يقول ان ماأخبر به الرسول فهو حق يجب تصديقه به * وكل المسلمين من أهل السنة والبدعة يقولون آمنت بالله وماجاء عن رسول الله على مرادرسول الله فانه متى لم يقر بهذا فهو كافر كفرا ظاهرا ولا يتميز بهذا القول المجمل مذهب أهل السنة عن غيرهم ولهذا لايكتفى امام من أئمة السنة بمجرد هذا ومن نقل عن الشافعي وغيره انه اكتفى بهذا فقد كذب عليه وانما هذا قول بعض المتأخرين وهو قول صحيح لا يخالف فيه الا كافر لكن العلم بالسنة مفصلا مقام آخر فالمبتدع اذا نازع السني لاينازعه فى تصديق الرسول فى كل ما أخبر به لكن ينازع هل أخبر بذلك الرسول أم لا وهل خبره على ظاهره أم لا وهو لم يثبت لاهذا ولا هذا * اذ هما من علم النقل ودلالة الالفاظ وليس فيما ذكره شيء من هذا وهذا * كما ان كلامه في التوحيد ليس مبنيا على أصول الأشعرية ولاأصول المعتزلة بل على أصول المتفلسفة فهو متردد بين الفلسفة والاعتزال واخذ من بحوث المنتسبين الى الأشعرية كالرازى ونحوه ماقد يقوله هؤلاء وهؤلاء * وكذلك يحكى عنه خواص اصحابه انه كان فى الباطن يميل الى ذلك وقد ظهر ذلك في خواص المحدثين من أصحابه كالقشيري وغيره ومعلوم انه تكلم بمبلغ علمه وحسب اجتهاده ونهاية عقله وغاية نظره * ولكن المقصود أن تعرف المقالات والمذاهب وماهى عليه من الدرجات والمراتب ليعطى كل ذي حق حقه ويعرف المسلم أين يضع رجله

(اذا تبين هذا) فنحن ننبه على مايتميز به أهل السنة عن المعتزلة ومن هو أبعد عن الحق منهم كالمتفلسفة (فنقول) اذا ثبت بهذا الدليل انه سبحانه متكلم وثبت ان الرسل أخبروا بذلك فنقول الذى أخبرت به الرسل انه متكلم بكلام قائم بنفسه هذا هو الذى نبينه وهذا هو الذي فهمه عنهم أصحابهم ثم تابعوهم باحسان بل علموا هذا من دليل الرسل بالاضطرار ولم يكن في صدر الامة وسلفها من ينكر ذلك وأول من ابتدع خلاف ذلك الجعد بن درهم ثم صاحبه الجهم بن صفوان وكلاهما قتل * أما الجعد بن درهم الذي كان يقال انه معلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية وكان يقال له الجعدى نسبة الى الجعد فانه قتله خالد بن عبدالله القسرى

ضحي به بواسط يوم النحر وقال (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيراً) ثم نزل فذبحه وكانوا أول ما أظهروا بدعتهم قالوا ان الله لا يتكلم ولا يكلم كما حكى عن الجعد وهذه حقيقة قولهم فكل من قال القرآن مخلوق فحقيقة قوله ان الله لم يتكلم ولا يكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يحب فلما رأوا ما في ذلك من مخالفة القرآن والمسلمين قالوا انه يتكلم مجازا بخلق شيأ يعبر عنه لا انه في نفسه يتكلم فلما شنع المسلمون عليهم قالوا يتكلم حقيقة ولكن المتكلم هو من أحدث الكلام وفعله ولو في غيره فكل من أحدث كلاما ولو في غيره كان متكلما بذلك الكلام حقيقة وقالوا المتكلم من فعل الكلام لا من قام به الكلام وهذا الذى استقر عليه قول المعتزلة وهم يموهون على الناس فيقولون أجمع المسلمون على أن الله متكلم ولكن اختلفوا في معنى المتكلم هل هو من فعل الكلام أو من قام به الكلام وما زعموه من أن المتكلم يكون متكلما بكلام قائم بغيره قول خرجوا به عن العقل والشرع واللغة *

وكان قدماء الصفاتية من السلف والائمة والكلابية والكرامية والاشعرية يحققون هذا المقام ويثبتون ضلال الجهمية من المعتزلة وغيرهم فيه ولكن الرازي ونحوه أعرض عنه وقال هذا بحث لفظي وزعم أنه قليل الفائدة ثم سلك مسلكا ضعيفا في الرد عليهم قد بيناه في غير هذا الموضع

وهذا غلط عظيم جدا من وجهين (أحدهما) ان المسألة اذا كانت سمعية وانت انما أثبت انه متكلم بان الرسل بلغت أمره ونهيه الذى هو كلامه كان من تمام ذلك البحث عن مراد الرسل بكونه آمراً ناهيا متكلما هل مرادهم بذلك انه خلق كلاما في غيره أو انه قام به كلام تكلم به والدلائل السمعية مقرونة بالبحث عن الفاظ الرسل ولغاتهم التي بها خاطبوا الخلق فصارت هذه المقدمة هي الركن المعتمد في الرد على المعتزلة كما سلكه قدماء الصفاتية وأئمتهم بل هي الركن المعتمد في معنى كونه متكلما اذا ثبت ذلك بالطرق السمعية (الثاني) ان المسألة ليست لغوية فقط بل كون الصفة اذا قامت بمحل هل يعود حكمها على ذلك المحل أو على غيره هو من البحوث العقلية النافعة في هذا المقام والسلف رضي الله عنهم عرفوا حقيقة المذهب وردوه بناء على هذا الاصل كما ذكره البخاري في كتاب خلق الافعال وقال قال ابن مقاتل سمعت ابن المبارك يقول من قال اني أنا الله لا إله الا أنا مخلوق فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك وقال انا

لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية وقال سليمان بن داود الهاشمي من قال ان القرآن مخلوق فهو كافر وان كان القرآن مخلوقا كما زعموا فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار اذ قال (أنا ربكم الأعلى) وزعموا ان هذا مخلوق ومن قال اني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني مخلوق فهذا أيضا قد ادعى ما ادعى فرعون فلم صار فرعون أولى بان يخلد في النار من هـذا وكلاهما عنده مخلوق فاخبر بذلك أبو عبيد فاستحسنه وأعجبه * قال البخاري قال أبو لوليد سمعت يحيي بن سعيد وذكر له ان قوما يقولون القرآن مخلوق فقال كيف يصنعون بقل هو الله أحد الله الصمد كيف يصنعون بقوله اني أنا الله لا إله الا أنا * وروى عن وكيع بن الجراح انه قال لا تستخفوا بقولهم القرآن مخلوق فانه من شر قولهم انما يذهبون الي التعطيل *

ومعنى كلام السلف ان من قال ان كلام الله مخلوق فحقيقة قوله ان الله تعالى لا يتكلم وان المحل الذي قام به انني أنا الله لا إله الا أنا هو المدعى الالهية كما ان فرعون لما قام به أنا ربكم الاعلى كان مدعيا للربوبية وكلام السلف مبنى على ما يعلمونه من ان الله خالق أفعال العباد وأقوالهم واذا كان كلامه ما خلقه في غيره كان كل كلام كلامه وكان كلام فرعون كلامه اذ المتكلم من قام به الكلام فلا يكون متكلما بكلام يكون في غيره كسائر الصفات والافعال فانه لا يكون عالما بعلم يقوم بغيره ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره * ولا حيا بحياة تقوم بغيره * وكسائر الموصوفين فان الشيء لا يكون حيا عالما قادرا بحياة أو علم أو قدرة تقوم بغيره ولا يكون متحركا أو ساكنا بحركة أو سكون يقوم بغيره كما لا يكون متلونا بلون يقوم بغيره

﴿وهنا﴾ أربع مسائل مسألتان عقليتان ومسألتان سمعيتان لغويتان ﴿الاولى﴾ ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها الى ذلك المحل فكان هو الموصوف بها فالعلم والقدرة والكلام والحركة والسكون اذا قام بمحل كان ذلك المحل هو العالم القادر المتكلم أو المتحرك أو الساكن * ﴿الثانية﴾ ان حكمها لا يعود على غير ذلك المحل فلا يكون عالما بعلم يقوم بغيره ولا قادرا بقدرة تقوم بغيره ولا متكلما بكلام يقوم بغيره ولا متحركا بحركة تقوم بغيره وهاتان عقليتان *

﴿الثالثة﴾ انه يشتق لذلك المحل من تلك الصفة اسم اذا كانت تلك الصفة مما يشتق لمحلها منها اسم كما اذا قام العلم أو القدرة أو الكلام أو الحركة بمحل قيل عالم أو قادر أو متكلم أو متحرك بخلاف اصناف الروائح التي لا يشتق لمحلها منها اسم * ﴿الرابعة﴾ انه لا يشتق الاسم لمحل لم يقم به تلك

الصفة فلا يقال لمحل لم يقم به العلم أو القدرة أو الارادة أو الكلام أو الحركة انه عالم أو قادر أو مريد أو متكلم أو متحرك *

والجهمية والمعتزلة عارضوا هذا بالصفات الفعلية فقالوا انه كما انه خالق عادل بخلق وعدل لا يقوم به بل هو موجود في غيره فكذلك هو متكلم مريد بكلام وارادة لا تقوم به بل يقول الكلام بغيره ممن سلم لهم هذا النقض كالاشعرى ومن اتبعه من أصحاب مالك والشافعي وأحمد أظهر تناقضهم ولم يجيبوهم بجواب مستقيم وأما السلف وجمهور المسلمين من جميع الطوائف فانهم طردوا أصلهم وقالوا بل الافعال تقوم به كما تقوم به الصفات والخلق ليس هو المخلوق وذكر البخارى ان هذا اجماع العلماء ومن قال الصفات تنقسم الى صفات ذاتية وفعلية ولم يجعل الافعال يقوم به فكلامه فيه تلبيس فانه سبحانه لا يوصف بشيء لا يقوم به وان سلم انه يتصف بما لا يقوم به فهذا هو أصل الجهمية الذين يصفونه بمخلوقاته ويقولون انه متكلم ومريد وراض وغضبان ومحب ومبغض وراحم لمخلوقات يخلقها منفصلة عنه لا بامور تقوم بذاته

﴿اذا تبين ذلك﴾ فالسلف لما علموا هذا علموا ان قول من قال انى أنا الله لا إله الا أنا مخلوق يوجب أن يكون هذا الكلام كلاما للشجرة لا كلاما لله لانه قام بالشجرة لم يقم بالله * كما ان كلام فرعون قام به وان كان الله خالق ذلك كله فانه خالق العباد وأفعالهم وكلامهم وهذا أيضا مما يبين انه لو كان من يخلق الكلام في غيره متكلما لوجب أن يكون كل كلام في الوجود كلامه وهذا يقوله غالية الجهمية الاتحادية كصاحب الفصوص ونحوه فانه يقول

وكل كلام فى الوجود كلامه * سواء علينا نثره ونظامه

ومعلوم ان هذا الكلام أعظم من كفر عباد الاصنام * كما ذكره ابن مبارك وغيره من السلف وأيضا فان الله تعالى قد أنطق أشياء كما قال تعالى (يوم تشهد عليهم السنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هو الحق المبين) وقال (حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) فهو منطق كل شيء وخالق نطقه ولا نزاع انه خالق النطق في غير الحي المختار وانما نازعت القدرية في خلق أقوال الاحياء وأفعالهم فان كان حقيقة كلامه ماخلقه في غيره من الكلام فهذا جميعه كلامه ومافي هذا الكلام المخلوق من ضمير المتكلم

إما أن يعود الى خالقه أو الى محله فان عاد الى خالقه كانت شهادة الاعضاء شهادة الله وكان قول فرعون أنا ربكم الأعلى قولا لله وكان قولهم لجلودهم لم شهدتم علينا قولا لله وكان قول الجلود أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء بمعنى انطقت نفسي ولم يكن فرق عندهم بين نطق وانطق وان عاد الضمير الى محله كان الكلام المخلوق في الشجرة انى أنا الله لا إله الا أنا كلاما للشجرة فتكون الشجرة هي القائلة انى أنا الله لا إله الا أنا وهذا حقيقة قولهم لما ثبت من أن الكلام كلام لمن قام به فيكون ضمير المتكلم فيه عائدا الى محله ولما كان هذا المعنى مستقرا في فطر الناس وعقولهم كان السلف يقصدون بمجرد قولهم القرآن كلام الله الرد على هؤلاء الجهمية الذين حقيقة قولهم ان القرآن ليس كلام الله وانما هو كلام لجسم مخلوق وحقيقة قولهم ان الله لم يكلم موسى وانما كلمه مخلوق من مخلوقاته قال البخارى قال عبد الرحمن بن عفان سمعت سفيان بن عيينة فى السنة التى ضرب فيها المريسي فقام ابن عيينة من مجلسه مغضبا قال ويحكم القرآن كلام الله قد صحبت الناس وادركتهم هذا عمرو بن دينار وهذا ابن المنكدر حتى ذكر منصورا والاعمش ومسعر بن كدام فقال ابن عيينه قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر وأمرونا باجتناب القوم فما نعرف القرآن الا كلام الله ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله وما أشبه هذا القول بقول النصارى لا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم وابن عيينة أخرج هذا القول عن الرفض والاعتزال لان المعتزلة أولا الذين كانوا فى زمن عمرو ابن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية وانما كانوا يتكلمون في الوعيد وانكار القدر وانما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا ولهذا لما ذكر الامام أحمد ابن حنبل في رده على الجهمية قول جهم قال فاتبعه قوم من أصحاب عمر وابن عبيد وغيره واشتهر هذا القول عن أبى الهذيل العلاف والنظام وأشباههم من أهل الكلام وأما الرافضة فلم يكن في قدمائهم من يقول بنفى الصفات بل كان الغلو في التجسيم مشهوراً عن شيوخهم هشام بن الحكيم وأمثاله . وقال البخارى حدثنى الحكم بن محمد الطبري كتبت عنه بمكة قال حدثنا سفيان بن عيينة قال أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق . قلت كان المريسى قد صنف كتابا فى نفي الصفات وجعل يقرؤه بمكة فى أواخر حياة ابن عيينة فشاع بين علماء أهل مكة ذلك وقالوا صنف كتابا فى التعطيل فسعوا فى عقوبته وحبسه وذلك قبل أن يتصل بالمأمون ويجرى من المحنة ما جرى . وقول بن عيينة ما أشبه هذا الكلام بكلام النصاري هو كما قال كما

قد بسط في غير هذا الموضع فان عيسي مخلوق وهم يجعلونه نفس الكلمة لا يجعلونه المخلوق بالكلمة وأيضاً فثمة نصارى كغشتكين أحد فضلائهم الا كابر يقولون ان الله ظهر في صورة البشر متراائيا لنا كما ظهر كلامه لموسى في الشجرة فالصوت المسموع هو كلام الله وان كان خلقه في غيره وهذا المرئي هو الله وان كان قد حل في غيره . قال البخاري وقال علي بن عاصم ما الذين قالوا بأن لله ولدا أكفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم . قال وقال علي ابن عبد الله يعني بن المديني القرآن كلام الله من قال انه مخلوق فهو كافر لا يصلي خلفه . قال وقال أبو الوليد من قال القرآن مخلوق فهو كافر ومن لم يعقد قلبه على ان القرآن ليس بمخلوق فهو خارج عن الاسلام قال وقال أبو عبيد نظرت في كلام اليهود والنصارى والمجوس فما رأيت قوما أضل في كفرهم منهم واني لاستجهل من لا يكفرهم الا من لا يعرف كفرهم . قال وقال معاوية بن عمار سمعت جعفر بن محمد يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق . وهذا باب واسع كبير منتشر في كتب السنة والحديث . فهذا تمام ما قرره في مسألة الكلام

﴿ فصل ﴾

وللناس طرق أخرى في اثبات كون الله متكلما منها ما في القرآن من الاخبار عن ذلك كقوله تعالى (قال الله ويقول الله) وقوله (وكلم الله موسى تكليما) وقوله (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) وماذكره في القرآن من كلمة وكلماته كقوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك) وقوله (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا) ومافيه من ذكر مناداته ومناجاته كقوله (وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا) وقوله (ويوم يناديهم أين شركائي الذين كنتم تزعمون * ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين واذ نادي ربك موسى ان ائت القوم الظالمين) ومافي القرآن من ذكر أنبائه وقصصه كقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) وقوله (نحن نقص عليك أحسن القصص) وما في القرآن من ذكر حديثه كقوله ﴿ الله لا إله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا ﴾ وقوله ﴿ الله نزل أحسن الحديث ﴾ من القول منه وقوله(ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وقوله تعالي(قوله الحق وله الملك)الآية وما ذكر في القرآن انه منه أو ما أضيف اليه فان كان عينا قائمة بنفسها أو أمرا قائما بتلك العين كان مخلوقا كقوله في عيسى (وروح منه) وقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه)

وقوله تعالى (ومابكم من نعمة فمن الله) * وأما ما كان صفة لاتقوم بنفسها ولم يذ كرلها محل غير الله كان صفة له فـكالقول والعلم والامر اذا أريد به المصدر كان المصدر من هذا الباب كقوله تعالى (ألاله الخلق والأمر) * وان أريد به المخلوق المكون بالامر كان من الاول كقوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) * وبهذا يفرق بين كلام الله سبحانه وعلم الله وبين عبد الله وبيت الله وناقة الله وقوله (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشريا سويا * وهذا أمر معقول في الخطاب فاذا قلت علم فلان وكلامه ومشيئته لم يكن شيئا بائنا عنه * والسبب فى ذلك ان هذه الامور صفات لماتقوم به فاذا أضيفت اليه كان ذلك اضافة صفة لموصوف اذلو قامت بغيره لكانت صفة لذلك الغير لالغيره *

واعلم ان الاستدلال على الكلام بمثل هذه السمعيات أكمل من الاستدلال على السمع والبصر بالسمعيات لان ماأخبر الله به عن نفسه من قوله وكلامه ونبأه وقصصه وأمره ونهيه وتكليمه ونداثه ومناجاته وأمثال ذلك اضعاف اضعاف ماأخبر به من كونه سميعا بصيراً * وأيضا فانه نوع الاخبار عن كل نوع من أنواع الكلام وثنى ذلك وكرره فى مواضع ولايحصي مافي القرآن من ذلك الا بكلفة ومن المعلوم بالاضطرار ان المخاطبين لايفهمون من هذا الكلام عند الاطلاق انه خلق صوتا فى غيره وانما يفهمون منه هو الذى تكلم بذلك وقاله كما قالت عائشة في حديث الافك ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فى بوحى يتلى * فلوكان المراد بهذه الجمل الكثيرة العظيمة البينة الصريحة خلاف مفهومها ومقتضاها لوجب بيان ذلك اذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لايجوز * ثم لايقدر أحد أن يحكى عنهم انهم جعلوا الكلام كلاما لمن أحدثه فى غيره بل لايوجد فى كلامهم قال ويقول تكلم ويتكلم الا اذا كان الكلام قائما بذاته * واذا احتجت الجهمية من المعتزلة ونحوهم بان أحدنا انما كان متكلما لانه فعل الكلام * قيل هو لم يحدثه فى غيره ولم يباين كلامه نفسه وانتم تجعلون الكلام البائن للمتكلم كلاما له فان قالوا ولا نعقل الكلام الا كلاما لمن فعله بمشيئته وقدرته فان كلام أحدنا لم يكن كلاما له بمجرد قيامه بذاته بل لكونه فعله * قيل أما كلام أحد فهو قائم به وهو تكلم به فى ذاته ومشيئته وقدرته فهو قد جمع الوصفين انه قائم بذاته وانه تكلم به بمشيئته وقدرته فليس جعلكم الكلام كلامه لمجرد كونه فعله باولى من جعل غيركم الكلام كلاما له لمجرد كونه قام بذاته

وهذا موضع تنازعت فيه الصفاتية بعد اتفاقهم على تضليل الجهمية من الفلاسفة والمعتزلة ونحوهم على قولين مشهورين حتى القائلون بان الكلام معني قائم بنفس المتكلم وراء الاصوات تنازعوا فى ذلك كما ذكره أبو محمد بن كلاب فيما حكاه عنه أبو بكر بن فورك * قال بن فورك فاما صريح عبارته وما نص عليه فى كتاب الصفات الكبيرة فى تحقيق الكلام فانه قال فاما الكلام فانه على ما شاهدناه منه معني قائم بالنفس فقوم يزعمون أنه نعت لها وقوم يزعمون أنه فعل من أفعالها الا أنهم يعبر عنه بالالفاظ والكتاب والايماء وكل ذلك قد يسمى كلاما وقولا لادائه مايؤدي عن تلك المعاني الخفيات * وكذلك أبو بكر عبد العزيز ذكر فى كتابه ما ذكره القاضى أبو يعلي عنه أن أصحاب الامام أحمد تنازعوا فى معنى قولهم القرآن غير مخلوق هل المراد به أنه صفة لازمة له كالعلم والقدرة أو أنه يتكلم اذا شاء ويسكت اذا شاء وهذه المسألة متعلقة بمسئلة قيام الافعال بذاته المتعلقة بمشيئته هل يجوز أم لا كالاتيان والمجيء والاستواء ونحو ذلك * وتسمي مسألة حلول الحوادث وكل طائفة من طوائف الامة وغيرهم فيها على قولين حتى الفلاسفة لهم فيها قولان لمتقدميهم ومتأخريهم * وذكر أبو عبدالله الرازى أن جميع الطوائف تلزمهم هذه المسألة وان لم يلتزموها * وأول من صرح بنفيها الجهمية من المعتزلة ونحوهم ووافقهم على ذلك أبو محمد بن كلاب وأتباعه كالحارث المحاسبي وأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الاشعرى ومن وافقهم من اتباع الائمة كالقاضي أبي يعلي وأبي الوفاء بن عقيل وأبي الحسن بن الزاغوني وهو قول طائفة من متأخرى أهل الحديث كابي حاتم البستي والخطابي ونحوهما وكثير من طوائف أهل الكلام يثبتها كالهشامية والكرامية والزهيرية وأبي معاذ التومني وأمثالهم كما ذكره الاشعرى عنهم فى المقالات وهو قول أساطين فلاسفة المتقدمين * وكابى البركات صاحب المعتبر وأمثاله من المتفلسفة وهو قول جمهور أئمة الحديث كما ذكره عثمان بن سعيد الدارمي وامام الائمة أبو بكر بن خزيمة وغيرهما عن مذهب السلف والائمة وكما ذكره شيخ الاسلام أبو اسماعيل الانصارى وأبو عمر بن عبد البر النمري وقاله طوائف من أصحاب أحمد كالخلال وصاحبه وابى حامد وأمثالهم وقاله داود بن علي الاصفهاني واتباعه وهو مقتضى ماذكروه عن السلف والائمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم الى عبد الله بن المبارك وأحمد ابن حنبل والبخارى صاحب الصحيح وأمثالهم وعليه يدل كلام السلف فهؤلاء اذا قالوا المتكلم

من قام به الكلام وهو يتكلم بمشيئته وقدرته خصموا المعتزلة وانقطعت حجتهم عنهم فانهم اعتبروا الوصفين جميعا فمن جعل المتكلم من قام به الكلام وان لم يكن متكلما بمشيئته وقدرته أو جعله من فعله بمشيئته وقدرته وان لم يكن قائما به لحذف أحد الوصفين

ولا ريب أن الطرق الدالة على الاثبات والنفي اما السمع واما العقل * ﴿أما السمع﴾ فليس مع النفاة منه شيء بل القرآن والاحاديث هي من جانب الاثبات كقوله تعالى (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقوله تعالى (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) وقوله (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وقوله (خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش) وقوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) وقوله (هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك) وأمثال ذلك مما في القرآن فانه كثير جدا * وكذلك الاحاديث الصحيحة كقوله عليه الصلاة والسلام لما صلى بهم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل (أتدرون ماذا قال ربكم الليلة قالوا الله ورسوله أعلم قال فانه قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بالكوكب) وما يذكره من خطابه للعباد يوم القيامة وخطابه للملائكة وأمثال ذلك بل كلما تحتج به المعتزلة على أن القرآن مخلوق من نحو هذا فانه لا يدل على انه بائن منه وانما يدل على انه يتكلم بمشيئته وقدرته فيمكن هؤلاء التزامه ويكون قولهم متضمنا للايمان بجميع ما أنزله الله مما يدل على انه يتكلم بمشيئته وقدرته وعلى ان كلامه غير مخلوق بخلاف غيرهم فانه يقرر بعض النصوص ويرد بعضها بتحريف أو تفويض ومن جعله متكلما بمشيئته وقدرته وقال ان كلامه قائم به زال عنه هذا كله والمنازع لهم يحتاج أن يقرر بالعقل امتناع ذلك ثم يبين انه يمكن تأويله

﴿فاما الطرق العقلية﴾ فالمثبتون يقولون أنها من جانبهم دون جانب النفاة كما تزعم النفاة أنها من جانبهم وذلك أنهم قالوا أن قدرته على ما يقوم به من الكلام والفعل صفة كمال كما أن ما يقوم به من العلم والقدرة صفة كمال ومن المعلوم أن من قدر على أن يفعل ويتكلم أكمل ممن لا يقدر على ذلك * كما أن قدرته على أن يبدع الاشياء صفة كمال والقادر على الخلق أكمل ممن لا يقدر على الخلق وقالوا الحي لا يخلوا عن هذا والحياة هي المصححة لهذا كما هي المصححة لسائر الصفات واذا قدر حي لا يقدر على أن يفعل بنفسه ويتكلم بنفسه كان عاجزا بمنزلة الزمن والاخرس

كما أنه اذا قدر حيّ لا يسمع ولا يبصر كان أصم أعمى * فما من طريق يسلكه الصفاتية في اثبات صفاته الا يسلك هؤلاء نظيره من اثبات ذلك

ولا ريب ان النفاة نوعان (أحدهما) وهم الاصل المعتزلة ونحوهم من الجهمية فهؤلاء ينفون الصفات مطلقا وحجتهم على نفي قيام الافعال به من جنس حجتهم على نفي قيام الصفات به * وهم يسوون في النفي بين هذا وهذا كما صرحوا بذلك وليس لهم حجة تختص بنفس قيام الحوادث وأما مثبتة الصفات الذين ينفون الافعال الاختيارية القائمة به كابن كلاب والاشعري فانهم فرقوا بين هذين بانه لو جاز قيام الحوادث به لم يخل منها لان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث وبهذا استدلوا على حدوث الاجسام لانها لا تخلو من الاعراض الحادثة كالحركة والسكون والاجتماع والافتراق (فاجابهم الاولون) بثلاثة أجوبة (أحدها) ان استدلالكم بقيام الافعال به على حدوثه هو نظير استدلال المعتزلة بقيام الصفات به على حدوثه وقالوا الصفات أعراض والاعراض لا تقوم الا بجسم فقرقتم أنتم بين الصفات وهي اللازمة وبين الاعراض وهو فرق صوري يرجع في الحقيقة الى الاصطلاح فان جاز أن تقوم به الصفات التي هي أعراض في غيره ولا يكون جسما محدثا جاز أن تقوم به الافعال التي هي حركات في غيره ولا يكون جسما محدثا وهذا الزام *

(الثاني) قالوا لهم لا نسلم ان القابل للشيء لا يخلو عنه وعن ضده. وقد اعترف أبو عبد الله الرازي وأبو الحسن الآمدي ونحوهما بفساد هذا الاصل وعليه بنى الاشعري واصحابه كلامهم في مسألة امتناع قيام الحوادث به ومسألة القرآن ونحوهما من المسائل *

(الثالث) هب انه لا يخلو عنه وعن ضده وان ذلك يستلزم تعاقب الحوادث لكن لا نسلم ان ذلك يستلزم حدوث ما قام به * قالوا والدليل الذي ذكرتموه على حدوث العالم من هذا الوجه دليل ضعيف وقد الزمكم الفلاسفة فيه الزاما لم تنفصلوا عنه ولا يمكنكم الانفصال عنه الا بتجويز ذلك على القديم فانهم قالوا ما حدث بعد ان لم يكن فلابد له من سبب حادث فان ذلك الحادث ممكن والممكن لا يترجح أحد طرفيه على الآخر الا بمرجح والمرجح ان لم يجب حصول الممكن عند حصوله لم يكن مرجحا تاما فافتقر الى تمامه * ثم القول في حدوث ذلك التمام كالقول في حدوث الاول فلا بد من مرجح تام يجب عنده الحادث فلابد لكل حادث من سبب تام يحصل

الحادث عند تمام ذلك السبب فاذا كان العالم محدثا بعد ان لم يكن ولم يحدث سبب يقتضى حدوثه فلم يكن حين ابداعه أمر يوجب ترجيحه لم يكن قبل ابداعه بل الحالان سواء فيلزم ترجيح الحدوث بلا مرجح *

وهذا الموضع هو أصعب المواضع على المتكلمين فى بحثهم مع الفلاسفة في مسألة حدوث العالم* وهذه الشبهة أقوى شبه الفلاسفة فانهم لما رأوا ان الحدوث يمتنع الا بسبب حادث قالوا والقول في ذلك الحادث كالقول في الاول * وقال هؤلاء المثبتة لقيام الافعال الاختيارية بالله تعالى وعلى أصلنا يبطل كلام الفلاسفة فانه يقال لهم أنتم تجوزون قيام الحوادث بالقديم اذ الفلك قديم عندكم والحركات تقوم به * وتجوزون حوادث لا أول لها وتعاقب الحركات على الشيء لا يستلزم حدوثه واذا كان كذلك فلم يجوز أن يكون الخالق للعالم له افعال اختيارية تقوم به يحدث بها الحوادث ولا يكون تسلسلها وتعاقبها دليلا على حدوث ماقامت به * قال هؤلاء لاصحابهم الذين اثبتوا حدوث العالم بهذه الطرق تسلط عليكم الفلاسفة فى مسألة حدوث العالم فانكم اذا أثبتم حدوث العالم وقلتم المحدث لابد له من محدث لان تخصيص الحوادث ببعض الاوقات دون بعض لابد له من مخصص قال لكم الدهرية فانتم تجوزون الحدوث من غير سبب حادث يقتضى التخصيص ببعض الحوادث دون بعض * فان قلتم القديم يخصص مثلا عن مثل بلا سبب أصلا جوزتم تخصيص أحد المثلين على الآخر بغير مخصص وهذا يفسد عليكم اثبات العلم بالصانع وهو المقصود بطريقكم فسلكتم طريقا لم تحصل المقصود من العرفان * وسلطتم عليكم أهل الضلال والعدوان * كمن أراد أن يغزو العدو بغير طريق شرعى فلا فتح بلادهم ولا حفظ بلاده بل سلطهم حتى صاروا يحاربونه بعد ان كانوا عاجزين عنه * ولهذا ذم السلف والائمة أهل الكلام المحدث المخالف للكتاب والسنة اذ كان فيه من الباطل فى الادلة والاحكام ما أوجب تكذيب بعض ما أخبر به الرسول وتسلط العدو على أهل الاسلام وليس هذا موضع بسط الكلام في هذه الامور الكبيرة العظيمة * بل نبهنا عليها تنبيها مختصرا بحسب ما يحتمله هذا المقام * فان الكلام في مسألة الكلام حير عقول أكثر الانام * الذين ضعفت معرفتهم واتباعهم لما بعث الله به رسله الكرام * ولهم طرق سمعية في تقريره يطول ذكرها

﴿وأما الطرق العقلية﴾ فمن وجوه ﴿أحدها﴾ أن الحي اذا لم يتصف بالكلام لزم اتصافه بضده كالسكوت والخرس وهذه آفة يتنزه الله عنها فتعين اتصافه بالكلام وهذا المسلك يسلكونه في اثبات كونه سميعا بصيرا أيضا فانه اذا كان حيا ولم يكن سميعا بصيرا لزم اتصافه بضد ذلك من الصمم والعمى ﴿الثاني﴾ أن الكلام صفة كمال وهنا من جعله صفة لا تتعلق بمشيئته واختياره جعله كالعلم والقدرة ومن قال إنه يتعلق بمشيئته وقدرته قال كونه متكلما يتكلم اذا شاء صفة كمال * وقد يقول بطرد ذلك في كونه فاعلا الافعال الاختيارية القائمة بنفسه ويجعل هذا كله من صفات الكمال وقد يقول القدرة على ذلك هي صفة الكمال اذ الكمال لا يجوز أن يفارق الذات فانه لم يزل ولا يزال كاملا مستحقا لجميع صفات الكمال * فالقدرة على كونه يقول ماشاء ويفعل ماشاء صفة كمال فالقدرة وحدها غير القدرة مع ما يقترن بها من المقدورية * وهذا ينبني على أن ما يقوم به من ذلك هل كله مسبوق بالعدم أو لم يزل ذلك يقوم به * وفيه لهم قولان * أحدهما أنه مسبوق بالعدم كما تقوله الكرامية وغيرهم * والثاني أنه ليس مسبوقا بالعدم وهو مذهب أكثر أهل الحديث وكثير من أهل الكلام والفقه والتصوف * ﴿الثالث﴾ أن يقال المخلوق ينقسم الى متكلم وغير متكلم والمتكلم أكمل من غير المتكلم وكل كمال هو في المخلوق مستفاد من الخالق فالخالق به أحق وأولى ومن جعله لا يتكلم فقد شبهه بالموات والجماد الذي لا يتكلم وذلك صفة نقص اذ المتكلم أكمل من غيره قال تعالى في ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر (أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقال في الآية الاخرى (ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا) وقال تعالى (ضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) فعاب الصنم بانه أبكم لا يقدر على شيء اذ كان من المعلوم أن العجز عن النطق والفعل صفة نقص فالنطق والقدرة صفة كمال * والفرق بين هذه الطريق وبين التي قبلها أن هذه استدلال بما في المخلوق من الكمال على أن الخالق أحق به وأنه يمتنع أن يكون مضاهيا للناقص والاولى أنه مستحق لصفات الكمال من حيث هي هي مع قطع النظر عن كونها ثابتة في المخلوقات لامتناع النقص عليه بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى *

﴿ فصل ﴾

﴿ قال ﴾ والدليل على كونه سميعا بصيرا السمعيات ﴿ قلت ﴾ اثبات كونه سميعا بصيرا وانه ليس هو مجرد العلم بالمسموعات والمرئيات هو قول أهل الاثبات قاطبة من أهل السنة والجماعة من السلف والائمة وأهل الحديث والفقه والتصوف والمتكلمين من الصفاتية كابي محمد بن كلاب وابي العباس القلانسي وأبي الحسن الاشعرى وأصحابه وطائفة من المعتزلة البصريين بل قدماؤهم على ذلك ويجعلونه سميعا بصيرا لنفسه كما يجعلونه عالما قادرا لنفسه * واثبات ذلك كاثبات كونه متكلما بل هو أقوى من بعض الوجوه فان المعتزلة البصريين يثبتون مدركا مثل كونه عليما قديرا بخلاف كونه متكلما فانه من باب كونه خالقا

وللناس في اثبات كونه سميعا بصيرا طرق ﴿أحدها﴾ السمع كما ذكره وهو ما فى الكتاب والسنة من وصفه بانه سميع بصير ولا يجوز أن يراد بذلك مجرد العلم بما يسمع ويرى لان الله فرق بين العلم وبين السمع والبصر * وفرق بين السمع والبصر وهو لا يفرق بين علم وعلم لتنوع المعلومات قال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم) وفى موضع آخر (انه سميع عليم) قال تعالى (فان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) ذكر سمعه لاقوالهم وعلمه ليتناول باطن أحوالهم وقال لموسى وهرون (انني معكما أسمع وأرى) وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ على المنبر (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) ووضع ابهامه على أذنه وسبابته على عينه * ولا ريب أن مقصوده بذلك تحقيق الصفة لا تمثيل الخالق بالمخلوق * فلو كان السمع والبصر العلم لم يصح ذلك

﴿ الطريق الثانى ﴾ انه لو لم يتصف بالسمع والبصر لا تصف بضد ذلك وهو العمى والصمم كما قالوا مثل ذلك في الكلام وذلك لان المصحح لكون الشئ سميعا بصيرا متكلما هو الحياة فاذا انتفت الحياة امتنع اتصاف المتصف بذلك فالجمادات لا توصف بذلك لانتفاء الحياة فيها واذا كان المصحح هو الحياة كان الحي قابلا لذلك فان لم يتصف به لزم اتصافه باضداده بناء على ان القابل للضدين لا يخلو من اتصافه باحدهما اذ لو جاز خلو الموصوف عن جميع الصفات المتضادات لزم وجود عين لا صفة لها وهو وجود جوهر بلا عرض يقوم به * وقد علم بالاضطرار

امتناع خلو الجواهر عن الاعراض وهو امتناع خلو الاعيان والذات عن الصفات وذلك بمنزلة أن يقدر المقدر جسما لا متحركا ولا ساكنا ولا حيا ولا ميتا ولا مستديرا ولا ذا جوانب ولهذا أطبق العقلاء من أهل الكلام والفلسفة وغيرهم على انكار زعم من زعم تجويز وجود جوهر خال عن جميع الاعراض وهو الذي يحكي عن قدماء الفلاسفة من تجويز وجود مادة خالية عن جميع الصور ويذكر هذا عن شيعة أفلاطون وقد رد ذلك عليهم أرسطو وأتباعه * وقد بسطنا الكلام فى الرد على هؤلاء فى غير هذا الموضع وبينا ان ما يدعيه شيعة أفلاطون من اثبات مادة فى الخارج خالية عن جميع الصور ومن اثبات خلاء موجود غير الاجسام وصفاتها ومن اثبات المثل الافلاطونية وهو اثبات حقائق كلية خارجة عن الذهن غير مقارنة للاعيان الموجودة كل ذلك أمور ذهنية جردها الذهن وانتزعها من الحقائق الموجودة المعينة فظنوها ثابتة فى الخارج عن أذهانهم كما ظن قدماؤهم الفيثاغوريه ان العدد أمر موجود في الخارج بل وما ظنه أرسطو وشيعته من اثبات مادة فى الخارج مغايرة للجسم المحسوس وصفاته واثبات ماهيات كلية للاعيان مقارنة لاشخاصها في الخارج هو أيضا من باب الخيال حيث اشتبه عليه مافي الذهن بما فى الخارج وفرق بين الوجود والماهية فى الخارج * وأصل ذلك ان الماهية فى غالب اصطلاحهم اسم لما يتصور فى الاذهان والوجود اسم لما يوجد فى الاعيان والفرق بين مافي الذهن وما فى الخارج لا ينازع فيه عاقل فهمه لكنهم بعدها ظنوا ان فى الخارج ماهية للشئ الموجود مغايرة للشخص الموجود فى الخارج * وهذا غلط بل مافي النفس سواء سمى وجودا ذهنيا أو ماهية ذهنية أو غير ذلك هو مغاير لما فى الخارج سواء سمي ذلك وجودا أو ماهية أو غير ذلك * وأما ان يقال ان فى الخارج في الجوهر المعين الموجود كالانسان مثلا جوهرين أحدهما ماهية والآخر وجوده فهذا باطل كبطلان قولهم ان فيه جوهرين أحدهما مادته والآخر صورته وكقولهم انه مركب من الحيوانية والناطقية فان الحيوانية والناطقية ان أرادوا انها جوهران وهما الحيوان والناطق فالشخص المعين هو الحيوان وهو الناطق وليس هنا شخصان أحدهما حيوان والآخر ناطق وان أرادوا نفس الحياة والنطق فهذان صفتان قائمتان بالانسان وصفة الموصوف قائمة به قيام العرض بالجوهر والجوهر لا يتركب من أعراضه القائمة به ولا يكون وجود أعراضه سابقا لذاته والكلام على هذا مبسوط فى غير هذا الموضع

(والمقصود هنا) ان ارسطو واتباعه وأمثاله من أهل الفلسفة أنكروا على من جوز منهم وجود مادة بلا صورة فهم مع اصناف أهل الكلام وسائر العقلاء متفقون على امتناع خلو الجسم عن جميع الصفات والاعراض وان جوز ذلك الصالحي ابتداء فلم يجوزه دواما والجمهور منعوه ابتداء ودواما وان ماتنازع الناس في استلزامه لجميع اجناس الاعراض فقيل انه لا بد أن يقوم به من الاعراض المتضادة واحد منها ومالا ضد له لا بد أن يقوم به واحد من جنسه وهذا قول الأشعري ومن اتبعه وقيل لا بد أن يقوم به الا كوان وهي الحركة أو السكون والاجتماع والافتراق ويجوز خلوه عن غيرها وهو قول البصريين من المعتزلة وقيل يجوز خلوه عن الاكوان دون الالوان كما يذكر الكعبي واتباعه من البغداديين منهم وهؤلاء قد يتنازعون في قبول الشيء من الاجسام بكثير من الاعراض ويتفقون على امتناع خلو الجسم عن العرض وضده بعد قبوله له وذلك لان خلو الموصوف عن الضدين اللذين لا ثالث لهما مع قبوله لهما ممتنع في العقول وبهذا يتبين ان الحي القابل للسمع والبصر والكلام إما أن يتصف بذلك وإما أن يتصف بضده وهو الصم والبكم والخرس ومن قدر خلوه عنهما فهو مشابه للقرامطة الذين قالوا لا يوصف بانه حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز بل قالوا لا يوصف بالايجاب ولا بالسلب فلا يقال هو حي عالم ولا يقال ليس بحي عالم ولا يقال هو عليم قدير ولا يقال ليس بقدير عليم ولا يقال هو متكلم مريد ولا يقال ليس بمتكلم مريد * قالوا لأن في الاثبات تشبيها بما تثبت له هذه الصفات وفي النفي تشبيه له بما ينفى عنه هذه الصفات وقد قاربهم في ذلك من قال من متكلمة الظاهرية كابن حزم ان اسماءه الحسنى كالحي والعليم والقدير بمنزلة اسماء الاعلام التي لا تدل على حياة ولا علم ولا قدرة وقال ولا فرق بين الحي وبين العليم وبين القدير في المعنى أصلا ومعلوم ان مثل هذه المقالات سفسطة في العقليات وقرمطة في السمعيات فانا نعلم بالاضطرار الفرق بين الحي والقدير والعليم والملك والقدوس والغفور * وان العبد اذا قال رب اغفر لي وتب عليّ انك أنت التواب الغفور كان قد أحسن في مناجاة ربه * واذا قال اغفر لي وتب عليّ انك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب لم يكن محسنا في مناجاته * وان الله انكر على المشركين الذين امتنعوا من تسميته بالرحمن فقال تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) * وقال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)

وقال تعالى (كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم تتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله الا هو عليه توكلت واليه متاب) * وقال تعالى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) * ومعلوم ان الاسماء اذا كانت أعلاما وجامدات لا تدل على معنى لم يكن فرق فيها بين اسم واسم فلا يلحد أحد في اسم دون اسم ولا ينكر عاقل اسما دون اسم بل قد يمتنع عن تسميته مطلقا ولم يكن المشركون يمتنعون عن تسمية الله بكثير من اسمائه وانما امتنعوا عن بعضها وأيضا فالله له الاسماء الحسنى دون السوآى وانما يتميز الاسم الحسن عن الاسم السيئ بمعناه فلو كانت كلها بمنزلة الاعلام الجامدات التي لا تدل على معنى لم تنقسم الى حسنى وسوآى بل هذا القائل لو سمى معبوده بالميت والعاجز والجاهل بدل الحي والعالم والقادر لجاز ذلك عنده * فهذا ونحوه قرمطة ظاهرة من هؤلاء الظاهرية الذين يدعون الوقوف مع الظاهر وقد قالوا بنحو مقالة القرامطة الباطنية فى باب توحيد الله واسمائه وصفاته مع ادعائهم الحديث ومذهب السلف وانكارهم على الأشعري واصحابه أعظم انكار * ومعلوم ان الأشعري وأصحابه أقرب الي السلف والائمة ومذهب أهل الحديث فى هذا الباب من هؤلاء بكثير * وأيضا فهم يدعون انهم يوافقون أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة في مسائل القرآن والصفات وينكرون على الأشعري وأصحابه والأشعرى وأصحابه أقرب الى أحمد بن حنبل ونحوه من الأئمة فى مسائل القرآن والصفات منهم تحقيقا وانتسابا * أما تحقيقا فمن عرف مذهب الأشعرى وأصحابه ومذهب ابن حزم وأمثاله من الظاهرية في باب الصفات تبين له ذلك وعلم هو وكل من فهم المقالتين ان هؤلاء الظاهرية الباطنية أقرب الى المعتزلة بل الى الفلاسفة من الأشعرية * وان الاشعرية أقرب الى السلف والائمة وأهل الحديث منهم وأيضا فان امامهم داود وأكابر أصحابه كانوا من المثبتين للصفات على مذهب أهل السنة والحديث ولكن من أصحابه طائفة سلكت مسلك المعتزلة وهؤلاء وافقوا المعتزلة فى مسائل الصفات وان خالفوهم في القدر والوعيد * وأما الانتساب فانتساب الأشعري وأصحابه الى الامام أحمد خصوصا وسائر أئمة أهل الحديث عموما ظاهر مشهور فى كتبهم كلها * وما فى كتب الأشعرى مما يوجد مخالفا للامام أحمد وغيره من الأئمة فيوجد في كلام كثير من المنتسبين الى أحمد كأبى الوفاء ابن عقيل وأبى الفرج ابن الجوزى وصدقة بن الحسين وأمثالهم ماهو أبعد عن قول أحمد

والأئمة من قول الاشعري وأئمة أصحابه ومن هو أقرب الى أحمد والائمة من مثل ابن عقيل وابن الجوزي ونحوهما كابي الحسن التميمي وابنه أبي الفضل التميمي وابن ابنه رزق الله التميمي ونحوهم وأئمة أصحاب الاشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني وشيخه أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد وأصحابه كابي على بن شاذان وأبي محمد بن اللبان بل وشيوخ شيوخه كابي العباس القلانسي وأمثاله * بل والحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله أقرب الى السنة من كثير من أصحاب الاشعرى المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله الى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة * فان كثيرا من متأخري أصحاب الاشعري خرجوا عن قوله الى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة اذ صاروا واقفين فى ذلك كما سننبه عليه * وما في هذا الاعتقاد المشروح هو موافق لقول الواقفة الذين لا يقولون بقول الاشعري وغيره من متكلمة أهل الاثبات وأهل السنة والحديث والسلف بل يثبتون ما وافقه عليه المعتزلة البصريون فان المعتزلة البصريين يثبتون ما فى هذا الاعتقاد ولكن الاشعرى وسائر متكلمة أهل الاثبات مع أئمة السنة والجماعة يثبتون الرؤية ويقولون القرآن غير مخلوق ويقولون إن الله حي بحياة عالم بعلم قادر بقدرة وليس في هذا الاعتقاد شيء من هذا الاثبات * وقد رأيت اعتقادا مختصرا لصاحب مصنف هذا الاعتقاد المشروح وهو مشهور بالعلم والحديث وهو في الظاهر أشعري عند الناس ورأيت اعتقاده على هذا النمط ذكر فيه أن الله متكلم آمر ناه كما يوافق عليه المعتزلة ولم يذكر أن القران غير مخلوق ولا أثبت الرؤية بل جعلها مما تتأول وكان يميل الى الجهمية الذين ناظروا احمد بن حنبل وسائر أئمة السنة فى مسألة القرآن ويرجح جانبهم وحكى عنهم ذم وسب لاحمد بن حنبل وهو بنى اعتقاده وركبه من قول الجهمية ومن قول الفلاسفة القائلين بقدم العقول والنفوس وهو من جنس القول المضاف الى ديمقراطيس وليس هذا مذهب الاشعرية بل هم متفقون على أن القرآن غير مخلوق وعلى أن الله يرى فى الآخرة وان قيل إن فى ذلك تدليسا أو خطأ أو غير ذلك فليس المقصود هنا تصويب قائل معين ولا تخطئته ولا بيان ما فى مقالته من الخطأ والصواب وموافقة السلف ومخالفتهم * بل أن يعلم مقالة كل شخص على حقيقتها * ثم الحق يجب اتباعه بما أقام الله عليه من البرهان * ثم هذا الاعتقاد المشروح مع أنه ليس فيه زيادة على اعتقاد المعتزلة البصريين فاعتقاد المعتزلة البصريين خير منه فان في هذا المعتقد من اعتقاد المتفلسفة في التوحيد ما لا يرضاه المعتزلة * كما نبهنا عليه فيما تقدم وبيناه أن ما ذكره

من التوحيد ودليله/هو مأخوذ من أصول الفلاسفة وأنه من أبطل الكلام * وهذه الجمل نافعة فان كثيرا من الناس ينتسب الى السنة أو الحديث أو اتباع مذهب السلف أو الائمة أو مذهب الامام أحمد أو غيره من الائمة أو قول الاشعري أو غيره ويكون في أقواله ما ليس بموافق لقول من انتسب اليهم * فمعرفة ذلك نافعة جدا كما تقدم في الظاهرية الذين ينتسبون الى الحديث والسنة حتى أنكروا القياس الشرعى المأثور عن السلف والائمة ودخلوا فى الكلام الذي ذمه السلف والائمة حتى نفوا حقيقة اسماء الله وصفاته وصاروا مشابهين للقرامطة الباطنية بحيث تكون مقالة المعتزلة فى أسماء الله أحسن من مقالتهم فهم مع دعوى الظاهر يقرمطون فى توحيد الله واسمائه * وأما السفسطة في العقليات فظاهرة فانه من المعلوم بصريح العقل امتناع ارتفاع نقيضين جميعا وانه لا واسطة بين النفى والاثبات فمن قال انه لا يصف الرب بالاثبات فلا يقول انه حي عليم قدير ولا يصفه بالنفى فلا يقول ليس بحى عليم قدير فقد امتنع عن النقيضين جميعا والامتناع عن النقيضين كالجمع بين النقيضين فان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان * وهذا مما رأيته قد اعتمد عليه أئمة القرامطة كصاحب (كتاب الاقاليد الملكوتية أبي يعقوب السجستانى) فانهم قالوا نحن لم نجمع بين النقيضين * فنقول انه حي وليس بحى بل رفعنا النقيضين فقلنا لا موصوف ولا لا موصوف (قال هذا القرمطي المصنف) الذى رأيته من أفضل هؤلاء القرامطة (الاقليد العاشر) فى أن من عبد الله بنفي الصفات والحدود لم يعبده حق عبادته اذ عبادته واقعة لبعض المخلوقين فان قوما من الاوائل وجماعة من فرق الاسلام لم يعبدوا الله حق عبادته ولم يعرفوه بحقيقة المعرفة فقالوا ان الله غير موصوف ولا محدود ولا منعوت ولا مرئى ولا في مكان وتوهموا ان هذا المقدار تمجيد لله عز وجل وتعظيم له وانهم قد تخلصوا من الشرك والتشبيه واذا هم قد وقعوا فى الحيرة والتيه لانهم لما نفوا الصفات والحدود والنعوت عن البارى تقدست عظمته لئلا يكون بينه وبين خلقه مشابهة ولا مماثلة فنحن نسألهم بعد عن الموصوف والمحدود والمنعوت من خلقه أهو الصفة والحد والنعت أم الموصوف غير صفته والمحدود غير حده والمنعوت غير نعته * فان قالوا ان الصفة هي الموصوف والحد هو المحدود والنعت هو المنعوت لزمهم أن يقولوا ان السواد هو الاسود والبياض هو الابيض * وان قالوا الموصوف غير صفته والمنعوت غير نعته والمحدود غير حده وهو أعنى الموصوف والمحدود والمنعوت جميعا مخلوق هذا الخالق الذي

نزهتموه عن الصفة والحد والنعت أشركتم الخالق بالمخلوق الذى هو الصفة والحد والنعت فى باب انها غير الموصوف عندكم وان جاز أن يشارك المخلوق الخالق في وجه من الوجوه لم يجوز أن يشاركه في جميع الوجوه قال فاذاً من عبد الله بنفى الصفات واقع فى التشبيه الخفى كما ان من عبده بسمة الصفات واقع فى التشبيه الجلى * ثم أخذ يرد على المعتزلة لكن رده عليهم ماأثبتوه من الحق واحتج عليهم بما وافقوه فيه من النفى فانه بهذا الطريق تمكنت القرامطة الزنادقة الملاحدة من افساد دين الاسلام حيث احتجوا على كل مبتدع بما وافقهم عليه من البدعة من النفى والتعطيل والزموه لازم قوله حتى قرروا التعطيل المحض قال القرمطى ومن اطم ماأتت به طائفة من أهل هذه النحلة فى اقامة رأيهم من أن المبدع سبحانه غير موصوف ولا منعوت انهم اثبتوا له الاسامي التي لاتتعري عن الصفات والنعوت فقالوا انه سميع بالذات بصير بالذات عالم بالذات ونفوا عنه السمع والبصر والعلم ولم يعلموا ان هذه الاسامى اذا لزمت ذاتاً من الذوات لزمته الصفات التى من أجلها وقعت الاسامي اذ لو جاز ان يكون عالما بغير علم أو سميعا بغير سمع أو بصيرا بغير بصر لجاز ان يكون الجاهل مع عدم العلم عالما والاعمى مع فقد البصر بصيرا والاصم مع غيبوبة السمع سميعا فلما لم يجز ما وصفناه صح ان العالم انما صار عالما لوجود العلم والبصير لوجود البصر والسميع لوجود السمع * قال فان قال قائل منهم * انما نفينا عن البصير البصر اذ كان اسم البصير متوجها نحو ذات الخالق لانا هكذا شاهدنا ان من كان اسمه البصير لزمه من أجل البصر ان يجوز عليه العمى ومن كان اسمه السميع يلزمه من أجل السمع ان يجوز عليه الصمم ومن كان اسمه العالم يلحقه من أجل العلم ان يجوز عليه الجهل * والله تعالى لا يلحق به الجهل والعمي والصمم فنفينا عنه ما يلزم بزواله ضده * يقال له ليس علة وجوب العمى البصر ولا علة وجوب الصمم السمع ولا علة وجوب الجهل العلم ولو كانت العلة فيه ما ذكرناه كان واجبا انه متى وجد البصر وجد العمي أو متى وجد السمع وجد الصمم أو متى وجد العلم وجد الجهل فلما وجد البصر في بعض ذوي البصر من غير ظهور عمى به ووجد السمع كذلك فى بعض ذوى السمع من غير وجود صمم يتبعه ووجد العلم فى بعضهم من غير وجود جهل به صح ان العلة في ظهور الجهل والصمم والعمي ليس هو العلم والسمع والبصر بل فى قبول امكان الآفة فى بعض ذوي العلم والسمع والبصر والله تعالى ذكره ليس بمحل الآفات ولا الآفات بداخلة عليه فهو اذا كان اسم العالم والسميع

والبصير يتوجه نحو ذاته ذا علم وسمع وبصر فتعالى الله عما أضاف اليه الجهلة المفترون من هذه الاسامى بانها لازمة له لزوم الذوات بل هذه الاسامى مما تتوجه نحو الحدود المنصوبة من العلوى والسفلى والروحاني والجسمانى لمصلحة العباد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا * قال ويقال لهم ان كان الاستشهاد الذى استشهدتموه صحيحا فان الاستشهاد الآخر الذي لايفارق الاستشهاد الاول مثله فى باب الصحة لانكم ان كنتم هكذا شاهدتم ان من كان عالما من أجل علمه أو سميعا من أجل سمعه أو بصيرا من أجل بصره جاز عليه الجهل والعمى والصمم فنحن كذلك شاهدنا ان من كان عالما فان العلم سابقه ومن كان بصيرا كان البصر قرينه ومن كان سميعا كان السمع شهيده فان جاز لكم ان تتعدوا حكم الشاهد على الغائب فى أحدهما فتقولوا جاز ان يكون فى الغائب عالم بغير علم وبصير بغير بصر وسميع بغير سمع جاز لنا ان نتعدي حكم الشاهد على الغائب فى الباب الآخر فنقول انا وان كنا لم نشاهد عالما بعلم الا وقد جاز عليه الجهل وبصيرا بالبصر الا وقد جاز عليه العمي وسميعا بالسمع الا وقد جاز عليه الصمم ان يكون في الغائب عالم بعلم لايجوز عليه الجهل وبصير بالبصر لايجوز عليه العمي وسميع بالسمع لايجوز عليه الصمم والا فما الفصل * ولا سبيل لهم الى التفصيل بين الاستشهادين فاعرفه * فليتدبر المؤمن العليم كيف الزم هؤلاء الزنادقة الملاحدة المنافقون الذين هم أكفر من اليهود والنصاري ومشركى العرب للمعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات نفى اسماء الله الحسنى وان تكون اسماؤه الحسنى لبعض المخلوقات فيكون المخلوق هو المسمى باسمائه الحسني كقولهم في الاول والآخر والظاهر والباطن ان الظاهر هو محمد الناطق والباطن هو على الاساس ومحمد هو الاول وعلى هو الآخر * وتأويلهم قوله تعالى (بل يداه مبسوطتان) ان اليد الواحدة هو محمد والأخري على وقوله تعالى (تبت يدا أبي لهب) ان يديه هما أبو بكر وعمر لكونهما كانا مع أبى لهب فى الباطن فامرهما بقتل النبي صلى الله عليه وسلم فعجزا عن ذلك فانزل الله (تبت يدا أبي لهب) وامثال هذه التأويلات المعروفة عن القرامطة وأصل كلامهم استدلالهم بما يزعمونه من نفي التشبيه والزامهم لكل من وافقهم على شئ من النفى بطرد مقالته واتباع لوازمها ولازمها التعطيل الذى يقصدونه * قال القرمطى وأيضا فمن نزه خالقه عن الصفة والحد والنعت ولم يجرده عما لاصفة له ولا حد ولا نعت فقد اثبته بما لم يجرده عنه واذا كان اثباته لمعبوده فى الصفة والحد والنعت فقد كان اثباته مهملا غير معروف لان مالا صفة له ولا حد ولا نعت

ليس هو الله بزعمه فقط بل هو والنفس والعقل وجميع الجواهر البسيطة من الملائكة وغيرهم والله تعالى أثبت من ان يكون أثباته مهملا غير معلوم فاذا الاثبات الذى يليق بمجد المبدع ولا يلحقها الاهمال هو نفى الصفة ونفى ان لاصفة ونفى الحد ونفى ان لا حد لتبقى هذه العظمة لمبدع العالمين اذ لا يحتمل ان يكون معه لمخلوق شركة فى هذا التقديس وامتنع ان يكون الأثبات من هذه الطريق مهملا فاعرفه قال فان قال ان من شريطة القضايا المتناقضة ان يكون أحد طرفيها صدقا والآخر كذبا فقولكم لا موصوفة ولا لا موصوفة قضيتان متناقضتان لا بد لاحداهما من ان تكون صادقة والاخري كاذبة * يقال له غلطت فى معرفة القضايا المتناقضة وذلك ان القضايا المتناقضة أحد طرفى النقيض منه موجب والآخر سالب فان كانت القضية كلية موجبة كان نقيضها جزئية سالبة كقولنا كل انسان حي وهو قضية كلية موجبة نقيضه لا كل انسان حى * فلما كان من شرط النقيض من انه لابد من ان يكون أحد طرفيها موجبة والآخر سالبة رجعنا الي قضيتنا فى المبدع هل نجد فيها هذه الشريطة فوجدناها فى كلتى طرفيها لم يوجب له شيئا بل كلتا طرفيها سالبتان وهى قولنا لا موصوف ولا لا موصوف فهي اذ لم يناقض بعضها بعضا وانما تتناقض القضية فى هذا الموضع ان نقول له صفة وان ليس له صفة * أو ان نقول له حد وان لا حد له أو انه فى مكان وانه لا فى مكان فيلزمنا حينئذ اثبات لاجتماع طرفى النقيض على الصدق فاما اذا كانت القضيتان سالبتين احداهما سلب الصفة اللاحقة بالجسمانيين والاخرى نفى الصفة اللازمة للروحانيين كان من ذلك تجريد الخالق عن سمات المربوبين وصفات المخلوقين * قال فقد صح ان من نزه خالقه عن الصفة والحد والنعت واقع فى التشبيه الخفى كما ان من وصفه وحده ونعته واقع فى التشبيه الجلى * قلت فهذا حقيقة مذهب القرامطة وهو قد رد على من وصفه منهم بالنفى دون الاثبات ونفى النفي قال لان في الاثبات تشبيها له بالجسمانيين وفي النفى تشبيها له بالروحانيين وهى العقول والنفوس عندهم انها موصوفة عندهم بالنفى دون الاثبات ولهذا يقولون بسائط ليس فيها تركيب عقلي من الجنس والفصل كما انه ليس فيها تركيب الاجسام وظن هذا الملحد وأمثاله انهم بذلك خلصوا من الالزامات ومعلوم عند من عرف حقيقة قولهم ان هذا القول من افسد الاقوال شرعا وعقلا وابعدها عن مذاهب المسلمين واليهود والنصارى بل مع ماقد حققوه من الفلسفة وعرفوه من مذهب أهل الكلام وادعوه من

العلوم الباطنة ومعرفة التأويل ودعوي العصمة في أئمتهم وقد قرروا انا لانقول الجمع بين النقيضين فليس في قولنا محال * فيقال لهم ولكن سلبتم النقيضين جميعا * وكما انه يمتنع الجمع بين النقيضين فيمتنع الخلو من النقيضين فالنقيضان لايجتمعان ولا يرتفعان ولهذا كان المنطقيون يقسمون الشرطية المنفصلة الي مانعة الجمع ومانعة الخلو ومانعتا الجمع والخلو * فالمانعة من الجمع والخلو كقول القائل الشيء اما ان يكون موجودا واما ان يكون معدوما واما ان يكون ثابتا واما ان يكون منفيا فتفيد الاستثناآت الاربعة لكنه موجود فليس بمعدوم أو هو معدوم فليس بموجود أو ليس بموجود فهو معدوم أو ليس بمعدوم فهو موجود وكذلك ما كان من الاثبات بمنزلة النقيضين كقول القائل هذا العدد إما شفع واما وتر فكونه شفعا ووترا لايجتمعان ولا يرتفعان وهؤلاء ادعوا اثبات شيء يخلو عنه النقيضان فان جوزوا خلوه عن النقيضين جاز اجتماع النقيضين فيه * وهذا مذهب أهل الوحدة القائلين بوحدة الوجود كصاحب الفصوص وابن سبعين وابن أبي المنصور وابن الفارض والقونوى وأمثالهم فان قولهم وقول القرامطة من مشكاة واحدة * والاتحادية قد يصرحون باجتماع النقيضين * وكذلك يذكرون مثل هذا عن الحلاج * والحلاج لما دخل بغداد كانوا ينادون عليه هذا داعي القرامطة وكان يظهر للشيعة انه منهم ودخل على ابن نوبخت رئيس الشيعة ليتبعه فطالبه بكرامات عجز عنها * ومقالات أهل الضلال كلها تستلزم الجمع بين النقيضين أو رفع النقيضين جميعا لكن منهم من يعرف لازم قوله فيلتزمه ومنهم من لا يعرف ذلك وكل أمرين لايجتمعان ولا يرتفعان فهما في المعنى نقيضان لكن هذا ظاهر في الوجود والعدم * وقول مثبتة الحال الذين يقولون لا موجودة ولا معدومة هو شعبة من مذهب القرامطة وانما التحقيق انها ليست موجودة في الاعيان ولا منتفية في الاذهان * ومن الامور الثبوتية مايكونان بمنزلة الوجود والعدم كقولنا ان العدد اما شفع واما وتر وقولنا ان كل موجودين إما أن يقترنا في الوجود أو يتقدم أحدهما على الآخر وكل موجود إما قائم بنفسه واما قائم بغيره وكل جسم إما متحرك واما ساكن واما حي واما ميت وكل حي إما عالم واما جاهل * واما قادر واما عاجز * واما سميع واما أصم واما أعمي واما بصير * بل وكذلك كل موجودين فاما ان يكونا متجانسين * واما أن يكونا متباينين وأمثال هذه القضايا * وكل من رام سلب هذين جميعا كان من جنس القرامطة الرافعة للنقيضين لكن التناقض قد يظهر باللفظ كما اذا قلنا إما ان يكون واما ان لا يكون وقد يظهر

بالمعنى كما اذاقلنا اما قديم بنفسه واما قائم بغيره وهذا كله مبسوط فى غير هذا الموضع • بل قد زدنا في جواب السائل عما هو مقصوده لكن نبهنا على أصول نافعة جامعة

﴿ الطريق الثالث ﴾ لاهل النظر فى اثبات السمع والبصر ان السمع والبصر من صفات الكمال فان الحي السميع البصير أكمل من حى ليس بسميع ولا بصير كما ان الموجود الحى أكمل من موجود ليس بحى والموجود العالم أكمل من موجود ليس بعالم وهذا معلوم بضرورة العقل واذا كانت صفة كمال فلولم يتصف الرب بها لكان ناقصا والله منزه عن كل نقص وكل كمال محض لا نقص فيه فهو جائز عليه وما كان جائزا عليه من صفات الكمال فهو ثابت له فانه لولم يتصف به لكان ثبوته له موقوفا على غير نفسه فيكون مفتقرا الى غيره في ثبوت الكمال له وهذا ممتنع اذا لم يتوقف كمال الاعلى نفسه فيلزم من ثبوت نفسه ثبوت الكمال لها وكل ماينزه عنه فانه يستلزم نقصا يجب تنزيهه له وأيضا فلو لم يتصف بهذا الكمال لكان السميع البصير من مخلوقاته أكمل منه • ومن المعلوم في بداية العقول ان المخلوق لا يكون أكمل من الخالق اذ الكمال لا يكون الا بامر وجودى والعدم المحض ليس فيه كمال وكل موجود للمخلوق فالله خالقه ويمتنع ان يكون الوجود الناقص مبدعا وفاعلا للوجود الكامل اذ من المستقر في بداية العقول ان وجود العلة أكمل من وجود المعلول دع وجود الخالق البارى الصانع فانه من المعلوم بالاضطرار انه أكمل من وجود المخلوق المصنوع المفعول * وقد بسطنا الكلام على مثل هذه الطريقة في غير هذا الموضع وبينا ان الله سبحانه وتعالى يستعمل فى حقه قياس الاولى كما جاء بذلك القرآن وهو الطريق التى كان يسلكها السلف والائمة كاحمد وغيره من الأئمة فكل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أولى به وكل نقص ينزه عنه مخلوق فالخالق أولى أن ينزه عنه كما قال تعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) وقال تعالى (واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء مابشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء مايحكمون * للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) وقوله تعالى (ويجعلون لله مايكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون) • وذلك لان صفات الكمال أمور وجودية أو أمور سلبية مستلزمة لامور وجودية كقوله تعالى (الله لا إله الا هو

الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم) فنفي السنة والنوم استلزم كمال صفة الحياة والقيومية وكذلك قوله (وما ربك بظلام للعبيد) استلزم ثبوت العدل وقوله تعالى (لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء) استلزم كمال العلم ونظائر ذلك كثيرة . وأما العدم المحض فلا كمال فيه واذا كان كذلك فكل كمال لا نقص فيه بوجه ثبت للمخلوق فالخالق أحق به من وجهين احدهما ان الخالق الموجود الواجب بذاته القديم أكمل من المخلوق القابل للعدم المحدث المربوب * الثاني ان كل كمال فيه فانما استفاده من ربه وخالقه فاذا كان هو مبدعا للكمال وخالقا له كان من المعلوم بالاضطرار ان معطي الكمال وخالقه ومبدعه أولى بان يكون متصفا به من المستفيد المبدع المعطى وقد قال الله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) وهذا المثل وان كان يفيد الدعاء الى عبادة الله وحده دون عبادة ماسواه ونفي عبادة الاوثان لوجود هذا الفرقان * فاذا علم انتفاء التساوي بين الكامل والناقص وعلم ان الرب اكمل من خلقه وجب ان يكون اكمل منهم واحق منهم بكل كمال بطريق الأولى والاحرى

﴿ الطريق الرابع في اثبات السمع والبصر والكلام ﴾ ان نفي هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعا كما قال الخليل (ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ) وقال ابراهيم لقومه(هل يسمعونك اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وقال تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين)وقال تعالى(فقال هذا الهكم واله موسى فنسي أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وهذا لانه من المستقر في الفطر ان مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا كما ان مالا يغني شيأ ولا يهدي ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ومن المعلوم ان خالق العالم هو الذي ينفع عباده بالرزق وغيره ويهديهم وهو الذي يملك ان يضرهم بانواع الضرر فان هذه الامور من جملة

الحوادث التي يحدثها رب العالمين فلو قدر انه ليس محدثا لما كانت حادثة بغير محدث أو كان محدثها غيره واذا كان محدثها غيره فالقول في احداث ذلك الغير كالقول في سائر الحوادث فلا بد ان تنتهي الي قديم لامحدث ولذلك من المستقر في العقول ان مالا يسمع ولايبصر ولايتكلم ناقص عن صفات الكمال لانه لايسمع كلام أحد ولايبصر احدا ولا يأمر بأمر ولاينهى عن شئ ولايخبر بشئ فان لم يكن كالحي الأعمى الأصم كان بمنزلة ماهو شرمنه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم ونفى قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب الى اتصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف باضدادها اذ الانسان الأعمى أكمل من الحجر والانسان الا بكم أكمل من التراب ونحو ذلك مما لايوصف بشي من هذه الصفات واذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة انه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شبها بالمعدوم كان من المعلوم بالفطرة ان الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ماينفى عنه وان اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات . وهذه الطريق ليست الثانية ولا الثالثة فان الثانية مبنية على أنه حى فلا بد من اتصافه بها أو بضدها . والثالثة مبنية على انها صفات كمال فيجب اتصاف الرب بها وأما هذه فبنية على أن نفي هذه الصفات نقائص ومعائب ومذام يمتنع وصف الرب بها . والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

﴿ ثم قال المصنف والدليل على نبوة الانبياء المعجزات والدليل على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه ﴾ قال شيخ الاسلام ابن تيمية هذه الطريقة هى من أتم الطرق عند أهل الكلام والنظر حيث يقررون نبوة الانبياء بالمعجزات ولاريب ان المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الانبياء لكن كثير من هؤلاء بل كل من بنى ايمانه عليها يظن أن لانعرف نبوة الانبياء الا بالمعجزات ثم لهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق متنوعة وفي بعضها من التنازع والاضطراب ماسننبه عليه والتزم كثير من هؤلاء انكار خرق العادات لغير الانبياء حتى انكروا كرامات الاولياء والسحر ونحو ذلك.

وللنظار هنا طرق متعددة منهم من لايجعل المعجزة دليلا بل يجعل الدليل استواء مايدعو اليه وصحته وسلامته من التناقض كما يقوله طائفة من النظار . ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا

وهذا . ومنهم من يجعل المعجزة دليلا ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة وهذا أصح الطرق ومن لم يجعل طريقها الا المعجزة اضطر لهذه الامور التى فيها تكذيب لحق أو تصديق لباطل ولهذا كان السلف والائمة يذمون الكلام المبتدع فان أصحابه يخطئون اما في مسائلهم واما في دلائلهم فكثيرا ما يثبتون دين المسلمين في الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على أصول ضعيفة بل فاسدة ويلتزمون لذلك لوازم يخالفون بها السمع الصحيح والعقل الصريح وهذا حال الجهمية من المعتزلة وغيرهم حيث أثبتوا حدوث العالم بحدوث الاجسام وأثبتوا ذلك بحدوث صفاتها التي هي الاعراض فاضطرهم ذلك الى القول بحدوث كل موصوف فنفوا عن الله الصفات وقالوا بأن القرآن مخلوق وأنه لا يرى فى الآخرة وقالوا إنه لا مباين ولا محايث وأمثال ذلك من مقالات النفاة التى تستلزم التعطيل كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع * وليس الامر كذلك بل معرفتها بغير المعجزات ممكنة فان المقصود انما هو معرفة صدق مدعي النبوة أو كذبه فانه اذا قال اني رسول الله فهذا الكلام اما أن يكون صدقا واما أن يكون كذبا * وان شئت قلت هذا خبر فاما أن يكون مطابقا للمخبر واما أن يكون مخالفا له سواء كانت مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ اذ قد يظن الرجل فى نفسه أو غيره أنه رسول الله غير متعمد للكذب بل خطأ وضلال مثل كثير ممن يتمثل له الشيطان ويقول اني ربك ويخاطبه باشياء وقد يقول له أحللت لك ما حرمت على غيرك وأنت عبدى ورسولي وأنت أفضل أهل الارض وأمثال هذه الاكاذيب فان مثل هذا قد وقع لكثير من الناس * فاذا كان مدعى الرسالة لم يكن صادقا فلا بد أن يكون كاذبا عمدا أو ضلالا فالتميز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوي النبوة ومعلوم أن مدعي الرسالة اما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم واما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما بلغهم الرسالة ودعاهم الى الاسلام والله لا أقول لك كلمة واحدة ان كنت صادقا فانت أجل فى عيني من أن أرد عليك وان كنت كاذبا فانت أحقر من أن أرد عليك فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بانقص الخلق وأرذلهم * وما أحسن قول حسان

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين الا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تميز * وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين الا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تميز فان الرسول لا بد أن يخبر الناس بامور ويأمرهم بامور ولا بد أن يفعل أمورا * والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة والصادق يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة بل كل شخصين ادعيا أمرا من الامور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة اذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) ولهذا قال تعالى (قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون. والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وانهم يقولون ما لا يفعلون) بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ولا شاعر حيث كانوا يقولون ساحر وشاعر * فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر يلقون اليهم السمع وأكثرهم كاذبون فهؤلاء الكهان ونحوهم وان كانوا يخبرون أحيانا بشيء من المغيبات ويكون صدقا فمهم من الكذب والفجور ما يبين ان الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بانبياء * ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد قد خبأت لك خبيئا قال هو الدخ * قال له النبي صلى الله عليه وسلم (اخسأ فلن تعدو قدرك) يعني انما أنت كاهن كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم يأتيني صادق وكاذب وقال أرى عرشا على الماء وذلك هو عرش الشيطان كما ثبت مثل ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين الله تعالى أن الشعراء يتبعهم الغاوون * والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته وان كان ذلك مضرا له في العاقبة قال تعالى (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون) فهذه صفة الشعراء كما ان تلك صفة من تنزل عليه الشياطين فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله علم

علما يقينا انه ليس بشاعر ولا كاهن ولا كاذب * والناس يميزون بين الصادق والكاذب بانواع من الادلة حتى في المدعين للصناعات والمقالات كالفلاحة والنساجة والكتابة وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك فما من أحد يدعي العلم بصناعة أو مقالة الا والتفريق في ذلك بين الصادق والكاذب له وجوه كثيرة و كذلك من اظهر قصدا وعملا كمن يظهر الديانة والامانة والنصيحة والمحبة وامثال ذلك من الاخلاق فانه لابد ان يتبين صدقه وكذبه من وجوه متعددة * والنبوة مشتملة على علوم واعمال لابد ان يتصف الرسول بها وهي اشرف العلوم واشرف الاعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب من وجوه كثيرة لاسيما والعالم لا يخلو من آثار نبي من لدن آدم الى زماننا * وقد علم جنس ماجاءت به الانبياء والمرسلون وما كانوا يدعون اليه ويأمرون به ولم تزل آثار المرسلين في الارض ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل ويفرقون به بين الرسل وغير الرسل * فلو قدر ان رجلا جاء في زمان امكان بعث الرسل وامر بالشرك وعبادة الاوثان واباحة الفواحش والظلم والكذب ولم يأمر بعبادة الله ولا بالايمان باليوم الآخر هل كان مثل هذا يحتاج ان يطالب بمعجزة أو يشك في كذبه انه نبي ولو قدر انه اتى بما يظن أنه معجزة لعلم انه من جنس المخاريق أو الفتن والمحنة * ولهذا لما كان الدجال يدعي الالهية لم يكن ما يأتي به دالا على صدقه للعلم بان دعواه ممتنعة في نفسها وانه كذاب وكذلك من نشأ في بني اسرائيل معروفا بينهم بالصدق والبر والتقوى بحيث قد خبر خبرة باطنة يعلم منها تمام عقله ودينه ثم اخبر بان الله نبأه وارسله اليهم فان هذا لا يكون أولى بالرد من أن يخبرنا الرجل الذي لا يشك في عقله ودينه وصدقه انه رأى رؤيا * وهذا المقام يشبه من بعض الوجوه تنازع الناس في ان خبر الواحد هل يجوز ان يقترن به من القرائن والضمائم ما يفيد معه العلم ولا ريب ان المحققين من كل طائفة على ان خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه الضروري بخبر المخبر بل القرائن وحدها قد تفيد العلم الضروري كما يعرف الرجل رضاء الرجل وغضبه وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بامور تظهر على وجهه قد لا يمكنه التعبير عنها كما قال تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) ثم قال (ولتعرفنهم في لحن القول) فاقسم انه لابد ان يعرف المنافقين في لحن القول وعلق معرفتهم بالسيما على المشيئة لان ظهور ما في نفس الانسان من كلامه أبين من ظهوره على صفحات وجهه .

وقد قيل ما اسر احد سريرة الا اظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه فاذا كان مثل هذا يعلم به ما في نفس الانسان من غير اخبار فاذا اقترن بذلك اخباره كان أولى بحصول العلم ولا يقول عاقل من العقلاء ان مجرد خبر الواحد أو خبر كل واحد يفيد العلم بل ولا خبر كل خمسة أو عشرة بل قد يخبر الف أوا كثر من الف ويكونون كاذبين اذا كانوا متواطئين واذا كان صدق المخبر أو كذبه يعلم بما يقترن به من القرآئن بل في لحن قوله وصفحات وجهه ويحصل بذلك علم ضروري لا يمكن المرء ان يدفعه عن نفسه فكيف بدعوي المدعي انه رسول الله كيف يخفى صدقه وكذبه أم كيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الادلة لا تعدولا تحصى واذا كان الكاذب انما يأتي من وجهين اما ان يتعمد الكذب واما ان يلبس عليه كمن يأتيه الشيطان فمن المعلوم الذى لاريب فيه ان من الناس من يعلم منه انه لا يتعمد الكذب بل كثير ممن خبره الناس وجربوه من شيوخهم ومعامليهم يعلمون منهم علما قاطعا انهم لا يتعمدون الكذب وان كانوا يعلمون ان ذلك ممكن فليس كل ما علم امكانه جوز وقوعه فانا نعلم ان الله قادر على قلب الجبال ياقوتا والبحار دما ونعلم انه لا يفعل ذلك ونعلم من حال البشر من حيث الجملة انه يجوز ان يكون احدهم يهوديا ونصرانيا ونحو ذلك ونعلم مع هذا ان هذا لم يقع بل ولا يقع من الاشخاص وان من اخبرنا بوقوعه منهم كذبناه قطعا ونحن لا ننكر ان الرجل قد يتغير ويصير متعمدا الكذب بعد ان لم يكن كذلك لكن اذا استحال وتغير ظهر ذلك لمن يخبره ويطلع على اموره ولهذا لما كانت خديجة رضي الله عنها تعلم من النبي صلى الله عليه وسلم انه الصادق البار قال لها لما جاءه الوحي اني قد خشيت على عقلي فقالت كلا والله لا يخزيك الله انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فهو لم يخف من تعمد الكذب فانه يعلم من نفسه صلى الله عليه وسلم انه لم يكذب لكن خاف في أول الامر ان يكون قد عرض له عارض سوء وهو المقام الثاني فذكرت خديجة ما ينفي هذا وهو ما كان مجبولا عليه من مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم والاعمال وهو الصدق المستلزم للعدل والاحسان الى الخلق ومن جمع فيه الصدق والعدل والاحسان لم يكن مما يخزيه الله وصلة الرحم وقري الضيف وحمل الكل واعطاء المعدوم والاعانة على نوائب الحق هي من أعظم أنواع البر والاحسان وقد علم من سنة الله ان من جبله الله على الاخلاق المحمودة ونزهه عن الاخلاق المذمومة فانه لا يخزيه وأيضا فالنبوة في الآدميين هي من عهد

آدم عليه السلام فانه كان نبيا وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار * وقد علم جنس ما يدعو اليه الرسل وجنس أحوالهم فالمدعى للرسالة في زمن الامكان اذا أتي بما ظهر به مخالفته للرسل علم انه ليس منهم * واذا أتي بما هو من خصائص الرسل علم انه منهم لا سيما اذا علم انه لا بد من رسول منتظر * وعلم ان لذلك الرسول صفات متعددة تميزه عمن سواه فهذا قد يبلغ بصاحبه الى العلم الضروري بان هذا هو الرسول المنتظر ولهذا قال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾

﴿والمسلك الاول ﴾النوعي هو مما استدل به النجاشي على نبوته فانه لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه قال ان هذا والذي جاء به موسي ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قبله ورقة بن نوفل لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه وكان ورقة قد تنصر وكان يكتب الانجيل بالعبرانية فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ما يقول فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى وان قومك سيخرجونك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أوَمخرجيَّ هم فقال نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزّرا ثم لم ينشب ورقة أن توفى

﴿ والمسلك الثاني الشخصي ﴾ استدل به هرقل ملك الروم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب اليه كتابا يدعوه فيه الى الاسلام طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة الى غزة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم فسأل أباسفيان وأمر الباقين ان كذب أن يكذبوه فصار بجدهم موافقين له في الاخبار * فسألهم هل كان في آبائه ملك فقالوا لا * وهل قال هذا القول أحد قبله قالوا لا * وسألهم أهو ذو نسب فيكم قالوا نعم * وسألهم هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقالوا لا ما جربنا عليه كذبا وسألهم هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم فذكروا ان الضعفاء اتبعوه . وسألهم هل يزيدون أم ينقصون فذكروا انهم يزيدون . وسألهم هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد ان يدخل فيه فقالوا لا . وسألهم هل قاتلتموه قالوا نعم . وسألهم عن الحرب بينهم وبينه فقالوا يدال علينا المرة وندال عليه الاخرى . وسألهم هل يغدر فذكروا انه لا يغدر . وسألهم بماذا يأمركم فقالوا يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيأ وينهانا عما كان يعبد أباؤنا ويأمرنا

بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فهذه أكثر من عشر مسائل * ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الدلالة وانه سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآها منتفية وسألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة فسألهم هل كان في آبائه ملك فقالوا لا قال قلت فلو كان في آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك هل قال هذا القول فيكم أحد قبله فقلت لا فقلت لو قال هذا القول أحد قبله لقلت رجل إئتم بقول قيل قبله ولا ريب ان اتباع الرجل لعادة آبائه واقتدائه بمن كان قبله كثيرا ما يكون في الآدميين بخلاف الابتداء بقول لم يعرف في تلك الامة قبله وطلب أمر لا يناسب حال أهل بيته فان هذا قليل في العادة لكنه قد يقع ولهذا أردفه بقوله فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فقالوا لا قال فقد علمت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله وذلك ان مثل هذا يكون كذبا محضا يكذبه لغير عادة جرت وهذا لا يفعله الا من يكون من شأنه أن يكذب فاذا لم يكن من خلقه الكذب قط بل لا يعرف منه الا الصدق وهو يتورع أن يكذب على الناس كان تورعه عن أن يكذب على الله أولى وأحق والانسان قد يخرج عن عادته في نفسه الى عادة بني جنسه فاذا انتفي هذا وهذا كان هذا أبعد عن الكذب وأقرب الى الصدق ثم أردف ذلك بالسؤال عن علامات الصدق فقال وسألتكم أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم فقلتم ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل قال فهذه علامات من علامات الرسل وهو اتباع الضعفاء له ابتداء قال الله تعالي حكاية عن قوم نوح (قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون) وقالوا (ما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادي الرأى) وقال تعالى في قصة صالح (وقال الملأ الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) وقال تعالي في قصة شعيب (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودنّ في ملتنا قال أولو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد ان نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) ثم قال هرقل وسألتكم أيزيدون أم ينقصون فقلتم بل يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتكم هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد ان يدخل فيه فقلتم لا وكذلك الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد فسألهم عن زيادة أتباعه ودوامهم

على اتباعه فاخبروه انهم يزيدون ويدومون وهذا من علامات الصدق والحق فان الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الامر فيرجع عنه اصحابه ويمتنع عنه من لم يدخل فيه ولهذا أخبرت الانبياء المتقدمون ان المتنبيء الكذاب لا يدوم الا مدة يسيرة وهـذه من بعض حجج ملوك النصارى الذين يقال انهم من ولد قيصر هذا أوغيرهم حيث رأى رجلا يسب النبي صلى الله عليه وسلم من رؤس النصارى ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبيء الكذاب كم تبقى نبوته فاخبروه بما عندهم من النقل عن الانبياء ان الكذاب المفتري لا يبقى الا كذا وكذا سنة لمدة قريبة اما ثلاثين سنة أونحوها فقال لهم هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة أوستمائة سنة وهو ظاهر مقبول متبوع فكيف يكون هذا كذابا ثم ضرب عنق ذلك الرجل . وسألهم هرقل عن محاربته ومسالمته فاخبروه انه في الحرب تارة يغلب كما غلب يوم بدر وتارة يغلب كما غلب يوم أحد وانه اذا عاهد لا يغدر فقال لهـم وسألتكم كيف الحرب بينكم وبينه فقلتم إنها دول يدال علينا المرة وندال عليه الاخرى وكذلك الرسل تبتلي وتكون العاقبة لها قال وسألتكم هل يغدر فقلتم إنه لا يغدر وكذلك الرسل لا تغدر فهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم وانهم لا يغدرون علم أن هـذا من علامات الرسل فان سـنة الله في الانبياء والمؤمنين أنه يبتليهم بالسراء والضراء لينالوا درجة الشكر والصبر كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له) وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر فكان خيرا له والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين * ان يمسسكم قرح فقـد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) فمن الحكم تميز المؤمن عن غيره فانهم اذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعـدوهم اذ الجميع يظهـرون الموالاة فاذا غلبوا ظهر عـدوهم قال تعالى (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيـل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهـم للايمان يقولون بافواههم ماليس في قلوبهـم والله أعلم بما يكتمون * الذين

قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) وقال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) الى قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أو ليس الله باعلم بما في صدور العالمين . وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) وقال تعالي (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) وأمثال ذلك ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء فان منزلة الشهادة منزلة علية في الجنة ولا بد من الموت فموت العبد شهيداً أكمل له وأعظم لاجره وثوابه ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه والله لا يحب الظالمين . ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا فيخلصهم من الذنوب فانهم اذا انتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الايمان ما يوجب لها العقوبة والهوان قال تعالى (انما نملي لهم ليزدادوا اثما) وقال تعالى (ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيمها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة وسئل صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء فقال الانبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه رقة خفف عنه وان كان في دينه صلابة زيد في بلائه ولا يزال البلاء بالمؤمن في نفسه وأهله وماله حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة وقد قال تعالي (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وفي الأثر فيما روي عن الله تعالي يا ابن آدم البلاء يجمع بيني وبينك والعافية تجمع بينك وبين نفسك وفي الأثر أيضا انهم اذا قالوا للمريض اللهم ارحمه يقول الله كيف ارحمه من شيء به ارحمه وقد شهدنا ان العسكر اذا انكسر خشع لله وذل وتاب الى الله من الذنوب وطلب النصر من الله وبرئ من حوله وقوته متوكلا على الله ولهذا ذكرهم الله بحالهم يوم بدر وبحالهم يوم حنين فقال (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وقال تعالى

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) وشواهد هذا الاصل كثيرة وهو أمر يجده الناس بقلوبهم ويخشونه ويعرفونه من أنفسهم ومن غيرهم وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها والاخبار المتواترة لمن سمعها * ثم ذكر حكمة أخرى فقال (ويمحق الكافرين) وذلك ان الله سبحانه انما يعاقب الناس باعمالهم والكافر اذا كانت له حسنات اطعمه الله بحسناته في الدنيا فاذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره والكفار اذا أديلوا يحصل لهم من الطغيان والعدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحق ففي إدالتهم ما يمحقهم الله به وأما الغدر فان الرسل لا تغدر أصلا اذ الغدر قرين الكذب كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان وفي الصحيحين أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر (قلت) الغدر ونحوه داخل في الكذب كما قال تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) وقال تعالى (ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون * لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون) فالغدر يتضمن كذبا في المستقبل والرسل صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك فكان هذا من العلامات * قال وسألتك بما يأمركم فذكرت انه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم وهذه صفة نبي وقد كنت أعلم ان نبيا يبعث ولم أكن أظن انه منكم ولوددت اني أخلص اليه ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت اليه وان يكن ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وكان المخاطب بذلك أبو سفيان ابن حرب وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضا وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان

فقلت لاصحابي ونحن خروج لقد أمر أمر ابن أبي كبشة انه يخافه ملك بني الاصفر وما زلت موقنا بان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر حتى أدخل الله عليّ الاسلام وأنا كاره ﴿ قلت ﴾ فمثل هذا السؤال والبحث أفاده هذا العاقل اللبيب علما جازما بان هذا هو النبي الذي ينتظره وقد اعترض على هذا بعض من لم يدرك غور كلامه وسؤاله كالمازرى ونحوه وقال انه بمثل هذا لا تعلم النبوة وانما تعلم بالمعجزة وليس الامر على ما قال بل كل عاقل سليم الفطرة اذا سمع هذا السؤال والبحث علم انه من أدل الامور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب وانه بهذه الامور تميز له ذلك ومما ينبغي أن يعرف ان ما يحصل في القلب لمجموع أمور قد يستقل بعضها به بل كل ما يحصل للانسان من شبع وري وسكر وفرح وغم بامور مجتمعة لا يحصل ببعضها لكن بعضها قد يحصل بعض العلم وكذلك العلم بمجرد الاخبار وبما جربه من المجربات وبما في نفس الانسان من الامور فان الخبر الواحد يحصل في القلب نوع ظن ثم الآخر يقويه الى أن ينتهى الى العلم حتى يتزايد فيقوي وكذلك ما يجربه الانسان من الامور وما يراه من أحوال الشخص وكذلك ما يستدل به على كذبه وصدقه وأيضا فان الله سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بانبيائه والمؤمنين من الكرامة وما فعله بمكذبيهم من العقوبة وذلك أيضا معلوم بالتواتر كتواتر الطوفان واغراق فرعون وجنوده والله تعالى كثيرا ما يذكر ذلك في القرآن كقوله (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فامليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير . وكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد * أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمي الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) وقال تعالى (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص * ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) وقال تعالى كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) الى قوله تعالى (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا في الارض فاخذهم الله

بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب) الى قوله سبحانه (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) الى قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون) الى قوله تعالى (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) ولما ذكر في سورة الشعراء قصص الانبياء نبيا بعد نبي كقصة موسى وابراهيم ونوح ومن بعده يقول في آخر كل قصة (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) كقوله تعالى (فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون * قال كلا ان معي ربي سيهدين * فاوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وازلفنا ثم الآخرين * وانجينا موسى ومن معه أجمعين * ثم اغرقنا الآخرين * ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) وكذلك قال في آخر كل قصة الى أن قال في قصة شعيب (فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم * ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد * وثمود وقوم لوط واصحاب الأيكة أولئك الاحزاب * ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) وقال تعالى في قوم شعيب (فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين * وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين * فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون * ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الامثال

نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقال تعالى (ولقد أهلكنا ماحولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) فهو سبحانه يذكر ما ظهر للموحدين من مساكنهم التى كانت حول أهل مكة فان عامة من قص الله نبأه من الرسل وأممهم بعثوا حول مكة كهود باليمن وصالح بالحجر من ناحية الشام ونوح وابراهيم وموسى وعيسي ويونس ولوط وانبياء بنى اسرائيل بارض الشام ومصر والجزيرة وما يليها من العراق وقال تعالى لما قص قصة قوم لوط (فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين* وانها لسبيل مقيم* ان فى ذلك لآية للمؤمنين* وان كان اصحاب الايكة لظالمين* فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين) وقال تعالى (وان لوطا لمن المرسلين* اذ نجيناه وأهله أجمعين* الا عجوزا فى الغابرين* ثم دمرنا الآخرين* وانكم لتمرون عليهم مصبحين* وبالليل افلا تعقلون) وقال تعالى (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين* فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين* وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم) وقال تعالى (ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل* ألم يجعل كيدهم فى تضليل* وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل* فجعلهم كعصف مأكول) وقال تعالى (لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف* فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وقال تعالى (قد كان لكم آية فى فئتين التقتافئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار) وقال تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يااولى الابصار) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الارجالا نوحى اليهم من أهل القري افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا افلاتعقلون* حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين* لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب* ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ومثل هذا فى القرآن متعدد

في غير موضع يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة وقصص من كفرهم وكذبهم وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة وهذا من اعظم الادلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم وكذب من خالفهم وفجوره ثم انه سبحانه بين ان ذلك يعلم بالبصر اوالسمع أوبهما فالبصر والمشاهدة لمن رآهم أورأي آثارهم الدالة عليهم كمن شاهد اصحاب الفيل وما أحاط بهم ومن شاهد آثارهم بارض الشام واليمن والحجاز وغير ذلك كآثار اصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك * والسمع فبالاخبار التي تفيد العلم كتواتر الاخبار بماجرى في قصة موسي وفرعون وغرق فرعون في القلزم وكذلك تواتر الاخبار بقصة الخليل مع النمرود وتواتر الاخبار بقصة نوح واغراق أهل الارض وامثال ذلك من الاخبار المتواترة عند أهل الملل وغير أهل الملل مع ان في بعض قصص من تواترت به هذه الاخبار ما يحصل العلم بخبرهم * واشتراك البصر والسمع كما يشاهد بعض الآثار من تواتر الاخبار وممايبين الحال كما نشاهد السفن ويعلم بالخبر ان ابتداءها كان سفينة نوح كما قال تعالى (أولم يروا انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله مايركبون) وقوله تعالى (انا لما طغى الماء حملنا كم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية) وكذلك نشاهد أرض الحجر وما فيها من البيوت المنقورة في الجبال ونعلم بالخبر تفصيل الحال وامثال ذلك *

﴿ وبالجملة ﴾ فالعلم بانه كان في الارض من يقول بانهم رسل الله وان أقواما اتبعوهم وان اقواما خالفوهم وان الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم وعاقب اعداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها ونقل هذه الامور أظهر وأوضح من نقل اخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها واخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية كبقراط وجالينوس وبطليموس وسقراط وافلاطون وأرسطو وأتباعه فكل عاقل يعلم ان نقل اخبار الانبياء وأممهم واعدائهم أكثر وأكثر من نقل اخبار مثل هؤلاء فان اخبار الانبياء واتباعهم ينقلها من أهل الملل من لا يحصى عدده الا الله ويدونونها في الكتب وأهلها من أعظم الناس تدينا بوجوب الصدق وتحريم الكذب ففي العادة المشتركة بينهم وبين سائر بني آدم مايمنع اتفاقهم وتواطأهم على الكذب بل مايمنع اتفاقهم على كتمان ماتتوفر الهمم والدواعي على نقله وفي عادتهم الخاصة ودينهم الخاص برهان آخر أخص من الاول وأكمل وهذا معلوم على سبيل التفصيل من حال أمتنا فانا نعلم علما ضروريا بالنقل المتواتر من عادة

سلف الامة ودينهم الموجب للصدق والبيان المانع من الكذب والكتمان ما يوجب علما ضروريا لنا بما تواتر لنا عنهم وبانتفاء أمور لو كانت موجودة لنقلوها وأهل الكتابين قلنا عندهم من التواتر بحمل الامور ما يحصل به المقصود في هذا الموضع وان كان قد يجيء كذب أو كتمان في بعض التفاصيل من أهل الكتابين قبلنا وفي بعض أمتنا فهذا هو أقل بكثير مما يقع من الكذب والكتمان باخبار الفرس واليونان والهند وغيرهم ممن ينقل أخبار ملوكهم وعلمائهم ونحو ذلك وما من عاقل يسمع الخبر عن هؤلاء وعن هؤلاء كما هو موجود فى هذا الزمان في الكتب والالسنة الا ويحصل له من العلوم الضرورية باحوال الانبياء وأوليائهم وأعدائهم أعظم مما يحصل من العلوم باحوال ملوك الفرس والروم وعلمائهم وأوليائهم وأعدائهم * وهذا بين ولله الحمد

ولولا أن هذا الجواب انما كان القصد به الكلام على هذه العقيدة المختصرة لكان البسط لى في هذا الموضع أولى من ذلك * فان هذه المقامات تحتمل بسطا عظيما لكن نبهنا على مقدمات نافعة فان أكثر أهل الكلام مقصرون فى حجج الاستدلال على تقرير ما يجب تقريره من التوحيد والنبوة تقصيرا كثيرا جدا كما أنهم كثيرا ما يخطئون فيما يذكرونه من المسائل ومن لا يعرف الحقائق يظن أن ما ذكروه هو الغاية في أصول الدين . والنهاية في دلائله ومسائله فيورثه ذلك مخالفة الكتاب والسنة بل وصريح العقل فى مواضع ويورثه استضعافا لكثير من أصولهم وشكا فيما ذكروه من أصول الدين واسترابة بل قد يورثه ترجيحا لاقوال من يخالف الرسل من متفلسفة وصابئين ومشركين ونحوهم حتى يبقى في الباطن منافقا زنديقا وفى الظاهر متكلما يذب عن النبوات * ولهذا قال احمد وغيره ممن قال من السلف علماء الكلام زنادقة * وما ارتدى أحد بالكلام الا كان في قلبه غل على أهل الاسلام لانهم بنوا أمرهم على أصول فاسدة أوقعتهم في الضلال * وليس هذا موضع بسط هذا * وقد بسطناه فى غير هذا الموضع

﴿والمقصود هنا﴾ أن طرق العلم بالرسالة كثيرة جدا متنوعة ونحن اليوم اذا علمنا بالتواتر أحوال الانبياء وأوليائهم وأعدائهم علمنا علما يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة (منها) أنهم أخبروا الامم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم أخبارا كثيرة فى أمور كثيرة وهى كلها صادقة لم يقع في شيء منها تخلف ولا غلط بخلاف من يخبر به من ليس متبعا لهم ممن تنزل عليه الشياطين أو يستدل على ذلك بالاحوال الفلكية ونحوه

﴿وهؤلاء﴾ لابد أن يكونوا كثيرا بل الغالب من أخبارهم الكذب وان صدقوا أحيانا ﴿ومن ذلك﴾ أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم واهلاك عدوهم اذا عرف الوجه الذي حصل عليه كحصول الغرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى وقومه كان هذا مما يورث علما ضروريا ان الله تعالى أحدث هذا نصرا لموسى عليه السلام وقومه ونجاة لهم وعقوبة لفرعون وقومه ونكالا لهم وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام وكذلك قصة الفيل وغير ذلك

﴿ومن الطرق أيضا﴾ أن من تأمل ما جاء به الرسل عليهم السلام فيما أخبرت به وما أمرت به علم بالضرورة أن مثل هذا لا يصدر الا عن أعلم الناس وأصدقهم وأبرهم وأن مثل هذا يمتنع صدوره عن كاذب متعمد للكذب مفتر على الله يخبر عنه بالكذب الصريح أو مخطئ جاهل ضال يظن أن الله تعالى أرسله ولم يرسله وذلك لان فيما أخبروا به وما أمروا به من الاحكام والاتقان وكشف الحقائق وهدى الخلائق وبيان ما يعلمه العقل جملة ويعجز عن معرفته تفصيلا ما يبين أنهم من العلم والمعرفة والخبرة في الغاية التي باينوا بها أعلم الخلق ممن سواهم فيمتنع أن يصدر مثل ذلك عن جاهل ضال وفيها من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم ما يبين أن ذلك صدر عن راحم بار يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق واذا كان ذلك يدل على كمال علمهم وكمال حسن قصدهم فمن تم علمه وتم حسن قصده امتنع أن يكون كاذبا على الله يدعي عليه هذه الدعوى العظيمة التي لا يكون أفجر من صاحبها اذا كان كاذبا متعمدا ولا أجهل منه ان كان مخطئا

﴿وهذه الطريق﴾ تسلك جملة في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيلا في حق واحد واحد بعينه فيستدل المستدل بما يعلمه من الحق والخير جملة على علم صاحبه وصدقه ثم يستدل بعلمه وصدقه على ما لم يعلمه تفصيلا والعلم بجنس الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب معلوم بالفطرة والعقل الصريح بل جمل ذلك مما اتفق عليه بنو آدم ولذلك يسمى ذلك معروفا ومنكرا فاذا علم أنه فيما علم الناس أنه حق وانه خير هو أعلم منهم به وانصح الخلق فيه وأصدقهم فيما يقول علم بذلك أنه صادق عالم ناصح لا كاذب ولا جاهل ولا غاش

﴿وهذه الطريق﴾ يسلكها كل أحد بحسبه ولا يحتاج في هذه الطريق الى أن يعلم أولا خواص النبوة وحقيقتها وكيفيتها بل أن يعلم أنه صادق بار فيما يخبر به ويأمر به ثم من خبره يعلم حقيقة النبوة والرسالة

﴿ وقد سلك آخرون ﴾ من المتكلمين والمتفلسفة والمتصوفة وغيرهم طريقا أخرى تشبه هذه من وجه دون جه وهو أن يعلم النبوة أولا وأنها موجودة في بني آدم وأنهم محتاجون اليها ويعلم صفاتها ثم يعلم عين النبي * ثم المتكلمون من المعتزلة وغيرهم يوجبون النبوة على الله تعالى على طريقتهم في ايجاب مايوجبونه عليه والمتفلسفة قد يوجبون ذلك على طريقتهم فيما يجب وجوده فى العالم وغيرهم يوجب ذلك لما علم من عادته فى حكمته ورحمته واعطائه الخلق مايحتاجون اليه ﴿ وبالجملة ﴾ فيعلمون نوعها فى العالم ثم يعلمون الواحد من الجنس بثبوت حقيقة النوع فيه وهذه الطريقة يسلكها كثير من المتكلمة والمتصوفة والمتفلسفة والعامة وغيرهم لكن المتفلسفة كابن سينا وأمثاله أدركوا من النبوة بقدر ما أعطتهم موادهم الفلسفية التى علموا بها أن النبي يكون له كمال القوة العلمية وكمال قوة السمع والبصر وكمال قوة النفس بحيث يعلم ويسمع ويبصر ما يقصر غيره عنه ويفعل فى العالم بهمته ما يعجز غيره عنه وهؤلاء يجعلون نفس النبوة ثلاثة أمور (أحدها) أن تكون له قوة عقلية بل نسبة ينال بها العلم من غير تعلم (والثاني) أن تكون له قوة خيالية يتخيل بها الحقائق العقلية موجودة خالية موثقة من أجناس منام النائم فيرى فى نفسه ضوأ وذلك هو الرسالة عندهم ويسمع وذلك هو كلام الله عندهم (الثالث) أن تكون لنفسه قوة على أن تؤثر في العالم وهذه الاقوال الثلاثة تحصل لخلق كثير هم دون رتبة الصالحين فضلا عن النبوة ولهذا كانت النبوة عندهم مكتسبة فصار كثير منهم يطلب أن يصير نبيا كما جرى للسهروردي المقتول ولابن سبعين ولهذا كان ابن سبعين يقول لقد زدت فى حديث قال لا نبي بعدي نبي عربي * وهؤلاء يجعلون النبوة انما هى من جنس واحد وقوة النفس فى العلم والقدرة لكن يقول بينهما من الفصل بارادة النبي الخير وارادة الساحر الشر ويقولون الملك والشيطان قوي لكن قوة الملك قوة صالحة وقوة الشيطان قوة فاسدة * وأما من يقول الملائكة والجن هم جنس واحد لا فرق بينهما في الصفات فهؤلاء يقولون ان هذا القدر يحصل نوع منه لغيرهم من الاولياء لكن يحصل لهم ما هو دون ذلك * وهذا على طريقة عقلاء المتفلسفة الذين يفضلون النبي على الفيلسوف والولىّ كابن سينا وأمثاله

﴿ وأما غلاتهم ﴾ كالفارابي وأمثاله الذين قد يفضلون الفيلسوف على النبي كما يفضل اشباههم كابن عربى الطائي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما فانهم يفضلون الولى على النبي .

وكان يدعي انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الى النبي وان الملك على أصلهم هو الخال الذى فى نفس النبي والنبي بزعمهم يأخذ عن ذلك الخال والخال يأخذ عن العقل ثم زعم هذا انه يأخذ عن العقل الذي فى هذا الخيال فلهذا قال انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك مايوحي به الى النبي فهؤلاء شاركوهم فى أصل طريقهم لكن عظم ضلالهم وجهلهم بقدر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ان أصل معرفة هؤلاء بقدر النبوة معرفة ناقصة بتراء بل من عرف ماجاءت به الانبياء وما يذكرونه فى قدر النبوة علم انهم آمنوا ببعض ماجاءت به الرسل وكفروا ببعض فكما ان اليهود والنصارى آمنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض فهؤلاء آمنوا ببعض صفات النبوة وكفروا ببعض . ولهذا قد يكون فيهم من هو أكفر من اليهود والنصاري وقد يكون فى اليهود والنصارى من هو أكفر منهم بحسب ما آمن به كل من هؤلاء بما جاءت به الرسل وماكفروا به

﴿ وأبو حامد كثيرا مايسلك هذه الطريق في كتبه ﴾ لكنه لا يوافق المتفلسفة على كل مايقولونه بل يكفرهم ببعض ويضللهم في موضع وان كان في الكتب المضافة اليه ماقد يوافق بعض أصولهم بل فى الكتب التى يقال انها مضنون بها على غير أهلها ماهو فلسفة محضة مخالفة لدين المسلمين واليهود والنصاري وان كانت قد عبر عنها بعبارات اسلامية لكن هذه الكتب فى الناس من يقول انها مكذوبة على أبي حامد ومنهم من يقول بل رجع عنها ولاريب أنه صرح فى مواضع ببعض ما قاله فى هذه الكتب وأخبر في المنقذ من الضلال وغيره من كتبه بما في ذلك من الضلال . وذكر كيف كان طلبه للعلوم أولا . حتى قال اقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات وأنظر هل يمكنني أن أشكك نفسى فيها فانتهى بي طول التسلسل الى أن لم تسمح نفسى بتسليم الامان في المحسوسات أيضا . وأخذ يتبع الشك فيها وذكر بعض شبه السوفسطائية فى الحسيات ﴿ الى أن قال ﴾ فلما خطر لى هذه الخواطر وانقدحت فى النفس حاولت لذلك علاجا فلم يتيسر اذلم يمكن دفعه الا بدليل ولم يمكن نصب دليل الا من تركيب العلوم الاولية . واذا لم تكن مسلمة لم يمكن ترتيب الدليل فاعضل هذا الداء ودام قريبا من شهرين انا فيها على مذهب السفسطة بحكم الحال . لابحكم المنطق والمقال . حتي شفى الله تعالى عني ذلك المرض والاعلال . وعادت النفس الى الصحة والاعتدال . ورجعت الضروريات

العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين . ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنور قذفه الله تعالى في الصدور وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف قال فمن ظن ان الكشف موقوف على الادلة المجردة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة ﴿ الى أن قال ﴾ والمقصود من هذه الحكاية أن يعلم كمال الجد في الطلب حتي انتهى الى طلب مالا يطلب لان الاوليات ليست مطلوبة فانها حاضرة والحاضر اذا طلب بعد واختفى ﴿ قال ﴾ ولما كفانى الله تعالى هذا المرض انحصرت اصناف الطالبين عندي فى اربع فرق ﴿ المتكلمون ﴾ وهم يدعون انهم أهل الرأى والنظر ﴿ والباطنية ﴾ وهم يدعون انهم اصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الامام المعصوم ﴿ والفلاسفة ﴾ وهم يزعمون انهم أصحاب المنطق والبرهان ﴿ والصوفية ﴾ وهم يدعون انهم خاصة الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة فقلت فى نفسى الحق لا يعدو هذه الاصناف الاربعة فهؤلاء السالكون سبيل طلب الحق فان شذ الحق عنهم فلا يبقى فى درك الحق مطمع ﴿ الى ان قال ﴾ فابتدأت لسلوك هذه الطرق واستقصاء ما عند هؤلاء الفرق مبتدئا بعلم الكلام . ومثنيا بطريق الفلسفة . ومثلثا بتعليمات الباطنية . ومربعا بطريق الصوفية قال ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي وانما المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها عن تشويش المبتدعة فقد ألقى الله تعالى الى عباده علي لسان رسوله صلي الله عليه وسلم عقيدة هى الحق على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم كما نطق بمقدماته القرآن والاخبار ثم ألقى الشيطان فى وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة فلهجوا بها وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق على أهلها . فانشأ الله تعالى طائفة من المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدثة على خلاف السنة المأثورة ﴿ الى ان قال ﴾ وكان أكثر حرصهم فى استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازمهم ومسلماتهم ﴿ الى ان قال ﴾ فلم يكن الكلام فى حقي كافيا . ولا لدائي الذى اشكوه شافيا ﴿ الى ان قال ﴾ فلم يحصل منه ما يمحو بالكلية ظلمات الحيرة فى اختلافات الخلق . ولا أبعد ان يكون قد حصل ذلك لغيرى بل لا أشك في حصول ذلك لطائفة ولكن حصولا مشوبا بالتقليد فى بعض الامور التى ليست من الاوليات ﴿ الى ان قال ﴾ ثم اني ابتدأت بعد الفراغ من علم الكلام بعلم الفلسفة

وعلمت يقينا انه لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى ذلك العلم حتى يساوي أعلمهم في اصل العلم ثم يزيد عليه ويجاوز درجته فيطلع على مالم يطلع عليه صاحب العلم من غور وغائلة ﴿ الى ان قال ﴾ لم أزل حتى اطلعت على ما فيه من خداع وتلبيس وتحقيق وتخييل اطلاعا لم أشك فيه فاستمع الآن حكايته وحكاية حاصل علومهم فاني رأيتهم أصنافا . ورأيت علومهم أقساما . وهم على كثرة أصنافهم تلزمهم وصمة الكفر والالحاد وان كان بين القدماء منهم والاقدمين وبين الاواخر منهم والاوائل تفاوت عظيم فى البعد عن الحق والقرب منه

﴿ ثم قال ﴾ اعلم انهم على كثرة فرقهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام ﴿ الدهريون ﴾ ﴿ والطبائعيون ﴾ ﴿ والالهيون ﴾

﴿ الصنف الاول ﴾ الدهريون وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم لم يزل موجودا كذلك ولم يزل الحيوان من نطفة والنطفة من حيوان كذلك كان وكذلك يكون أبدا وهؤلاء الزنادقة

﴿ الصنف الثانى ﴾ الطبيعيون وهم قوم أكثر بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات ﴿ الى ان قال ﴾ الا أن هؤلاء لكثرة بحثهم عن الطبيعة ظهر عندهم لاعتدال المزاج تأثير عظيم فى قوام قوى الحيوان به فظنوا ان القوة العاقلة من الانسان تابعة لمزاجه أيضا وانها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم ثم اذا انعدمت فلا تعقل اعادة المعدوم كما زعموا فذهبوا الى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة وانكروا الجنة والنار والقيامة والحساب فلم يبق عندهم للطاعة ثواب ولا للمعصية عقاب * فانحل عنهم اللجام . وانهمكوا في الشهوات انهماك الانعام . وهؤلاء أيضا زنادقة لان أصل الايمان هو الايمان بالله واليوم الآخر وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر وان آمنوا بالله تعالى وصفاته

﴿ والصنف الثالث ﴾ الالهيون وهم المتأخرون مثل سقراط وهو أستاذ أفلاطون وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس وأرسطاطاليس هو الذي رتب لهم المنطق وهذب لهم العلوم وخمر لهم مالم يكن مخمرا من قبل . وأوضح لهم ما كان أمحى من علومهم وهم بجملتهم ردوا على الصنفين الاولين من الدهرية والطبيعية وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم . وكفى الله المؤمنين القتال بتقاتلهم . ثم رد أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط ومن كان قبله من

الالهيين رداً لم يقصر فيه حتى تبرأ عن جميعهم الا انه استبقى أيضا من رذائل كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفق للنزوع عنها فوجب تكفيرهم وتكفير متبعيهم من المتفلسفة الاسلاميين كابن سينا والفارابي وأمثالهما . على انه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الاسلاميين كقيام هذين الرجلين وما نقله غيرهما ليس يخلو عن تخبيط وتخليط يتشوش فيه قلب المطالع حتى لا يفهم ومن لا يفهم كيف يرد أو يقبل ومجموع ما صح عندنا من فلسفة أرسطاطاليس بحسب نقل هذين الرجلين ينحصر في أقسام * قسم يجب التكفير به * وقسم يجب التبديع به * وقسم لا يجب انكاره أصلا فلنفصله *

ثم ذكر انها ستة أقسام رياضية ومنطقية وطبيعية والهية وسياسية وخلقية * وتكلم على ذلك بما ليس هذا موضعه * وقد بينا الكلام على ذلك في غير هذا الموضع (الى أن قال) ثم اني لما فرغت من علم الفلسفة وتحصيله وتفهيمه وتزييف ما تزيف منه علمت ان ذلك أيضا غير واف بكمال الغرض فان العقل ليس مستقلا بالاحاطة بجميع المطالب ولا كاشفا للغطاء عن جميع المعضلات * ثم ذكر مذهب الباطنية وتلبيسهم وانه ليس معهم شيء من الشفاء المنجي من ظلمات الآراء * ثم هم مع عجزهم عن اقامة البرهان عن تعيين الامام المعصوم صدقناهم في الحاجة الي التعليم والي المعلم المعصوم وانه هو الذي عينوه ثم سألناهم عن العلم الذي تعلموه من هذا المعصوم وعرضنا عليهم اشكالات فلم يفهموها فضلا عن القيام بحلها فلما عجزوا أحالوا على الامام الغائب وقالوا لا بد من السفر اليه . والعجب انهم ضيعوا عمرهم في طلب المعلم والنجاح في الظفر به ولم يتعلموا منه شيأ أصلا كالمتضمخ بالنجاسة يتعب في طلب الماء فاذا وجد ما يستعمله بقي مضمخا بالنجاسة . ومنهم من ادعى شيأ من علمهم وكان حاصل ماذكره من ركيك فلسفة فيثاغورس وهو رجل من قدماء الاوائل ومذهبه أول مذاهب الفلاسفة وقد رد عليه الارسطاطاليس بل استدرك كلامه واسترذله وهو المحكي في كتاب رسائل اخوان الصفا وهو على التحقيق حشو الفلسفة * فالعجب ممن يتعب طول العمر في طلب العلم ثم يتبع لمثل ذلك العلم الركيك المستغث ويظن انه ظفر باقصي مقاصد العلوم فهؤلاء أيضا جربناهم وسبرنا باطنهم وظاهرهم فرجع حاصلهم الى استدراج العوام وضعفاء العقول ببيان الحاجة الى المعلم ومجادلتهم في انكارهم الحاجة الى التعليم * بكلام قوي مفحم * حتى اذا ساعدهم على الحاجة

الى المعلم مساعد * وقال هات علمه وافدنا من تعليمه وقف فقال الآن اذا سلمت لى هذا فاطلبه فانما غرضى هذا القدر فقط اذعلم انه لو زاد على ذلك لافتضح ولعجز عن حل أدنى المشكلات بل عجز عن فهمه فضلا عن جوابه ﴿ قال ثم انى لما فرغت ﴾ من هذه أقبلت بهمتى على طريق الصوفية وعلمت ان طريقهم انما يتم بعلم وعمل وكان حاصل علمهم قطع عقبات النفس والتنزه عن اخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة حتى يتوصل بها الى تخلية القلب عن غير الله تعالى وتحليته بذكر الله وكان العلم أيسر على من العمل فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل قوت القلوب لأبى طالب المكى وكتب الحارث المحاسبي والمتفرقات المنثورة عن الجنيد والشبلى وأبي يزيد البسطامي قدس الله أرواحهم وغير ذلك من كلام المشائخ حتى اطلعت على كثير من مقاصدهم العلمية وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بالتعلم والسماع وظهر لي أن أخص خواصهم مالا يمكن الوصول اليه بالتعلم بل بالذوق والحال وتبدل الصفات وكم من الفرق بين أن يعلم حد الصحة وحد الشبع واسبابهما وشروطهما وبين أن يكون صحيحا شبعان وبين أن يعرف حد السكر وانه عبارة عن حالة تحصل عن استيلاء ابخرة تتصاعد من المعدة الى معادن الفكر وبين أن يكون سكران بل السكران لا يعرف حد السكر وأركانه وهو سكران وما معه من علمه شيء والطبيب يعرف حد السكر واركانه وما معه من السكر شيء والطبيب فى حالة المرض يعرف حد الصحة وأدويتها وهو فاقد الصحة فكذلك الفرق بين من يعرف حقيقة الزهد وشروطها واسبابها وبين من يكون حالة الزهد عزوف النفس عن الدنيا * فعلمت يقينا انهم أرباب أحوال لا أصحاب أقوال وان ما يمكن تحصيله بطريق العلم قد حصلته * ولم يبق الا مالا سبيل اليه بالتعلم والسماع بل بالذوق والسلوك وكان قد حصل معي من العلوم التى مارستها . والمسالك التي سلكتها فى تفتيشي عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية ايمان يقينى بالله تعالى وبالنبوة وباليوم الآخر . وهذه الاصول الثلاثة كانت رسخت فى نفسي بلا دليل محرر بل باسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها وكان قد ظهر عندى انه لا مطمع في سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كله قطع علاقة القلب عن الدنيا والتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال

﴿ وذكر حاله ﴾ في خروجه عن ذلك ومجيئه الى الشام ثم الحجاز ﴿ الى أن قال ﴾ وانكشف لي في اثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي اذكره لينتفع به اني علمت يقينا ان الصوفية هم السالكون لطرق الله تعالى الخاصة وان سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق واخلاقهم أزكى الاخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشريعة من العلماء ليغيروا شيأ من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في باطنهم وظاهرهم مقتبسة من نورمشكاة النبوة فليس وراء نور النبوة على وجه الارض نور يستضاء به ﴿ الى أن قال ﴾ ومما بان لي بالضرورة من ممارسة طريقتهم حقيقة النبوة وخاصتها * ثم تكلم في حقيقة النبوة واضطرار كافة الخلق اليها

﴿ فقال اعلم ﴾ ان جوهر الانسان من أول الفطرة خلق خاليا ساذجا لا خبر معه من عوالم الله تعالى والعوالم كثيرة لا يحصيها الا الله كما قال سبحانه (وما يعلم جنود ربك الا هو) ثم ذكر ما يدركه بالحواس ثم بالتمييز ثم يترقى في طور آخر فيخلق له العقل فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات وأمورا لا توجد في الاطوار التي قبله ووراء العقل طور آخر ينفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل وأمور أخرى العقل معزول عنها لعزل قوة الحس عن مدركات التمييز وكما أن المميز لو عرض عليه مدركات العقل لاباه واستبعده فكذلك بعض العقلاء أبو مدركات النبوة فاستبعدوها وذلك عين الجهل اذ لا مستند له الا أنه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقه فظن أنه غير موجود في نفسه والاكمه لو لم يعلم بالتواتر والتسامع الالوان والاشكال وحكي له ابتداء لم يفهمها ولم يقر بها * وقد قرب الله منها ذلك الى خلقه بان أعطاهم أنموذجا من خاصة النبوة وهو النائم اذ النائم لم يدرك ما سيكون في الغيب إما صريحا وإما في كوة مثال يكشف عنه التعبير * وهذا لولم يجر به الانسان من نفسه وقيل له أن من الناس من يسقط مغشيا عليه كالميت ويزول احساسه وسمعه وبصره فيدرك الغيب لا نكره ولا قام البرهان على استحالته ﴿ وقال ﴾ القوى الحساسة أسباب الادراك فمن لا يدرك الشئ مع وجودها وحضورها فبان لا يدرك مع ركودها أولى * وهذا نوع قياس يكذبه الوجود والمشاهدة فكما أن العقل طور من اطوار الآدمي يحصل فيه عين أخرى يبصر بها أنواعا من المعقولات

الحواس معزولة عنها فالنبوة أيضا عبارة عن طور يحصل فيه عين أخرى لها نور يظهر في نورها الغيب وأمور لا يدركها العقل * والشك في النبوة اما أن يقع في امكانها أو في وجودها أو وقوعها أو في حصولها لشخص معين *ودليل امكانها وجودها ودليل وجودها وجود معارف في العالم لا يتصور أن تنال بالعقل كعلم الطب والنجوم فان من بحث عنها علم بالضرورة أنها لاتدرك الا بالهام الهي وتوفيق من جهة الله تعالى ولاسبيل اليه بالتجربة فمن الاحكام النجومية مالا يقع الا في كل الف سنة مرة فكيف ينال ذلك بالتجربة وكذلك خواص الادوية فتبين بهذا البرهان أن في الامكان وجود طريق لادراك هذه الامور التي لا يدركها العقل وهو المراد بالنبوة لاأن النبوة عينها فقط بل ادراك هذا الجنس الخارج عن مدركات العقل احدى خواص النبوة وله خواص كثيرة سواها وما ذكرناه فقطرة من بحرها انما ذكرناها لان معك انموذجا منها وهي مدركاتك في النوم ومعك علوم من جنسها في الطب والنجوم فأما معجزات الانبياء فلا سبيل اليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلا واما ما عداها من خواص النبوة فانما يدركه بالذوق من سلك طريق التصوف لان هذا انما فهمته بانموذج رزقته وهو النوم ولولاه ماصدقت به فان كان للنبي خاصة ليس لك منها انموذج فلاتفهمها أصلا فكيف تصدق بها وانما التصديق بعد التفهيم وذلك الانموذج يحصل في أول طريق التصوف فيحصل به نوع من الذوق بالقدر الحاصل ونوع من التصديق بما لم يحصل بالقياس اليه فهذه الخاصة الواحدة تكفيك للايمان باصل النبوة فان وقع لك الشك في شخص معين أنه نبي أم لا فلا يحصل اليقين الا بمعرفة أحواله اما بالمشاهدة أو بالتواتر والتسامع فانك اذا عرفت الطب والفقه يمكنك أن تعرف الفقهاء و الاطباء بمشاهدة أحوالهم وسماع أقوالهم إن لم تشاهدهم فمعرفة كون الشافعي فقيها وكون جالينوس طبيبا معروف بالحقيقة لا بالتقليد بان تتعلم شيئا من الطب والفقه وتطالع كتبهما وتصانيفهما فيحصل لك علم ضروري بحالهما وكذلك اذا فهمت معنى النبوة فاكثر النظر في القرآن والاخبار يحصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله علية وسلم في أعلى درجات النبوة واعضد ذلك بتجربة ماقاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب وكيف صدق في كذا وكذا فاذا جربت ذلك في الف وألفين والآف حصل لك علم ضروري لاتمارى فيه فمن هذا القبيل طلب اليقين بالنبوة لا من قلب العصا ثعبانا وشق القمر فان ذلك اذا نظرت اليه وحده ولم تنضم اليه القرائن الكثيرة

الخارجة عن حد الحصر ربما ظننت انه سحروانه تخييل وانه من الله تعالى اضلال فانه يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويرد عليك أسئلة المعجزات فاذا كان مستند ايمانك كلاما منظوما فى وجه دلالة المعجزة ينخرم ايمانك بكلام مرتب من وجه الاشكال والشبه عليها فليكن مثل هذه الخوارق احدى القرائن والدلائل فى جملة نظرك حتى يحصل لك علم ضروري لا يمكنك ذكر مستنده على التعيين كالذى يخبره جماعة بخبر متواتر لا يمكنه أن يقول اليقين مستفاد من قول واحد معين بل من حيث لا يدري ولا يخرج عن جملة ذلك ولا تتمين الاحاد فهذا هو الايمان القوى العلمى ﴿ وأما الذوق ﴾ فهو كالمشاهدة والاخذ باليد ولا يوجد الا فى طريق الصوفية

﴿ قال ثم اني واظبت ﴾ على العزلة والخلوة قريبا من عشر سنين وبان لى فى أثناء ذلك على الضرورة من أسباب لا أحصيها وبان لى من حقيقة الذوق ان للانسان بدنا وقلبا وأعنى بالقلب حقيقة روحه التى هي محل معرفة الله تعالى دون اللحم الذى يشاركه فيه الميت والبهيمة وان البدن له صحة بها سعادته * ومرض فيه هلاكه * وان القلب كذلك له صحة وسلامة ولا ينجو الا من أتى بقلب سليم * وله مرض فيه هلاكه * ان لم يتداركه كما قال تعالى ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ وان الجهل بالله سم مهلك وان معصية الله تعالى بمتابعة الهوي داءه الممرض وان معرفة الله تعالى ترياقه المحي وطاعته بمخالفته الهوى * دواؤه الشافى وانه لا سبيل الى معالجته بازالة مرضه وكسب صحته الا بادوية كما لا سبيل الى معالجة البدن الا بذلك وكما ان أدوية البدن تؤثر فى كسب الصحة بخاصية فيها لا تدركها العقلاء ببضاعة العقل بل يجب فيها تقليد الاطباء الذين أخذوها عن الانبياء الذين اطلعوا بخاصية النبوة على خواص الاشياء فكذلك بان لي على الضرورة ان أدوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدرة من جهة الانبيا لا يدرك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء بل يجب فيها تقليد الانبياء الذين أدركوا تلك الخواص لا ببضاعة العقل وكما ان الادوية تركب من اخلاط مختلفة النوع والمقدار وبعضها ضعف لبعض فى الوزن فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سر من قبل الخواص فكذلك العبادات التى هى أدوية القلوب مركبة من أفعال مختلفة النوع والمقدار حتى ان السجود ضعف الركوع وصلاة الصبح نصف صلاة الظهر ولا يخلو عن سر من الاسرار هو من قبيل الخواص التى لا يطلع عليها الا بنور النبوة ولقد تحامق وتجاهل جدا من أراد أن يستنبط بطريق العقل

لها حكمة وظن انها ذكرت على الاتفاق لا عن سر الهى فيها يقتضيها بطريق الخاصية وكما ان في الاودية أصولا هى أركانها وزوائدهي متماتها لكل واحد منها خصوص تأثير فى أعمال أصولها كذلك السنن والنوافل لتكميل آثار أركان العبادات * وعلى الجملة فالانبياء أطباء أمراض القلوب وأما فائدة العقل وتصرفه ان عرفنا ذلك وشهد بصدق النبوة وبعجز نفسه عن درك مايدرك بعين النبوة وأخذنا بايدينا وسلمنا اليها تسليم العميان الى القائدين وتسليم المرضى المتحيرين الى الاطباء المشفقين فالى ههنا مجري العقل ومخطاه وهو معزول عما بعد ذلك الا عن تفهيم مايلقيه الطبيب اليه فهذه أمور عرفناها بالضرورة الجارية مجري المشاهدة في مدة الخلوة والعزلة * ثم رأينا فتور الاعتقاد في أصل النبوة ثم في حقيقة النبوة ثم فى العمل بما شرحته النبوة وتحققنا شيوع ذلك بين الخلق ونظرت الى أسباب فتور الخلق وضعف ايمانهم بها فاذا هو أربعة سبب من الخائضين فى علم الفلسفة وسبب من الخائضين في طريق التصوف وسبب من المنتسبين الى دعوى التعليم وسبب من معاملة المتوسمين من العلماء فيما بين الناس فانى تتبعت مدة أحاد الخلق اسأل من يقصر منهم فى متابعة الشرع واسأله شبهته * وابحث عن عقيدته وسره وأقول له مالك تقصر فيها فان كنت تؤمن بالآخرة ولست تستعد لها وتبيعها بالدنيا فهذه حماقة فانك لاتبيع الاثنين بواحد فكيف تبيع مالا نهاية له بايام معدودة وان كنت لا تؤمن فأنت كافر فدبر لنفسك فى طلب الايمان وانظر ماسبب كفرك الخفى الذي هو مذهبك باطنا وهو سبب جراءتك ظاهرا وان كنت لا تصرح به تجملا بالايمان وتشرفا بذكر الشرع فقائل يقول هذا أمر لو وجبت المحافظة عليه لكان العلماء أجدر بذلك وفلان من المشهورين من الفضلاء لا يصلى وفلان يشرب الخمر وفلان يأكل الاموال من الاوقاف وأموال اليتامي وفلان يأكل أدرار السلطان ولا يحترز من الحرام وفلان يأخذ الرشوة على القضاء والشهادة وهلم جرا الى أمثاله وقائل ثان يدعى علم التصوف فيقول انى بلغت مبلغا ترقيت عن الحاجة الي العبادة وقائل ثالث تعلل بشبهة اخري من شبهات أهل الاباحة وهم الذين ضلوا عن طريق التصوف وقائل رابع لقى أهل التعليم ويقول الحق مشكل والطريق اليه عسير منسد والاختلاف فيه كثير وليس بعض المذاهب أولى من بعض وادلة العقول متعارضة فلاثقة برأي أهل الرأي والداعى الى التعليم متحكم لاحجة له فكيف ندع اليقين بالشك وقائل خامس يقول لست أفعل هذا تقليدا ولكنى قرأت علم الفلسفة وادركت حقيقة

النبوة وان حاصلها يرجع الي المصلحة والحكمة وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات فما انا من العوام الجهال حتي ادخل في حجر التكليف وانما انا من الحكماء اتبع الحكمة وانا بصير بها مستغنى فيها عن التقليد

هذا منتهى ايمان من قرأ فلسفة الالهين منهم ويعلم ذلك من كتب ابن سينا وابى نصر الفارابى وهؤلاء المتجملون منهم بالاسلام وربما تري الواحد منهم يقرأ القرآن ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه ولكنه مع ذلك لايترك شرب الخمر وانواعا من الفسق والفجور واذا قيل له ان كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلى فربما يقول رياضة الجسد وعادة البلد وحفظ المال والولد وربما قال الشريعة صحيحة والنبوة حق فيقال له فلم تشرب الخمر فيقول انما نهى عن الخمر لانها تورث العداوة والبغضاء وانا بحكمتى محترز عن ذلك واني اقصد به تشحيذ خاطري حتى ان ابن سينا ذكر فى وصية له كتب فيها انه عاهد الله تعالى على كذا وكذا وان يعظم الاوضاع الشرعية ولا يقصر فى العبادات الدينية ولايشرب الخمر تلهيا بل تداويا وتشفيا وكان منتهى حالته فى صفاء الايمان والتزام العبادات ان يستثنى شرب الخمر لغرض التشفى فهذا ايمان من يدعى الايمان منهم وقد انخدع الي ذكر مارد به على أهل التعليم وأهل الاباحة

﴿ قال وأما من فسد ايمانه بطريق الفلسفة حتى أنكر أصل النبوة ﴾ فقد ذكرنا حقيقة النبوة ووجودها بالضرورة بدليل وجود خواص الادوية والنجوم وغيرها وانما قدمنا هذه المقدمة لاجل ذلك وأوردنا الدليل من خواص النجوم والطب لانه من نفس علمهم ونحن نبين لكل عالم بفن من العلوم كالنجوم والطب والطبيعة والسحر والطلسمات مثلا من نفس علمه برهان النبوة * وأما من اثبت النبوة بلسانه وسوّى أوضاع الشرع على الحكمة فهو على التحقيق كافر بالنبوة وانما هو مؤمن بحكيم له طالع مخصوص يقتضى طالعه أن يكون متبوعا وليس هذا من النبوة فى شىء بل الايمان بالنبوة أن يقر باثبات طور وراء طور العقل تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصة والعقل معزول عنها كعزل اللمس عن ادراك الاصوات وجميع الحواس عن ادراك المعقولات فان لم يجوز هذا فقد أقمنا البرهان على امكانه بل على وجوده * وأخذ يستدل بالخواص الموجودة فى الطبيعيات على امكان خواص ثابتة في الشرعيات وان تلك اذا لم تعرف بقياس العقل فكذلك الاخرى ﴿ قال وانما تدرك هذه الخواص ﴾ بنور النبوة قال

والعجب انا لوغيرنا العبارة الي عبارة المنجمين لصدقوا باختلاف هذه الاوقات فنقول أليس يختلف الحكم والطالع بان تكون الشمس في وسط السماء أو في الطالع أو في الغارب حتى بنوا على هذا في تسييراتهم اختلاف الصلاح وتفاوت الاعمار والآجال فلا فرق بين الزوال وبين كون الشمس في وسط السماء ولا بين المغرب وبين كون الشمس في الغارب فلم يكن لتصديقه سبب الا أن ذلك سمعه بعبارة منجم جرب كذبه مائة مرة ولا يزال يعاود تصديقه حتى لوقال له المنجم اذا كانت الشمس في وسط السماء ونظر اليه الكوكب الفلاني فلبست ثوبا جديدا في ذلك الوقت قتلت في ذلك الوقت فانه لا يلبس الثوب في ذلك الوقت وربما يقاسي فيه البرد الشديد وربما سمعه من منجم قد جرب كذبه مرات فليت شعري من يتسع عقله لقبول هذه البدائع ويضطر الى الاعتراف بانها خواص معرفتها معجزة لبعض الانبياء كيف ينكر مثل ذلك فيما يسمعه من قول نبي صادق مؤيد بالمعجزات لم يعرف قط بالكذب ولم لا يتسع لامكان هذه الخواص في اعداد الركعات ورمي الجمار وعدد أركان الحج وسائر تعبدات الشرع ولم نجد بينها وبين خواص الادوية والنجوم فرقا أصلا فان قال قد جربت شيأ من النجوم وشيأ من الطب فوجدت بعضه صادقا فانقدح في نفسي تصديقه وسقط عن قلبي استبعاده ونفرته وهذا لم أجرب به فبم أعلم وجوده وتحققه وان اقررت بامكانه فاقول انك لا تقتصر على تصديق ما جربته بل سمعت أخبار المجربين وقلدتهم فاسمع أقوال الاولياء فقد جربوه وشاهدوا الحق في جميع ماورد به الشرع أو اسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك على انى أقول وان لم تجرب فيقتضي عقلك بوجوب التصديق والاتباع قطعا فانا لو فرضنا رجلا بلغ وعقل ولم يجرب ومرض وله والد مشفق حاذق بالطب يسمع دعواه في معرفة الطب منذ عقل فعجن له والده دواء وقال هذا يصلح لمرضك ويشفيك من سقمك فماذا يقتضيه عقله وان كان الدواء كريها مر المذاق أن يتناول أو يكذب ويقول أنا لا أعرف مناسبة هذا الدواء لتحصيل الشفاء ولم أجربه فلا شك أنك تستحمقه ان فعل ذلك فكذلك يستحمقك أهل البصائر في توقفك فان قلت فبم أعرف شفقة النبي ومعرفته بهذا الطب فاقول وبم عرفت شفقة أبيك فان ذلك أمرا ليس محسوسا بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في موارده ومصادره علما ضروريا لا يتمارى فيه ومن نظر في أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ورد من الاخبار في اهتمامه

بارشاد الخلق وتلطفه في حق الناس بانواع اللين واللطف الى تحسين الاخلاق واصلاح ذات البين وبالجملة الى ما يصلح به دينهم ودنياهم حصل له علم ضروري بان شفقته على أمته أعظم من شفقة الوالد على ولده واذا نظر الى عجائب ما ظهر عليه من الافعال والى عجائب الغيب التي أخبر عنها في القرآن على لسانه وفى الاخبار والى ما ذكره فى آخر الزمان وظهر ذلك كما ذكره علما ضروريا انه بلغ الطور الذي وراء العقل وانفتحت له العين التي ينكشف منها الغيب والخواص والامور التي لا يدركها العقل وهذا هو منهاج يحصل العلم الضروري بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وتأمل في القرآن وطالع الاخبار الى أن تعرف ذلك بالعيان وهذا القدر يكفى فى تنبيه المتفلسفة ذكرناه لشدة الحاجة اليه في هذا الزمان

﴿قلت﴾ فهذه الطريق التي ذكرها أبو حامد وغيره تفضى أيضا الى العلم من النبوة والتصديق منها بأكثر من القدر الذي تقر به المتفلسفة ٭ وما ذكره من المشاهدات والكشوفات التي تحصل للصوفية وأنهم يشهدون تحقيق ما أخبر به الرسول عليه الصلاة والسلام ونفع ما أمر به فهذا أيضا حق فى كثير مما أخبر به وأمر به ثم اذا علم ذلك صار حجة على صدقه فيما لم يعلمه كمن سلك طريقا من العلم بفن من الفنون اذا رأى كلام متكلم فى ذلك العلم ورآه يحقق ما عنده ويأتى بزيادات لا يستطيعها فانه يعلم بما رآه من مزيد تحقيقه لمشاركه فى أصل معرفته انه أعلم منه بما وراء ذلك كمن نظر فى الطب اذا رأى كلام بقراط ومن نظر فى النحو اذا رأى كلام الخليل وسيبويه ومن نظر في العلوم الدينية اذا رأى كلام أئمة السلف وكذلك من سلك مسلك الزهد والعبادة اذا بلغه سير زهاد السلف وعبادتهم ومن ولى الناس وساسهم اذا رأي سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعمر بن عبد العزيز ونحوهما ٭ فهذا كله مما يبين له عظمة قدر هؤلاء وأنهم كانوا أئمة في هذه الامور وفيما يصلح ويجب من ذلك ويعلم كل أحد الفرق بين سيرة العمرين وسيرة الحجاج والمختار بن أبى عبيد ونحوهما بل يعلم الفرق بين سيرة أبى أمية وبني العباس وبين سيرة بنى بويه وبنى عبيد وأمثال ذلك كذلك يعلم الفرق بين نبينا محمد وموسى وعيسى عليهم السلام وبين مسيلمة والاسود العنسى وأمثالهما بأدنى تأمل وهذه الطريق ينقسم الناس فيها الى عام وخاص بسبب علمهم بالخير والشر والصدق والكذب ونحو ذلك وهذه تفيد العلم القطعى بأن الانبياء أكمل الخلق وأفضلهم وأنه لا يصلح لاحد أن يعارضهم برأيه ولا يخالفهم بهواه لكن لا يفيد العلم بحقيقة النبوة الا أن يعترف أن النبي

أعلم منه فلا يمكنه ان يقول هو أعلم منه فكل من حصل له من المخاطبات والمشاهدات ما يحصل للاولياء فانه يعلم ان الذي للانبياء فوق الذى له من ذلك كعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فانه قد ثبت في الصحيح انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال انه قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتي أحد فعمر * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه * وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر وكان عمر بهذا يعلم ان ما يأتى النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والملائكة وما يخبر به من الغيب وما يأمر به وينهى عنه أمر زائد علي قدره ومجاوز لطاقته بل يجد بينه وبين ذلك من التفاوت ما يعجز القلب واللسان عن معرفته وتبيانه بل كان عمر بما حصل له من المكاشفة والمخاطبة يعلم ان أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما اكمل منه معرفة ويقينا واتم صدقا واخلاقا واعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم فكان خضوع عمر هذا الذى هو افضل الاولياء المحدثين الملهمين المخاطبين لابى بكر الصديق كخضوع من رأي غيره من مشاركيه في فنه اكمل منه كخضوع الاخفش لسيبويه وزفر لابى حنيفة وابن وهب لمالك ونحو ذلك أو خضوع فقهاء المدينة لسعيد بن المسيب وعلماء البصرة للحسن البصري وفقهاء مكة لعطاء بن أبي رباح واذا كان هذا مثل عمر مع أبي بكر لان أبا بكر صديق يأخذ ما يأخذه عن الرسول المعصوم عليه الصلاة والسلام الذي قد عصم أن يستقر فيما جاء به خطأ فهو لخبرته بحال صديق النبي بهذه المثابة وكل من كان عالما بالصحابة يعلم أن عمر رضي الله تعالى عنه كان متأدبا معظما بقلبه لابي بكر رضى الله عنه مشاهداً انه أعلى منه ايمانا ويقينا فكيف يكون حال عمر وغيره مع النبي صلي الله عليه وسلم واذا كان هذا حال أفضل المحدثين المخاطبين فكيف حال سائرهم ولا ريب ان الرجل كلما عظمت ولايته وعظم نصيبه من انكشاف الحقائق له كان تعظيمه للنبوة أعظم والناس فى هذه الطريق متفاوتون بحسب درجاتهم لكن طريق الصوفية لا ينهض بانكشاف جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم بل ولا با كثره بل عامة ما يخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أبو بكر وعمر فضلا عن غيرهما ان يعلمه بدون خبره وان كان عند المخبر بن علم بجمل ذلك أو اصله لكن ما يخبر به من التفصيل لا يعلم بدون خبره اصلا وما يوجد فى كلام أبي حامد وغيره من ان الكشف يحصل ذلك وقول القائل ان الاولياء شاهدوا الحق في جميع ما ورد به الشرع ليس بسديد بل لا يزال الاولياء مع الانبياء فى ايمان بالغيب ولا يتصور ان الولى

يعطى ما أعطيه النبي من المشاهدة والمخاطبة وأفضل الاولياء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم وليس فى هؤلاء من شاهد ماشاهده النبي صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينزلون بالوحي على النبي صلي الله عليه وسلم ولا سمع أحد منهم كلام الله الذى كلم به نبيه ليلة المعراج ولا سمع عامة الانبياء فضلا عن الاولياء كلام الله كما سمعه موسى بن عمران ولا كلم الله تكليما لداود وسليمان بل ولا ابراهيم ولا عيسى فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لاحد من الاولياء والايمان بكل ماجاء به الانبياء واجب فانهم معصومون ولا يجب الايمان بكل مايقوله الولى بل ولا يجوز فانه مامن أحد من الناس الا يؤخذ من كلامه ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سب نبيا من الانبياء قتل وكان كافرا مرتدا بخلاف الولى قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وماأوتى موسي وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) فان قيل ففي قراءة ابن عباس ولا محدث قيل هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة ولا يجوز الاحتجاج بها فى أصول الدين وان كانت صحيحة فالمعني ان المحدث كان فيمن كان قبلنا وكانوا يحتاجون اليه وكان ينسخ مايلقيه الشيطان اليه كذلك وأمة محمد صلي الله عليه وسلم لا تحتاج الى غير محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا كانت الامم قبلنا لا يكفيهم نبي واحد بل يحيلهم هذا النبي فى بعض الامور على النبي الآخر وكانوا يحتاجون الي عدد من الانبياء ويحتاجون الى المحدث وأمة محمد أغناهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره من الانبياء والرسل فكيف لا يغنيهم عن المحدث ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انه قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فعمر فعلق ذلك بان ولم يجزم به لانه علم استغناء أمته عن محدث كما استغنت عن غيره من الانبياء سواء كان فيها محدث أولا أو كان ذلك لكمال رسولها الذى هو أكمل الرسل واجلهم وهؤلاء كبعض في أمته عن الامم قبلهم

﴿ وقد وقع في كلام أبي حامد وغيره ﴾ نحو من هذا في مواضع أخر حتى ذكر فيما يتأول وما لا يتأول ان ذلك لا يعلم الا بتوفيق إلهى يشاهد به الحقائق على ماهى عليه ثم ينظر فى السمع والالفاظ

الواردة فيه فما وافق مشهوده أقره وماخالفه تأوله وذكر في موضع آخر ان الواحدمن الاولياء قد يسمع كلام الله سبحانه كما سمعه موسى بن عمران وأمثال هذه الامور ولهذا تبين له في آخر عمره ان طريق الصوفية لاتحصل مقصوده فطلب الهدى من طريق الآثار النبوية واخذ يشتغل بالبخاري ومسلم ومات في اثناء ذلك على أحسن أحواله وكان كارها ما وقع في كتبه من نحو هذه الامور مما أنكره الناس عليه حتى قال المازري وغيره ما معناه ان كلامه يؤثر فى الايمان بالنبوة فينقص قدرها أونحو هذا وكذلك ماذكره من أن النبوة انفتاح قوة أخرى فوق العقل ولا ريب ان هذا مما يكون للنبي وليست النبوة قوة تدرك بها الامور وانما يشبه هذا أصول الفلاسفة الذين يزعمون ان الفيض دائم من العقل الفعال وانما يحصل في القلوب بسبب استعداد الاشخاص فأي عبد كان استعداده أتم كان الفيض عليه أتم من غير أن يكون من الملأ الاعلى سبب يخص شخصا دون شخص بالخطاب والتكليم وليس هذا مذهب المسلمين بل ولا اليهود ولا النصارى بل هؤلاء كلهم الا من ألحد منهم متفقون على أن الله سبحانه خصص موسى بالتكليم دون هارون وغيره وانه يخص بالنبوة من يشاء من عباده لا انه بمجرد استعداده يفيض عليه العلوم من غير تخصيص إلهي وهنا صار الناس ثلاثة أصناف صنف يقولون ليست النبوة الا مجرد انباء الله تعالى للعبد وهو تعلق كلامه به كما يقولون ان الاحكام الشرعية ليست الا مجرد خطاب الله تعالى المتعلق بافعال المكلفين من غير أن يكون للفعل فى نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالحكم وكذلك يقول هؤلاء ليس للنبي فى نفسه صفة اقتضت تخصيصه بالنبوة وهـذا يقوله طوائف من متكلمة أهل الاثبات القدريين أصحاب جهم وأبي الحسن وغيرهما الذين يخالفون المعتزلة والفلاسفة فيما يقولونه في فعل الرب وحكمه اذ المتفلسفة يقولون بالطبع والعلة الموجبة والمعتزلة يقولون بالاختيار المتضمن لشريعة عقلية الزموه بها في التعديل والتجويز ونحو ذلك والمنتسبون الى السنة والجماعة من الكلابيـة والاشعرية والكرامية وسائر المنتسبين الى السنة والجماعة يردون عليهم الاصول التى فارقوا بها أهل السـنة والجماعة بالتكذيب من القدر والصفات وتخليد أهـل الـكبائر كما يردون على المتفلسفة ما فارقوا به المسلمين لكن لهؤلاء فى مسائل الحكمة والمصالح وتعليل الافعال والاحكام وهل للافعال صفات يدرك بها حسنها وقبحها نزاع ليس هذا موضع تفصيله وانما نذكره مجملا ومعلوم ان الانباء والارسال من باب كلام الله

تعالى وكذلك الامر والنهى هو من باب كلام الله تعالى والامر متعلق بالفعل والارسال والانباء متعلق بالرسول والنبي وللناس فى هذا وهـذا ثلاثة أقوال (أحدها) انه ليس ذلك الا مجرد كلام الله المتعلق بذلك أو تعلق الخطاب بذلك وهو من الصفات النسبية الاضافية عندهم قالوا لانه ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية وهـذا قول هؤلاء (والقول الثاني) ان ذلك يعود الى صفة قائمة بالنبي وبالفعل (والقول الثالث) ان ذلك يتضمن الامرين فالحكم الشرعي يتضمن خطاب الشارع وصفة قائمـة بالفعل والنبوة تتضمن خطاب الرب لتضمن صـفة قائمة بالنبي أيضا وهـذا معنى قول السلف والائمة وجمهور المسلمين والفلاسفة والمعتزلة أيضا يثبتون أيضا صـفة حسن الفعل وقبحه الى صـفة فيه توجب الحمد والذم وخطاب الشارع كاشف لها لامثبت لها والمتفلسفة عندهم يعود ذلك الى صفة فى الفعل توجب كمال النفس أو نقصها ولذلك يقولون ان النبوة هى كمال للنفس الناطقة تستعد به لان تفيض عليها المعارف من العقل الفعال من غير أن يكون هناك خطاب حقيقى لله تعالى ولكن كلام الله سبحانه عندهم هو مايحدث فى نفس النبي من أصوات يسمعها فى نفسه لاخارجا عن نفسه والملائكة عبارة عن أشكال نورانية يراها تكون في نفسه لاخارجا عن نفسه كما يرى النائم في منامه صوراً يخاطبها وكلاما يسمعه وذلك فى نفسه ولهذا جعل أبو حامد هذا طريقا لهم الي أثبات النبوة كما سلك ابن سينا وغيره ولاريب ان كل مايقر به مقر من الحق فان أهل الايمان يقرون به لكن يعلمون اشياء فوق ذلك لا يعلمها أهل الباطل فما علمته المتفلسفة من هذه الامور لا ينكرها أهل الايمان لكن ينكرون عليهم اقتصارهم فى التصديق عليها * وقد بسطت الكلام على هذه المسألة فى جواب المسألة الخراسانية التي سئلت فيها عن مايتعلق بالقرآن العظيم وكلام الله سبحانه وتعالى وذكرت مراتب تكليم الله تعالى لخلقه وانها درجات وان المتفلسفة أقروا ببعض الدرجات دون بعض بل لعلهم لم يتجاوزوا أدني الدرجات وهى درجات الالهام ومايناسبه وما أعطوا هـذه الدرجة حقها وأما المعتزلة فهم خير منهم فانهم يقرون بان لله تعالى كلاما منفصلا خارجا عن نفس الرسول كما أن له ملائكة منفصلين عن نفس الرسول وليست هي العقول والنفوس التي تزعمها المتفلسفة والقرامطة بل يقرون بما أخبر به القرآن من أصناف الملائكة وأوصافهم لكنهم مع هـذا لا يقرون بأن لله كلاما قائما به لحقيقة مذهبهم أن الله سبحانه لا يتكلم انما يخلق كلامه فى

غيره ولما ابتدعت الجهمية هذه المقالة كانوا يقولون ان الله تعالى لا يتكلم أو يتكلم مجازا لكن المعتزلة امتنعت من هذا الاطلاق وقالوا انه متكلم أو يتكلم حقيقة لكنهم فسروا ذلك بانه خلق كلاما في غيره فلم ينازعوا قدماء الجهمية في حقيقة المذهب وانما نازعوهم في اللفظ * والسلف والائمة لما عرفوا حقيقة مذهبهم عرفوا أن هذا كفر وأن هذا في الحقيقة تعطيل للرسالة وانه يمتنع أن يكون متكلم بكلام لا يقوم به بل بغيره كما يمتنع أن يكون عالما بعلم لا يقوم به بل بغيره وأن يكون قادرا بقدرة لا تقوم به بل بغيره وانه لو كان كذلك لكان ما يخلقه من الكلام في مخلوقاته كلاما له وقد قال تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) وقال عز وجل (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بل قد ثبت أن الله خالق كل شيء فيجب أن يكون على قولهم كل كلام في الوجود كلامه وقد أفصح بذلك الاتحادية الذين يقولون الوجود واحد كابن عربي صاحب الفصوص ونحوه وقالوا

وكل كلام في الوجود كلامه ... سواء علينا نثره ونظامه

ومذهبهم منتهى مذهب الجهمية وهو في الحقيقة تعطيل الخالق والقول بان هذا الوجود هو الوجود الواجب كما ذكر ذلك أبو حامد عن دهرية الفلاسفة فان قول هؤلاء هو قول أولئك وهو قول فرعون الذي أظهره لكن فرعون وغيره من الدهرية لا يقولون هذا الوجود هو الله وهؤلاء بجهلهم يقولون ان الوجود هو الله وقد أضلوا طوائف من الشيوخ الذين لهم عبادة وزهادة حتى أنه كان ببيت المقدس رجل من أعبد الناس وأزهدهم وكان طول ليله يقول الوجود واحد وهو الله ولا أرى الواحد ولا أرى الله وهؤلاء سلكوا في كثير من أصولهم ما ذكره أبو حامد وبنوا على ما في كتابه المضنون به وغيره من أصول الفلاسفة المكسوة عبادة الصوفية فالامور التي أنكرها عليه علماء المسلمين ما عليها هؤلاء حتى جعل ابن سبعين الناس خمس طبقات ادناها الفقيه ثم المتكلم الاشعري ثم الفيلسوف ثم الصوفي ثم الخامس هو المحقق وهؤلاء يحملون ما أشار اليه أبو حامد من الكشف هو ما حصل لهم وانه لتعبده بالشريعة لم يصل الى القول بوحدة الوجود وهم ينتقصونه بما يحمده عليه المسلمون من الاقوال التي اعتصم فيها بالكتاب والسنة وبالاقوال التي يعلم صحتها بصريح العقل ويرون ان ذلك هو الذي حجبه عن أن يشهد حقيقتهم التي

هي وحدة الوجود وانما طمعوا فيه هذا الطمع لما وجدوه في الكلام المضاف اليه مما يوافق أصول الجهمية المتفلسفة ونحوهم *

﴿ والمقصود هنا ﴾ ان المعتزلة خير من المتفلسفة حيث يثبتون لله تعالى كلاما منفصلا ويقولون ان الرسالة والنبوة تتضمن نزول كلام الله تعالى منفصل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ينزل عليه كما يقول ذلك سائر المسلمين * ثم قد يقول من يقول من المعتزلة ان النبوة جزاء على عمل متقدم وان النبي لما قام بواجبات عقلية أكرمه الله تعالى عليها بالنبوة مع كون النبي متميزا بصفات خصه الله تعالى بها وهذا القول موافق في الجملة قول أكثر الناس وهو ان النبوة والرسالة تتضمن كلام الله سبحانه الذي ينزل على رسوله ونبيه وانه مع ذلك مختص بصفات اختصه الله تعالى بها دون غيره من الانبياء وانه لا يكون النبي والرسول كسائر الناس في العقل والخلق وغير ذلك بل هو متميز عن الناس بذلك والنبوة فضل الله يؤتيه من يشاء لكن مع ذلك الله أعلم حيث يجعل رسالاته

﴿ وماذكره أبو حامد ﴾ فيه من تقرير النبوة في الجملة على الاصول التي يسلمها المتفلسفة ويعرفونها ماينتفع به من كان متفلسفا محضا فان ذلك يوجب أن يدخل في الاسلام نوع دخول وكلام أبي حامد في هذا ونحوه يصلح أن يكون برزخا بين المتفلسفة وبين أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى فالمتفلسفة تنتفع به حيث يصير عندهم من الايمان والعلم مالا يحصل لهم بمجرد الفلسفة * وأما من كان مسلما يريد أن يستكمل العلم والايمان فان ذلك يضره من وجه ويرده عن كثير من كمال الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر وان كان ينفعه من حيث يحول بينه وبين الفلسفة المحضة الا أن يكون حسن الظن بالفلسفة دون أصول الاسلام فانه يخرجه الى الالحاد المحض كما أصاب ابن عربي الطائي وابن سبعين وأمثالهما وقد أخبر هو بما حصل له من السفسطة وانه انحصرت فرق الطالبين عنده في أربع فرق المتكلمين والباطنية والفلاسفة والصوفية * ومعلوم ان هذه الفرق كلها حادثة بعد عصر الصحابة بل وبعد عصر التابعين بل انما ظهرت وانتشرت بعد القرون الثلاثة الصحابة والتابعين وتابعيهم * ثم الفلاسفة والباطنية هم كفار كفرهم ظاهر عند المسلمين كما ذكر هو وغيره وكفرهم ظاهر عند أقل من له علم وايمان من المسلمين اذا عرفوا حقيقة قولهم لكن لا يعرف كفرهم من لم يعرف حقيقة قولهم وقد يكون قد تشبث ببعض أقوالهم من لم يعلم انه كفر فيكون

معذورا لجهله ولكن فى المتكلمين والصوفية ممن له علم وايمان طوائف كثيرون بل فى من بعد من الصوفية مثل الفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وابراهيم بن ادهم ومعروف الكرخي وأمثالهم من هو من خيار المسلمين وساداتهم عند المسلمين وفي عصرهم حدث اسم الصوفية وظهر الكلام أيضا *

وكلام السلف والأئمة فى ذم البدع الكلامية في العلم والبدع المحدثة فى طريقة الزهد والعبادة مشهور كثير مستفيض ولم يتنازع أهل العلم والايمان فيما استفاض عن النبي صلى الله تعالي عليه وسلم من قوله خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أودين معترف بان خير هذه الامة هم الصحابة وان المتبع لهم أفضل من غير المتبع لهم ولم يكن فى زمنهم أحد من هذه الصنوف الاربعة ولا تجد اماما فى العلم والدين كمالك والاوزاعى والثورى وأبي حنيفة والشافعى واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ومثل الفضيل وأبي سليمان ومعروف الكرخى وأمثالهم الاوهم مصرحون بان أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة وهم يرون ان الصحابة فوقهم فى جميع أبواب الفضائل والمناقب والذين اتبعوهم من أهل الآثار النبوية وهم أهل الحديث والسنة العالمون بطريقهم المتبعون لها وهم أهل العلم بالكتاب والسنة فى كل عصر ومصر فهؤلاء الذين هم أفضل الخلق من الاولين والآخرين لم يذكرهم أبو حامد وذلك لان هؤلاء لا يعرف طريقهم الا من كان خبيرا بمعاني القرآن خبيرا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خبيرا بآثار الصحابة فقيها فى ذلك عاملا بذلك وهؤلاء هم أفضل الخلق من المنتسبين الى العلم والعبادة * وأبو حامد لم ينشأ بين من كان يعرف طريقة هؤلاء ولا تلقي عن هذه الطبقة ولا كان خبيرا بطريقة الصحابة والتابعين بل كان يقول عن نفسه أنا مزجى البضاعة في الحديث ولهذا يوجد في كتبه من الاحاديث الموضوعة والحكايات الموضوعة مالا يعتمد عليه من له علم بالآثار ولكن نفعه الله تعالي بما وجده فى كتب الصوفية والفقهاء من ذلك وبما وجده في كتب أبي طالب ورسالة القشيرى وغير ذلك وبما وجده فى كتب أصحاب الشافعي ونحو ذلك نخيار مايأتى به مايأخذه من هؤلاء وهؤلاء ومعلوم أن طريقة أئمة الصوفية وأئمة الفقهاء أكمل من طريقة أبى القاسم القشيرى ومن طريقة أبي طالب والحارث زمن طريقة

أبي المعالي وأمثاله وأولئك الائمة كانوا أعلم بطريقـة الصحابة واتبع لهـا من اتباعهم فالقاضي أبو بكر الباقلانى وأمثاله أعلم بالاصول والسنة واتبع لها من أبي المعالى وأمثاله * والاشعرى والقلانسى ونحوهما أعلى طبقة فى ذلك من القاضي أبى بكر * وعبدالله بن سعيد بن كلاب والحارث المحاسبي أعلى طبقة في ذلك من هؤلاء * ومالك والاوزاعى وحماد بن زيد والليث بن سعد وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء * والتابعون أعلى من هؤلاء * والصحابة أعلى من التابعين * وكذلك أبو طالب المـكي يأخذ عن شيخه ابن سالم وابن سالم يأخذ عن سهل بن عبد الله التستري وسهل أعلى درجة عند الناس من أبى طالب ثم الفضل وأبو سليمان وأمثالهما أعلى درجة من سهل وامثاله وأيوب السختيانى وعبـد الله بن عون ويونس بن عبيد وغيرهم من أصحاب الحسن أعلى طبقة من هؤلاء وأويس القرنى وعامر بن عبـد قيس وأبو مسلم الخولاني وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء وأبوذر الغفاري وسلمان الفارسى وأبو الدرداء وأمثالهم أعلى طبقة من هؤلاء

﴿ ومعلوم ﴾ ان كل من سلك الى الله جل وعز علما وعملا بطريق ليست مشروعة موافقة للكتاب والسنة وما كان عليه سلف الامة وأئمتها فلا بد أن يقع فى بدعة قوليـة أوعملية فان السائر اذا سار على غير الطريق المهيع فلا بد أن يسلك بنيات الطريق وان كان مايفعله الرجل من ذلك قد يكون مجتهدا فيه مخطئا مغفورا له خطأه وقد يكون ذنبا وقد يكون فسقا وقد يكون كفرا بخلاف الطريقة المشروعة فى العلم والعمل فانها أقوم الطرق ليس فيها عوج كما قال تعالى (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) وقال عبد الله بن مسعود خط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهـذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ (وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال الزهرى كان من مضى من علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة ولهذا قيل (مثل السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) وهو يروى عن مالك ومن سلك الطريق الشرعية النبوية لم يحتج في اثباتها الى أن يشك فى ايمانه الذى كان عليه قبل البلوغ ثم يحدث نظرا يعلم به وجود الصانع ولم يحتج الى أن يبقى شاكا مرتابا فى كل شيء وانما كان مثل هذا يعرض لمثل الجهم بن صفوان وأمثاله فانهم ذكروا انه بقي اربعين يوما لا يصلي حتى يثبت ان له ربا يعبده فهذه الحالة كثيرا ماتعرض للجهمية وأهل الكلام الذين ذمهم السلف والأئمـة * وأما المؤمن

المحض فيعرض له الوسواس فتعرض له الشكوك والشبهات وهو يدفعها عن قلبه فان هذا لا بد منه كما ثبت فى الصحيح ان الصحابة قالوا يارسول الله ان أحدنا ليجد في نفسه مالأن يحترق حتى يصير حممة أو يخر من السماء الى الارض أحب اليه من أن يتكلم به فقال أقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان ﴿ وفي السنن من وجه آخر ﴾ انهم قالوا ان أحدنا ليجد في نفسه مايتعاظم أن يتكلم به فقال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة قال غير واحد من العلماء معناه ان ماتجدونه فى قلوبكم من كراهة الوساوس والنفرة عنه وبغضه ودفعه هو صريح الايمان وهذا من الزبد الذي قال الله تعالى فيه (فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال) وهذا مذكور فى غير هذا الموضع وكلام السلف والائمة فيما أحدث من الكلام وما أحدث من الزهد مبسوط في غير هذا الموضع ﴿ والمقصود هنا ﴾ أن يعرف مراتب الناس فى العلم بالنبوة ومعرفة قدرها وتعدد الطرق فى ذلك وان عامة الطرق التى سلكها الناس فى ذلك هى طرق مفيدة نافعة لكن تختلف مقادير فوائدها ومنافعها وفيها مايضر من وجه كما ينفع من وجه وفيها ماينتفع به من كان عديم الايمان أو ضعيف الايمان فيحصل به له بعض الايمان أو يقوى ايمانه وان كان ذلك يضر من كان قوى الايمان ويكون رجوعه اليه ردة في حقه بمنزلة من كان معتصما بحبل قوى وعروة وثقى لا انفصام لها فاعتاض عن ذلك بحبل ضعيف يكاد ينقطع به وهذا باب يطول وصف حال الناس فيه .

وأما ماذكره أبو حامد من ان هذه الطريقة التى سلكها تفيد العلم الضروري بالنبوة دون طريقة المعجزات فالانسان خبير بما حصل له من العلم الضرورى وغيره وليس هو خبير بما حصل لغيره من ذلك وكثير من أهل النظر والكلام يقولون نقيض هذا يقولون لا يحصل العلم بالنبوة الا بطريقة المعجزات دون غيرها كما قال ذلك أكثر أهل الكلام ومن اتبعهم كالقاضي أبي بكر والقاضى أبي يعلى وأبي المعالى والمازري وأمثال هؤلاء والتحقيق ما عليه أكثر الناس ان العلم بالنبوة يحصل بطرق متعددة المعجزات وغير المعجزات ويحصل له العلم الضرورى بها كما ذكره أبو حامد بل يحصل له العلم الضرورى بالنبوة على الجمل كما ذكره وعامة من حصر العلم بهذا أو غيره في طريق معينة وزعم أنه لا يحصل بغيرها فانه يكون مخطئا وهذا كثير ما سلكه كثير من أهل الكلام في اثبات العلم بالصانع أو اثبات حدوث العالم أو اثبات التوحيد

أو العلم بالنبوة أو غير ذلك يسلك أحدهم طريقا يزعم أنه لا يحصل العلم الا بها وقد تكون طريقا فاسدة وربما قدح خصومه في طريقه الصحيحة وادعوا أنها فاسدة وكثيرا ما يكون سبب العلم الحاصل في القلب غير الحجة الجدلية التي يناظر بها غيره فان الانسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات بطرق واسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها ولو استحضرها لا توافقه عبارته على بيانها ومع هذا فاذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك قد لا يعلم دليلا يدل به غيره اذا لم يكن ذلك الغير شاركه في سبب العلم وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل ان تصوره فالدليل الذي يعلم به المناظر شيء والحجة التي يحتج بها المناظر شيء آخر وكثيرا ما يتفقان كما يفترقان وليس هذا موضع بسط ذلك وانما المقصود التنبيه على تعدد طرق العلم بالنبوة وغيرها وكلام اكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة فيحمد كلام الرجل بالنسبة الى من دونه وان كان مذموما بالنسبة الى من فوقه اذ الايمان يتفاضل وكل له من الايمان بقدر ما حصل له منه ولهذا كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة وتكفيره لهم وتعظيم النبوة وغير ذلك ومع ما يوجد فيه اشياء صحيحة حسنة بل عظيمة القدر نافعة يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور اضيفت اليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنبوة بل المخالفة لصريح العقل حتى تكلم فيه جماعات من علماء خراسان والعراق والمغرب كرفيقه أبي اسحق المرغيناني وأبي الوفاء بن عقيل والقشيري والطرطوشي وابن رشد والمازري وجماعات من الاولين حتى ذكر ذلك الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فيما جمعه من طبقات أصحاب الشافعي وقرره الشيخ أبو زكريا النووي { قال في هذا الكتاب فصل } في بيان أشياء مهمة أنكرت على الامام الغزالي في مصنفاته ولم يرتضيها أهل مذهبه وغيرهم من الشذوذ في تصرفاته * منها قوله في مقدمة المنطق في أول المستصفى * هذه مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلا قال الشيخ أبو عمرو وسمعت الشيخ العماد بن يونس يحكي عن يوسف الدمشقي مدرس النظامية ببغداد وكان من النظار المعروفين انه كان ينكر هذا الكلام ويقول فابو بكر وعمر وفلان وفلان يعني أن أولئك السادة عظمت حظوظهم من الثلج واليقين ولم يحيطوا بهذه المقدمة وأسبابها قال الشيخ أبو عمرو وقد ذكرت بهذا ما حكى صاحب كتاب الامتاع والمؤانسة يعني أبا حيان التوحيدي أن الوزير بن الفرات احتفل مجلسه ببغداد باصناف من الفضلاء من المتكلمين وغيرهم وفي المجلس متى الفيلسوف النصراني فقال الوزير

أريد أن ينتدب منكم انسان لمناظرة متى فى قوله انه لاسبيل الى معرفة الحق من الباطل والحجة من الشبهة والشك من اليقين الا بما حويناه من المنطق واستفدناه من واضعه على مراتبه فانتدب له أبو سعيد السيرافى وكان فاضلا فى علوم غير النجوم وكلمه فى ذلك حتى أفحمه وفضحه قال أبو محمد وليس [1] هذا موضع التطويل بذكره * قال الشيخ أبو عمرو وغير خاف استغناء العقلاء والعلماء قبل واضع المنطق أرسطاطاليس وبعده مع معارفهم الجمة عن تعلم المنطق وانما المنطق عندهم بزعمهم آلة قانونية صناعية تعصم الذهن من الخطأ وكل ذى ذهن صحيح منطقي بالطبع قال فكيف غفل الغزالى عن حال شيخه إمام الحرمين ومن قبله من كل إمام هو له مقدم ولمحله فى تحقيق الحقائق رافع ومعظم ثم لم يرفع أحد منهم بالمنطق رأساً ولا بنى عليه فى شئ من تصرفاته أساه ولقد أتى بخلطه المنطق باصول الفقه بدعة عظم شؤمها على المتفقهة حتى كثر فيهم بعد ذلك المتفلسفة والله المستعان * قال ولابي عبد الله المازرى الفقيه المتكلم الاصولى وكان اماما محققا بارعا فى مذهبي مالك والاشعرى وله تصانيف فى فنون منها شرح الارشاد والبرهان لامام الحرمين رسالة يذكر فيها حال الغزالى وحال كتابه الاحياء أصدرها في حال حيوة الغزالى جوابا لما كوتب به من الغرب والشرق في سؤاله عن ذلك عند اختلافهم في ذلك فذكر فيها ما اختصاره أن الغزالى كان قد خاض في علوم وصنف فيها واشتهر بالامامة فى إقليمه حتى تضاءل له المنازعون واستبحر في الفقه وفي أصول الفقه وهو بالفقه أعرف * وأما أصول الدين فليس بالمستبحر فيها شغله عن ذلك قراءته علوم الفلسفة وكسبته قراءة الفلسفة جراءة على المعانى وتسهيلا للهجوم على الحقائق لان الفلاسفة تمر مع خواطرها وليس لها شرع يزعها ولا تخاف من مخالفة أئمة تتبعها فلذلك خامره ضرب من الادلال على المعاني فاسترسل فيها استرسال من لا يبالى بغيره (قال) وقد عرفنى بعض أصحابه انه كان له عكوف على قراءة رسائل اخوان الصفا * وهذه الرسائل هى احدى وخمسون رسالة كل رسالة مستقلة بنفسها وقد ظن فى مؤلفها ظنون وفى الجملة هو يعني واضع الرسائل رجل فيلسوف قد خاض في علوم الشرع فمزج ما بين العلمين وحسن الفلسفة

---

(١) قد ذكر ذلك ياقوت الحموي فى كتابه معجم الادباء المطبوع فى مصر فى ترجمة أبي سعيد الحسن ابن عبدالله السيرافى وعنوان البحث هكذا مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي رحمة الله عليه وذلك فى الجزء الثالث ص ١٠٥ الى ١٢٣ فراجعه

فى قلوب أهل الشرع بآيات وأحاديث يذكرها عندها * ثم انه كان فى هذا الزمان المتأخر فيلسوف يعرف بابن سينا ملأ الدنيا تآليف فى علوم الفلسفة وكان ينتمى الى الشرع ويتحلي بحلية المسلمين وأداه قوته فى علم الفلسفة الى أن تلطف جهده في رد أصول العقائد الى علم الفلسفة وتم له من ذلك مالم يتم لغيره من الفلاسفة * قال ووجدت هـذا الغزالي يعول عليه في أكثر مايشير اليه فى علوم الفلسفة حتى انه في بعض الاحايين ينقل نص كلامه من غير تغيير وأحيانا يغيره وينقله الى الشرعيات أكثر مما نقل ابن سينا لكونه أعلم باسرار الشرع منه * فعلى ابن سينا ومؤلف رسائل اخوان الصفا عول الغزالى فى علم الفلسفة ﴿قال واما مذاهب المتصوفة﴾ فلست ادرى على من عول فيها ولا من ينتسب اليـه في علمها قال وعنـدى انه على أبي حيان التوحيدى الصوفي عول على مذاهب الصوفية * وقد اعلمت ان ابا حيان هذا الف ديوانا عظيما في هذا الفن ولم يصل الينا منه شيء ثم ذكران في الاحياء فتاوى مبناها على مالاحقيقة له مثل ما استحسن فى قص الاظفار ان يبدأ بالسبابة لان لها الفضل على بقية الاصابع لكونها المسبحة ثم بالوسطى لانها ناحية اليمين ثم باليسرى على هيئة دائرة وكأن الاصابع عنده دائرة فاذا أدار اصابعه مر عليها مرور الدائرة حتى يختم بابهام اليمني هكذا حدثنى به من اثق به عن الكتاب * قال فانظر الى هـذا كيف افاده قراءة الهندسة وعلم الدوائر واحكامها ان نقـله الى الشرع فافتى به المسلمين * قال وحمل الى بعض الاصحاب من هذا الاملاء الجزء الاول فوجدته يذكر فيه انمن مات بعد بلوغه ولم يعلم ان البارى قديم مات مسلما اجماعا ومن تساهل في حكاية الاجماع في مثله هذا الذي الاقرب أن يكون فيه الاجماع بعكس ماقال فحقيق ان لا يوثق بكل ماينقل وان يظن به التساهل فى رواية مالم يثبت عنده صحته * قال ثم تكلم المازرى فى محاسن الاحياء ومذامه ومنافعه ومضاره بكلام طويل ختمه بان من لم يكن عنده من البسطة في العلم ما يعتصم به من غوائل هـذا الكتاب فان قراءته لا تجوز له وان كان فيه ما ينتفع به ومن كان عنده من العلم ما يأمن به على نفسه من غوائل هذا الكتاب ويعلم مافيه من الرموز فيجتنب مقتضى ظواهرها ويكل أمر مؤلفها الى الله تعالى وان كانت كلها تقبل التأويل فقراءته له سائغة وينتفع به اللهم الا أن يكون قارؤه من يقتدي به ويغتر به فانه ينهى عن قراءته وعن مدحه والثناء عليـه قال ولولا أن علمنا أنا ان املائنا هذا انما يقرؤه الخاصة ومن عنده علم يأمن به على نفسه لم نتبع محاسن

هذا الكتاب بالثناء ولم نتعرض لذكرها ولكنا نحن أمنا من التغرير ولئلا يظن أيضا من يتعصب للرجل انا جانبنا الانصاف فى الكلام على كتابه ويكون اعتقاده هذا فينا سببا لئلا يقبل نصيحتنا ﴿ قال الشيخ أبو عمرو ﴾ وهذا آخر مانقلناه عن المازرى قلت ماذكره المازري فى مادة أبي حامد من الصوفية فهو كما قال المازرى عن نفسه لم يدر على من عول فيها ولم يكن للمازرى من الاعتناء بكتب الصوفية وأخبارهم ومذاهبهم ماله من الاعتناء بطريقة الكلام وما يتبعه من الفلسفة ونحوها فلذلك لم يعرف ذلك ولم تكن مادة أبي حامد من كلام أبي حيان التوحيدي وحده بل ولا غالب كلامه منه فان أبا حيان تغلب عليه الخطابة والفصاحة وهو مركب من فنون أدبية وفلسفية وكلامية وغير ذلك وان كان قد شهد عليه بالزندقة غير واحد وقرنوه بابن الراوندي كما ذكر ذلك ابن عقيل وغيره وانما كان غالب استمداد أبي حامد من كتاب أبي طالب المكي الذى سماه قوت القلوب ومن كتب الحارث المحاسبي وغيرها ومن رسالة القشيرى ومن منثورات وصلت اليه من كلام المشائخ وما نقله في الاحياء عن الامة في ذم الكلام فانه نقله من كتاب أبي عمر وابن عبد البر في فضل العلم وأهله وما نقله فيه من الادعية والاذكار ونقله من كتاب الذكر لابن خزيمة ولهذا كانت أحاديث هذا الباب جيدة وقد جالس من اتفق له من مشائخ الطرق لكنه يأخذ من كلام الصوفية في الغالب ما يتعلق بالاعمال والاخلاق والزهد والرياضة والعبادة وهي التى يسميها علوم المعاملة * وأما التى يسميها علوم المكاشفة ويرمز اليها فى الاحياء وغيره ففيها يستمد من كلام المتفلسفة وغيرهم كما فى مشكاة الانوار والمضنون به على غير أهله وغير ذلك وبسبب خلطه التصوف بالفلسفة كما خلط الاصول بالفلسفة صار ينسب الى التصوف من ليس هو موافقا للمشائخ المقبولين الذين لهم في الامة لسان صدق رضى الله تعالى عنهم بل يكون مباينا لهم فى أصول الايمان كالايمان بالتوحيد والرسالة واليوم الآخر ويجعلون هذه مذاهب الصوفية كما يذكر ذلك ابن الطفيل صاحب رسالة حى بن يقظان وأبو الوليد ابن رشد الحفيد وصاحب خلع العلم وابن عربي صاحب الفتوحات وفصوص الحكم وابن سبعين وأمثال هؤلاء ممن يتظاهر بمذاهب مشايخ الصوفية وأهل الطريق * وهو فى التحقيق منافق زنديق * ينتهى الى القول بالحلول والاتحاد واتباع القرامطة أهل الالحاد ومذهب الاباحية الدافعين للامر والنهي والوعد والوعيد ملاحظين لحقيقة القدر التى لا يفرق فيها بين الانبياء والمرسلين وبين كل جبار عنيد وقائلين

مع ذلك بنوع من الحقائق البدعية * غير عارفين بالحقائق الدينية الشرعية * ولا سالكين مسلك أولياء الله الذين هم بعد الأنبياء خير البرية * فهم في نهاية تحقيقهم يسقطون الامر والنهي والطاعة والعبادة * مشاقين للرسول متبعين غير سبيل المؤمنين * ويفارقون سبيل أولياء الله المتقين الى سبيل أولياء الشياطين * ثم يقولون بالحلول والاتحاد * وهو غاية الكفر ونهاية الالحاد * ولهذا في كلام المشايخ العارفين كابي القاسم الجنيد وأمثاله من بيان أن التوحيد هو إفراد الحدوث عن القدم ونحو ذلك * ومن بيان وجوب اتباع الامر والنهي ولزوم العبادة الى الموت ما يبين به أن اولئك السادة المهتدين حذروا من طريق هؤلاء الملحدين * ولهذا نجد هؤلاء كابن عربي وابن سبعين وأمثالهما يردون على مثل الجنيد وأمثاله من أئمة المشايخ ويدعون أنهم ظفروا في التحقيق بنهاية الرسوخ * وانما ظفروا بتحقيق الالحاد. والدخول في الحلول والاتحاد * وما زال شيوخ الصوفية المؤمنون يحذرون من مثل هؤلاء الملبسين كما حذر أئمة الفقهاء من سبيل أهل البدعة والنفاق من أهل الفلسفة والكلام ونحوهم * حتى ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في أول حلية الاولياء وأبو القاسم القشيري في رسالته دع من هو أجل منهما واعلم منهما بطريق الصوفية وأقل غلطا وأبعد عن الاعتماد على المنقولات الضعيفة والمنقولات المبتدعة * قال أبو نعيم في أول الحليه

﴿أما بعد﴾ أحسن الله تعالى توفيقك فقد استعنت بالله عز وجل وأجبتك الى ما ابتغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم ممن عرف الادلة والحقائق * وباشر الاحوال والطرائق * وساكن الرياض والحدائق * وفارق العوارض والعلائق * وتبرأ من المتنطعين والمتعمقين * ومن أهل الدعاوي من المسوفين * ومن الكسالى والمتثبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال * والمخالفين لهم في العقيدة والفعال وذلك لما بلغك من بسط ألسنتنا وألسنة أهل الفقه والاثر في كل الاقطار والامصار * في المنتسبين اليهم من الفسقة الفجار * والمباحية والحلولية الكفار * وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والانكار * بقادح في منقبة البررة الاخيار * وواضع من درجة الصفوة الاخيار * بل في اظهار البراءة من الكذابين * والنكير على الحشوية البطالين * نزاهة الصادقين * ورفعة

المحققين * ولو لم ينكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة للزمنا ابانتها واشاعتها حمية وصيانة اذ لاسلافنا في التصوف العلم المنشور * والصيت والذكر المشهور * فقد كان جدي محمد بن يوسف رحمه الله تعالى أحد من يسر الله تعالى به ذكر بعض المنقطعين اليه وكيف يستجيز نقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيهم مؤذن بمحاربة ربه (ثم أسند) حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال (ان الله تعالى قال من آذى لي وليا وفي الرواية الاخرى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبد بشيء أفضل من آداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولابد له منه)

﴿قلت﴾ قد ذم أهل العلم والايمان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف من خرج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الاقوال والاعمال باطنا أو ظاهرا ومدحهم هو لمن وافق ما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه كالعاصي الذي يعلم انه عاص فهو ممدوح من جهة موافقته مذموم من جهة مخالفته وهذا مذهب سلف الامة وأئمتها من الصحابة ومن سلك سبيلهم في مسائل الاسماء والاحكام والخلاف فيها أول خلاف حدث في مسائل الاصول حيث كفرت الخوارج بالذنب وجعلوا صاحب الكبيرة كافرا مخلداً في النار ووافقتهم المعتزلة على زوال جميع ايمانه واسلامه وعلى خلوده في النار لكن نازعوهم في الاسم فلم يسموه كافرا بل قالوا هو فاسق لا مؤمن ولا مسلم ولا كافر ننزله منزلة بين المنزلتين فهم وان كانوا في الاسم الى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج * وأصل هؤلاء انهم ظنوا ان الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب والعقاب والوعد والوعيد والحمد والذم بل إما لهذا وإما لهذا فاحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها وقالوا الايمان هو الطاعة فيزول بزوال بعض الطاعة ثم تنازعوا هل يخلفه الكفر على القولين ووافقتهم المرجئة والجهمية على ان الايمان يزول كله بزوال شيء منه وانه لا يتبعض ولا يتفاضل فلا يزيد ولا ينقص وقالوا ان ايمان الفساق كايمان الانبياء والمؤمنين لكن فقهاء المرجئة قالوا انه الاعتقاد والقول * وقالوا انه

لابد من أن يدخل النار من فساق الملة من شاء الله تعالى كما قالت الجماعة فكان خلاف كثير من كلامهم للجماعة انما هو فى الاسم لانفي الحكم وقد بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع وبينا الفرق بين دلالة الاسم مفردا ودلالته مقرونا بغيره كاسم الفقير والمسكين فانه اذا أفرد أحدهما يتناول معنى الآخر كقوله تعالى ﴿ للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ﴾فانه يدخل فيهم المساكين وقوله تعالى ﴿أو اطعام عشرة مساكين ﴾ فانه يدخل فيهم الفقراء وأما اذا قرن بينهما كقوله تعالى ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين ﴾فهما صنفان وكذلك قوله تعالى (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يدخل في المعروف كل واجب وفى المنكر كل قبيح *والقبائح هي السيئات وهى المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش * فاذاقال (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)وقال (وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي) نخص بعض أنواع المنكر بالذكر وعطف أحدهما على الآخر صارت دلالة اللفظ عليه نصا مقصودا بطريق المطابقة بعد ان كانت بطريق العموم والتضمن سواء قيل انه داخل في اللفظ العام أيضا فيكون مذكورا مرتين أو قيل انه باقترانه بالاسم العام تبين انه لم يدخل في الاسم العام لتغير الدلالة بالافراد والتجرد وبالافتراق والاجتماع كما قدمنا وهكذا اسم الايمان فانه تارة يذكر مفردا مجردا لايقرن بالعمل الواجب فيدخل فيه العمل الواجب تضمناولزوما وتارة يقرن بالعمل فيكون العمل حينئذمذكورابالمطابقة والنص ولفظ الايمان يكون مسلوب الدلالة عليه حال الاقتران أودالا عليه كما في قوله تعالى (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة)وقوله سبحانه لموسى عليه السلام (انني أنا الله لا إله أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) وقوله تعالى (اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة) ونظائر ذلك كثيرة فالاعمال داخلة فى الايمان تضمنا ولزوما فى مثل قوله تعالى (انما المؤمنون الذين اذاذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون *الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا) وفي مثل قوله سبحانه(انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) وقوله عز وجل (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) وأمثال ذلك من الكتاب والسنة ومن استقرأ ذلك علم ان الاسم الشرعى كالايمان والصلاة والوضوء والصيام لا ينفيه الشارع عن شيء

الا لانتفاء ماهو واجب فيه لالانتفاء ماهو مستحب فيه وأما قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) ونحو ذلك فالعمل مخصوص بالذكر اما توكيد واما لان الاقتران لايغير دلالة الاسم فهذا موقف يزول فيه كثير من النزاع اللفظي فى ذلك وأيضا فان الايمان يتنوع بتنوع ماأمر الله تعالى به العبد فحين بعث الرسول لم يكن الايمان الواجب ولا الاقرار ولا العمل مثل الايمان الواجب فى آخر الدعوة فانه لم يكن يجب اذ ذاك الاقرار بما أنزله الله تعالى بعد ذلك من الايجاب والتحريم والخبر ولا العمل بموجب ذلك بل كان الايمان الذى أوجبه الله تعالى يزيد شيأ فشيأ كما كان القرآن ينزل شيأ فشيأ والدين يظهر شيأ فشيأ حتى أنزل الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) وكذلك العبد أول ما يبلغه خطاب الرسول عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام انما يجب عليه الشهادتان فاذا مات قبل أن يدخل عليه وقت صلاة لم يجب عليه شيء غير الاقرار ومات مؤمنا كامل الايمان الذى وجب عليه وان كان ايمان غيره الذى دخلت عليه الاوقات أكمل منه فهذا ايمانه ناقص كنقص دين النساء حيث قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انكن ناقصات عقل ودين أما نقصان عقلكن فشهادة امرأتين بشهادة رجل واحد وأما نقصان دينكن فان احداكن اذا حاضت لم تصل ومعلوم ان الصلاة حينئذ ليست واجبة عليها وهذا نقص لاتلام عليه المرأة لكن من جمل كاملا كان أفضل منها بخلاف من نقص شيأ مما وجب عليه * فصار النقص فى الدين والايمان نوعين نوعا لايذم العبد عليه لكونه لم يجب عليه لعجزه عنه حسا أو شرعا واما لكونه مستحبا ليس بواجب ونوعا يذم عليه وهو ترك الواجبات فقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لجارية معاوية بن الحكم السلمى لما قال لها أين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال اعتقها فانها مؤمنة ليس فيه حجة على أن من وجبت عليه العبادات فتركها وارتكب المحظورات يستحق الاسم المطلق كما استحقته هذه التى لم يظهر منها بعد ترك مأمور ولا فعل محظور ومن عرف هذا تبين ان قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لهذه انها مؤمنة لاينافي قوله لايزني الزانى حتى يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فان ذلك نفى عنه الاسم لانتفاء بعض مايجب عليه من ترك هذه الكبائر وتلك لم تترك واجبا تستحق بتركه أن تكون هكذا ويتبع هذا أن من آمن بما جاء به الرسل مجملا ثم بلغه مفصلا فاقر به

مفصلا وعمل به كان قد زاد ماعنده من الدين والايمان بحسب ذلك ومن أذنب ثم تاب أو غفل ثم ذكر أوفرط ثم أقبل فانه يزيد دينه وايمانه بحسب ذلك كما قال من قال من الصحابة كعمير بن حبيب الخطمي وغيره الايمان يزيد وينقص قيل له فما زيادته ونقصانه قال اذا حمدنا الله وذكرناه وسبحناه فذلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وأضعنا فذلك نقصانه فذكر زيادته بالطاعات وان كانت مستحبة ونقصانه بما أضاعه من واجب وغيره وأيضا فان تصديق القلب يتبعه عمل القلب فالقلب اذا صدق بمايستحقه الله تعالى من الالوهية ومايستحقه الرسول من الرسالة تبع ذلك لامحاله محبة الله سبحانه ورسوله عليه الصلاة والسلام وتعظيم الله عز وجل ورسوله والطاعة لله ورسوله أمر لازم لهذا التصديق لايفارقه الالعارض من كبر أوحسد أونحو ذلك من الامور التى توجب الاستكبار عن عبادة الله تعالى والبغض لرسوله عليه الصلاة والسلام ونحو ذلك من الامور التى توجب الكفر ككفر ابليس وفرعون وقومه واليهود وكفارمكة وغير هؤلاء من المعاندين الجاحدين ثم هؤلاء اذا لم يتبعوا التصديق بموجبه من عمل القلب واللسان وغير ذلك فانه قد يطبع على قلوبهم حتى يزول عنها التصديق كما قال تعالى (واذ قال موسي لقومه ياقوم لم تؤذونني وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) فهؤلاء كانوا عالمين فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال موسي لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) وقال تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب) الى قوله سبحانه (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار) وقال تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عندالله وما يشعركم انها اذا جاءت لايؤمنون * ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) فبين سبحانه ان مجيء الآيات لايوجب الايمان بقوله تعالى (وما يشعركم أنها اذاجاءت لايؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أى فتكون هذه الامور الثلاثة أن لايؤمنوا وان (نقلب أفئدتهم وأبصارهم وان نذرهم فى طغيانهم يعمهون) أي وما يدريكم ان الآيات اذا جاءت تحصل هذه الامور الثلاثة وبهذا المعنى تبين ان قراءة الفتح أحسن وان من قال ان المفتوحة بمعنى لعل فظن أن قوله ونقلب أفئدتهم كلام مبتدأ لم يفهم معنى الآية واذا جعل ونقلب أفئدتهم داخلا فى خبر أن تبين معنى الآية فان كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم لكن قد يحصل تقليب أفئدتهم

وأبصارهم وقد لا يحصل أي فايدريكم انهم لا يؤمنون والمراد ومايشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون بل نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة والمعنى وما يدريكم ان الامر بخلاف ماتظنونه من ايمانهم عند مجيء الآيات (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) فيعاقبون على ترك الايمان أول مرة بعد وجوبه عليهم إما لكونهم عرفوا الحق وماأقروا به أو تمكنوا من معرفته فلم يطلبوا معرفته ومثل هذا كثير .

﴿ والمقصود هنا ﴾ أن ترك مايجب من العمل بالعلم الذي هو مقتضي التصديق والعلم قد يفضي الى سلب التصديق والعلم كما قيل * العلم يهتف بالعمل * فان اجابه والا ارتحل * وكما قيل كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به فما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول اذا لم يتبعه موجبه ومقتضاه من العمل قد يزول اذ وجود العلة يقتضي وجود المعلول وعدم المعلول يقتضي عدم العلة فكما ان العلم والتصديق سبب للارادة والعمل فعدم الارادة والعمل سبب لعدم العلم والتصديق ثم ان كانت العلة تامة فعدم المعلول دليل يقتضي عدمها وان كانت سببا قد يتخلف معلولها كان له بخلفه أمارة على عدم المعلول قد يتخلف مدلولها وأيضا فالتصديق الجازم في القلب يتبعه موجبه بحسب الامكان كالارادة الجازمة في القلب فكما ان الارادة الجازمة في القلب اذا اقترنت بها القدرة حصل بها المراد أو المقدور من المراد لا محالة كانت القدرة حاصلة ولم يقع الفعل كان الحاصل هي لا ارادة جازمة وهذا هو الذي عنى عنه فكذلك التصديق الجازم اذا حصل في القلب تبعه عمل من عمل القلب لا محالة لا يتصور ان ينفك عنه بل يتبعه الممكن من عمل الخوارج فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب علم أنه ليس بتصديق جازم فلا يكون ايمانا لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه لعارض من الاهواء كالكبر والحسد ونحو ذلك من اهواء النفس لكن الاصل ان التصديق يتبعه الحب واذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له ولهذا قال الصحابة كل من يعصى الله فهو جاهل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا ولهذا كان التكلم بالكفر من غير اكراه كفرا في نفس الامر عند الجماعة وأئمة الفقهاء حتى المرجئة خلافا للجهمية ومن اتبعهم ومن هذا الباب سب الرسول عليه افضل الصلاة والسلام وبغضه وسب القرآن وبغضه وكذلك سب الله سبحانه وبغضه ونحو ذلك مما ليس من باب التصديق والحب والتعظيم والموالاة بل من باب التكذيب والبغض والمعاداة والاستخفاف

ولما كان ايمان القلب له موجبات فى الظاهر كان الظاهر دليلا على ايمان القلب ثبوتا وانتفاء كقوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الآية وقوله جل وعز (ولوكانوا يؤمنون بالله والنبي وماأنزل اليه ما اتخذوهم أولياء) وأمثال ذلك ﴿وبعد هذا﴾ فنزاع المنازع في ان الايمان فى اللغة هل هو اسم لمجرد التصديق دون مقتضاه أواسم للامرين يؤول الى نزاع لفظى وقد يقال ان الدلالة تختلف بالافراد والاقتران والناس منهم من يقول ان أصل الايمان فى اللغة التصديق ثم يقول والتصديق يكون باللسان ويكون بالجوارح والقول يسمى تصديقا والعمل يسمى تصديقا كقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم العينان تزنيان وزناهما النظر والاذن تزنى وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزنى وزناها المشي والقلب يتمني ويشتهى والفرج يصدق ذلك أويكذبه ﴿وقال الحسن البصرى﴾ ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن بماوقر فى القلب وصدقه العمل * ومنهم من يقول بل الايمان هو الاقرار وليس هو مرادفا للتصديق فان التصديق يقال على كل خبر عن شهادة أوغيب * وأما الايمان فهو أخص منه فانه قد قيل لخبر اخوة يوسف (وماأنت بمؤمن لنا) وقيل يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اذ الايمان بالنبي عليه الصلاة والسلام تصديق به والايمان له تصديق له فى ذلك الخبر وهذا في المخبر ويقال لمن قال الواحد نصف الاثنين والسماء افوق الارض قد صدقت ولا يقال آمنت له ويقال أصدق بهذا ولا يقال اؤمن به اذ لفظ الايمان افعال من الامن فهو يقتضي طمأنينة وسكونا فيمامن شأنه أن يستريب فيه القلب فيخفق ويضطرب وهذا انما يكون فى الاخبار بالمغيبات لا بالمشاهدات ﴿والكلام﴾ على هذا مبسوط في غير هذا الموضع * وانما المقصود ان فقهاء المرجئة خلافهم مع الجماعة خلاف يسير وبعضه لفظى ولم يعرف بين الائمة المشهورين بالفتيا خلاف الا فى هذا فان ذلك قول طائفة من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان وصاحبه أبى حنيفة وأصحاب أبى حنيفة * وأما قول الجهمية وهو أن الايمان مجرد تصديق القلب دون اللسان فهذا لم يقله أحد من المشهورين بالامامة ولا كان قديما فيضاف هذا الى المرجئة وانما وافق الجهمية عليه طائفة من المتاخرين من أصحاب الاشعرى * وأما ابن كلاب فكلامه يوافق كلام المرجئة لا الجهمية وآخر الاقوال حدوثا فى ذلك قول الكرامية ان الايمان اسم للقول باللسان وان لم يكن معه اعتقاد القلب وهذا القول أفسد الاقوال لكن أصحابه لا يخالفون فى الحكم فانهم يقولون ان هذا الايمان باللسان

دون القلب هو ايمان المنافقين وانه لاينفع في الآخرة وانما أوقع هؤلاء كلهم ماأوقع الخوارج والمعتزلة فى ظنهم أن الايمان لايتبعض بل اذا ذهب بعضه ذهب كله * ومذهب أهل السنة والجماعة انه يتبعض وانه ينقص ولا يزول جميعه كما قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم (يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان)* فالاقوال فى ذلك ثلاثة الخوارج والمعتزلة نازعوا في الاسم والحكم فلم يقولوا بالتبعيض لا في الاسم ولا في الحكم فرفعوا عن صاحب الكبيرة بالكلية اسم الايمان وأوجبوا له الخلود في النيران * وأما الجهمية والمرجئة فنازعوا في الاسم لا في الحكم فقالوا يجوز أن يكون مثابا معاقبا محموداً مذموما لكن لايجوز أن يكون معه بعض الايمان دون بعض وكثير من المرجئة والجهمية من يقف فى الوعيد فلايجزم بنفوذ الوعيد فى حق أحد من أرباب الكبائر كما قال ذلك من قاله من مرجئة الشيعة والاشعرية كالقاضى أبي بكر وغيره ويذكر عن غلاتهم انهم نفوا الوعيد بالكلية لكن لاأعلم معينا معروفا اذكر عنه هذا القول ولكن حكى هذا عن مقاتل ابن سليمان والاشبه أنه كذب عليه *

(وأما أئمة السنة والجماعة) فعلى اثبات التبعيض فى الاسم والحكم فيكون مع الرجل بعض الايمان لا كله ويثبت له من حكم أهل الايمان وثوابهم بحسب مامعه كما يثبت له من العقاب بحسب ماعليه وولاية الله تعالى بحسب ايمان العبد وتقواه فيكون مع العبد من ولاية الله تعالى بحسب مامعه من الايمان والتقوى فان أولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى (ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون) وعلى هذا فالمتأول الذي أخطأ فى تأويله في المسائل الخبرية والامرية وان كان في قوله بدعة يخالف بها نصا أواجماعا قديما وهو لايعلم انه يخالف ذلك بل قد أخطأ فيه كما يخطىء المفتى والقاضي فى كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده يكون أيضا مثابا من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه وان كان معفوا عنه ثم قد يحصل فيه تفريط في الواجب اواتباع لهوى يكون ذنبا منه وقد يقوى فيكون كبيرة وقد تقوم عليه الحجة التى بعث الله عز وجل بها رسله ويعاندها مشاقا للرسول من بعد ماتبين له الهدي متبعا غير سبيل المؤمنين فيكون مرتدا منافقا أومرتداً ردة ظاهرة فالكلام فى الاشخاص لابد فيه من هذا التفصيل * وأما الكلام في أنواع الاقوال والاعمال باطنا وظاهرا من الاعتقادات والارادات وغير ذلك فالواجب فيما تنوزع فيه ذلك

أن يرد الي الله والرسول فماوافق الكتاب والسنة فهو حق وماخالفه فهو باطل وما وافقه من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل فهذا هو *

﴿ والمقصود هنا ﴾ ان أهل العلم والايمان في تصديقهم لما يصدقون به وتكذيبهم لمايكذبون به وحمدهم لما يحمدونه وذمهم لما يذمونه متفقون على هذا الاصل فلهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المنتسبين الى الفقه والزهد يذمون البدع المخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والاعمال من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف ونحوهم وان كان في اؤلئك من هو مجتهد له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور له * وقد ثبت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير وجه انه قال(خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) فكان القرن الاول من كمال العلم والايمان على حال لم يصل اليها القرن الثاني وكذلك الثالث وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنن والايمان وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها وكلما كانت أخف كانت الى الحدوث أقرب فلهذا حدث أولا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة * وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية حتى قال ابن المبارك ويوسف بن اسباط وطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم أن الجهمية ليسوا من الثنتين وسبعين فرقة بل هم زنادقة وهذا مع أن كثيرا من بدعهم دخل فيها قوم ليسوا زنادقة بل قبلوا كلام الزنادقة جهلا وخطأ قال الله تعالي (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الاخبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) فاخبر سبحانه أن فى المؤمنين من هو مستجيب للمنافقين فما يقع فيه بعض أهل الايمان من أمور بعض المنافقين هو من هذا الباب

﴿والمقصود هنا ﴾ أن يعلم أنه لم يزل في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر وان أمته لا تبقى على ضلالة بل اذا وقع منكر من لبس حق بباطل أوغير ذلك فلا بد ان يقيم الله تعالى من يميز ذلك فلا بد من بيان ذلك ولا بد من اعطاء الناس حقوقهم كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم رواه أبو داود وغيره وهذا الموضع لا يحتمل من السعة وكلام الناس فى مثل هذه الامور التي وقعت ممن وقعت منه بل المقصود التنبيه على جمل ذلك لان هذا محتاج اليه فى هذه الاوقات فكتب الزهد والتصوف فيها من جنس ما في كتب الفقه والرأى وفي كلامها

منقولات صحيحة وضعيفة بل وموضوعة ومقالات صحيحة وضعيفه بل وباطلة * وأما كتب الكلام ففيها من الباطل أعظم من ذلك بكثير بل فيها أنواع من الزندقة والنفاق * وأما كتب الفلسفه فالباطل غالب عليها بل الكفر الصريح كثير فيها وكتاب الاحياء له حكم نظائره ففيه أحاديث كثيرة صحيحة وأحاديث كثيرة ضعيفه أو موضوعه فان مادة مصنفه في الحديث والاثار وكلام السلف وتفسيرهم للقرآن مادة ضعيفة وأجود ماله من المواد المادة الصوفية ولو سلك فيها مسلك الصوفية أهل العلم بالاثار النبوية واحترز عن تصوف المتفلسفة الصابئين لحصل مطلوبه ونال مقصوده لكنه في آخر عمره سلك هذا السبيل وأحسن ما في كتابه أو من أحسن ما فيه ما يأخذه من كتاب أبي طالب في مقامات العارفين ونحو ذلك فان أبا طالب أخبر بذوق الصوفية حالا وأعلم بكلامهم وآثارهم سماعا وأكثر مباشرة لشيوخهم الاكابر

﴿ والمقصود هنا ﴾ ان طرق العلم بصدق النبي عليه افضل الصلاة والسلام بل وتفاوت الطرق في معرفة قدر النبوة والنبي متعددة تعددا كثيرا اذ النبي يخبر عن الله سبحانه انه قال ذلك اما اخبارا من الله تعالى واما أمرا أو نهيا ولكل من حال المخبر والمخبر عنه والمخبر به بل ومن حال المخبرين مصدقهم ومكذبهم دلالة على المطلوب سوى ما ينفصل عن ذلك من الخوارق وأخبار الاولين والمواتف والكهان وغير ذلك * فالمخبر مطلقا يعلم صدقه وكذبه بامور كثيرة لايحصل العلم بآحادها كما يحصل العلم بخبر الاخبار المتواترة بل بخبر الخبر الواحد الذي احتف بخبره قرائن أفادت العلم

ومن هذا الباب علم الانسان بعدالة الشاهد والمحدث والمفتي حتى يزكيهم ويفتي بخبرهم ويحكم بشهادتهم وحتى لايحتاج الحاكم في عدالة كل شاهد الى تزكيته فانه لو احتاج كل مزكي الى مزكي لزم التسلسل بل يعلم صدق الشخص تارة باختباره ومباشرته وتارة باستفاضة صدقه بين الناس ولهذا قال العلماء إن التعديل لايحتاج الى بيان السبب فان كون الشخص عدلا صادقا لايكذب لا يتبين بذكر شيء معين بخلاف الجرح فانه لا يقبل الا مفسرا عند جمهور العلماء لوجهين * (أحدهما) أن سبب الجرح ينضبط (الثانى) أنه قد يظن ما ليس بجرح جرحا * وأما كونه صادقا متحريا للصدق لا يكذب فهذا لا يعرف بشيء واحد حتى يخبر به وانما يعرف ذلك من خلقه وعادته بطول المباشرة له والخبرة له ثم اذا استفاض ذلك عند عامة

من يعرفه كان ذلك طريقا للعلم لمن لم يباشره كما يعرف الانسان عدل عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وظلم الحجاج * ولهذا قال الفقهاء إن العدالة والفسق يثبت بالاستفاضة وقالوا فى الجرح المفسر يجرحه بما رآه أو سمعه أو استفاض عنه وصدق الانسان فى العادة مستلزم لخصال البر كما أن كذبه مستلزم لخصال الفجور كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال (عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وإن البر يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتي يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وأن الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) وكما أن الخبر المتواتر يعلم لكونه خبر من يمتنع فى العادة اتفاقهم وتواطؤهم على الكذب والخبر المنكر المكذب يعلم لكونه لم يخبر به من يمتنع فى العادة اتفاقهم على الكتمان فخلق الشخص وعادته فى الصدق والكذب يمتنع فى العادة أن يخفى على الناس فلا يوجد أحد يظهر تحري الصدق وهو يكذب اذا أراد الا ولا بد أن يتبين كذبه فان الانسان حيوان ناطق فالكلام له وصف لازم ذاتى لا يفارقه والكلام اما خبر واما انشاء والخبر أكثر من الانشاء وأصل له كما أن العلم أعم من الارادة وأصل لها والمعلوم أعظم من المراد فالعلم يتناول الموجود والمعدوم والواجب والممكن والممتنع وما كان وما سيكون وما يختاره العالم وما لا يختاره * وأما الارادة فتختص ببعض الامور دون بعض والخبر يطابق العلم فكل ما يعلم يمكن الخبر به والانشاء يطابق الارادة فان الامر اما محبوب يؤمر به أو مكروه ينهى عنه وأما ما ليس بمحبوب ولا مكروه فلا يؤمر به ولا ينهي عنه واذا كان كذلك فالانسان اذا كان متحريا للصدق عرف ذلك منه واذا كان يكذب أحيانا لغرض من الاغراض لجلب ما يهواه أو دفع ما يبغضه أو غير ذلك فان ذلك لا بد أن يعرف منه وهذا أمر جرت به العادات كما جرت بنظائره فلا تجد أحدا بين طائفة من الطوائف طالت مباشرتهم له الا وهم يعرفونه هل يكذب أولا يكذب * ولهذا كان من سنة القضاة اذا شهد عندهم من لا يعرفونه كان لهم أصحاب مسائل يسئلون عنه جيرانه ومعامليه ونحوهم ممن له به خبرة فمن خبر شخصا خبرة باطنة فانه يعلم من عادته علما يقينيا أنه لا يكذب لا سيما فى الامور العظام ومن خبر عبد الله ابن عمر وسعيد بن المسيب وسفيان الثوري ومالك بن أنس وشعبة بن الحجاج و يحيي بن سعيد

القطان وأحمد بن حنبل وأضعاف أضعافهم حصل عنده علم ضروري من أعظم العلوم الضرورية ان الواحد من هؤلاء لا يتعمد الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن تواترت عنه أخبارهم من أهل زماننا وغيرهم حصل له هذا العلم الضروري ولكن قد يجوز على أحدهم الغلط الذي يليق به ثم خبر الفاسق والكافر بل ومن عرف بالكذب قد تقترن به قرائن تفيد علما ضروريا ان المخبر صادق في ذلك الخبر فكيف ممن عرف منه الصدق في الاشياء فمن كان خبيرا بحال النبي صلى الله عليه وسلم مثل زوجته خديجة وصديقه أبي بكر اذا أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه أو سمعه حصل له علم ضروري بانه صادق في ذلك ليس هو كاذبا في ذلك ثم إن النبي لا بد أن يحصل له علم ضروري بان ما أتاه صادق أو كاذب فيصير إخباره عما علمه بالضرورة كاخبار أهل التواتر عما علموه بالضرورة * وأيضا فالمتنبي الكذاب كمسيلمة والعنسي ونحوهما يظهر لمخاطبه من كذبه في أثناء الامور أعظم مما يظهر من كذب غيره فانه اذا كان الاخبار عن الامور المشاهدة لا بد أن يظهر فيه كذب الكاذب فما الظن بمن يخبر عن الامور الغائبة التي تطلب منه ومن لوازم النبي التي لا بد منها الاخبار عن الغيب الذي أنبأه الله تعالي به فان من لم يخبر عن غيب لا يكون نبيا فاذا أخبرهم المتنبيء عن الامور الغائبة عن حواسهم من الحاضرات والمستقبلات والماضيات فلا بد أن يكذب فيها ويظهر لهم كذبه وان كان قد يصدق أحيانا في شيء كما يظهر كذب الكهان والمنجمين ونحوهم وكذب المدعين للدين والولاية والمشيخة بالباطل فان الواحد من هؤلاء وان صدق في بعض الوقائع فلا بد ان يكذب في غيرها بل يكون كذبه أغلب من صدقه بل تتناقض أخباره وأوامره وهذا أمر جرت به سنة الله التي لن تجد لها تبديلا قال تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وأما النبي الصادق المصدوق فهو فيما يخبر به عن الغيوب توجد أخباره صادقة مطابقة وكلما زادت أخباره ظهر صدقه وكلما قويت مباشرته وامتحانه ظهر صدقه كالذهب الخالص الذي كلما سبك خلص وظهر جوهره بخلاف المغشوش فانه عند المحنة ينكشف ويظهر أن باطنه خلاف ظاهره ولهذا جاء في النبوات المتقدمة أن الكذاب لا يدوم أمره أكثر من مدة قليلة اما ثلاثين سنة واما أقل فلا يوجد مدعي النبوة كذابا الا ولا بد أن ينكشف ستره ويظهر أمره والانبياء الصادقون لا يزال يظهر صدقهم بل الذين يظهرون العلم ببعض الفنون والخبرة

ببعض الصناعات والصلاح والدين والزهد لابد أن يتميز هذا من هذا وينكشف فالصادقون يدوم أمرهم والكذابون ينقطع أمرهم هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا * وأما المخبر عنه وبه كالنبي يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا أو أنه أمر بكذا فلا بد أن يكون خبره صدقا وأمره عدلا (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) والامور التي يخبر بها ويأمر بها تارة تنبه العقول على الامثال والادلة العقلية التي يعلم بها صحتها فيكون ما علمته العقول بدلالته وارشاده من الحق الذي أخبر به والخبر الذي أمر به شاهدبانه هاد ومرشد معلم للخير ليس بمضل ولا مغو ولا معلم للشر وهذه حال الصادق البر دون الكاذب الفاجر فان الكاذب الفاجر لا يتصور أن يكون ما يأمر به عدلا ومايخبر به حقا واذا كان أحيانا يخبر ببعض الامور الغائبة كشيطان يقرن به يلقي اليه ذلك أو غير ذلك فلا بد ان يكون كاذبا فاجرا كما قال تعالى ﴿ قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ وهذا بيان لان الذي يأتيه ملك لا شيطان فان الشيطان لا ينزل على الصادق البار ما دام صادقا بارا اذ لا يحصل مقصوده بذلك وانما ينزل على من يناسبه في التشيطن وهو الكاذب الاثيم * والاثيم الفاجر * وتارة يخبر النبي بامور ويأمر بامور لا يتبين للعقول صدقها ومنفعتها في أول الامر فاذا صدق الانسان خبره وأطاع أمره وجد في ذلك من البيان للحقائق والمنفعة والفوائد ما يعلم به ان عنده من عظيم العلم والصدق والحكمة مالا يعلمه الا الله تعالى أعظم مما يتبين به صدق الطبيب اذا استعمل مايصفه من الادوية وصدق العقل المشير اذا استعمل مايراه من الآراء وأمثال ذلك وحينئذ فيحصل للنفوس علم ضروري بكمال عقله وصدقه فاذا أخبر بعد ذلك عن أمور ضرورية يراها أو يسمعها حصل للنفوس علم ضروري بانه صادق لا يتعمد الكذب وانه متيقن لما أخبر به ليس فيه خطأ ولا غلط أعظم مما يتبين به صدق من أخبر عما رآه من الرؤيا * أو عما رآه من العجائب وأمثال ذلك فان الخبر انما تأتيه الآفة من تعمد الكذب أو الخطأ بان يظن الامر على خلاف ما هو عليه فان كان من العلوم الضرورية التي كلما دامت قويت وظهرت وزادت زال احتمال الخطأ وما كان يتحري الصدق الذي يعلم معه بالضرورة وانتفاء تعمد الكذب هو وغيره من الامور التي يعلم معها انتفاء تعمد الكذب ويزول معها احتمال تعمده وأما العلم بالعدل فيما يؤمر به وبالعدل الفاضل فيما يأمره

فهذا يعلم تارة بما نبينه من الادلة العقلية ونضرب به من الامثال وهذا هو الغالب على ما ذكره الأنبياء عليهم السلام من أصول الدين علما وعملا وتارة يظهر ذلك بالتجربة والامتحان * وتارة يستدل بما علم على ما لم يعلم * وأيضا فقد علم ان العالم ما زال فيه نبوة من آدم عليه السلام الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فالنبي الثاني يعلم صدقه بامور منها اخبار النبي الاول به كما بشر بنبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام الانبياء قبله * وكذلك بشر بالمسيح الانبياء قبله * وتارة يعلم صدقه بان يأتي بمثل ما أتوا به من الخبر والامر فان الكذاب الفاجر لا يتصور ان يكون في اخباره وأوامره موافقا للانبياء بل لا بد أن يخالفهم في الاصول الكلية التى اتفق عليها الانبياء كالتوحيد والنبوات والمعاد كما ان القاضى الجاهل أو الظالم لا بد أن يخالف سنة القضاة العالمين العادلين * وكذلك المفتى الجاهل أو الكاذب * والطبيب الكاذب أو الجاهل فان كل هؤلاء لا بد أن يتبين كذبهم أو جهلهم بمخالفتهم لما مضت به سنة أهل العلم والصدق * وان كان قد يخالف بعضهم بعضا فى أمور اجتهادية فانه يعلم الفرق بين ذلك وبين المخالفة فى الاصول الكلية التى لا يمكن انخرامها ولهذا يتميز للناس في الامراء والحكام والمفتين والمحدثين والاطباء وسائر الاصناف بين العالم الصادق وان خالف غيره من أهل العلم في الصدق في أشياء وبين من يكون جاهلا أو كاذبا ظالما ويفرقون بين هذا وهذا كما أنهم يعلمون من سيرة أبي بكر وعمر من العلم والعدل ما لا يرتابون فيه وان كان بينهما منازعات فى أمور اجتهادية كالتفضيل فى العطاء ونحو ذلك * وأيضا فاذا أخبر اثنان عن قضية طويلة ذات أجزاء وشعب لم يتواطآ عليها ويمتنع فى العادة اتفاقهما فيها على تعمد الكذب والخطأ علمنا صدقهما مثل أن يشهد رجلان واقعة من وقائع الحروب * أو يشهدا الجمعة أو العيد أو موت ملك أو تغير دولة ونحو ذلك أو يشهدا خطبة خطيب أو كتابا لبعض الولاة أو يطالعا كتابا من الكتب أو يحفظاه ونعلم انهما لم يتواطآ ثم يجىء أحدهما فيخبر بذلك كله مفصلا شيأ فشيأ من غير تواطئ فيعلم انهما صادقان ويخبر الآخر بمثل ما أخبر به الاول مفصلا شيأ فشيأ من غير تواطئ فيعلم انهما صادقان حتى لو كان رجلان يحفظان بعض قصائد العرب كقصيدة امرئ القيس أو غيرها وهناك من لا يحفظها وهناك شخصان لا يعرف أحدهما الآخر فقال الذى لا يحفظها لاحدهما انشدنيها فانشدها ثم طلب الآخر وقال له انشدنيها فانشدها كما أنشد الاول علم المستمع انها هى بل وكذلك كتب الفقه والحديث واللغة والطب وغير ذلك ولو بعث بعض الملوك رسلا الى أمرائه

ونوابه في أمر من الامور ثم أخبر أحد الرسولين بانه أمر بأمر ذكره وفصله وأخبر الآخر بمثل ذلك للقوم الذين أرسل اليهم من غير علم منه بارسال الآخر لعلم قطعا ان ذلك الامر هو الذي أمر به المرسل وانهما صادقان فانه يعلم علما ضروريا انه يمتنع في الكذب والخطأ أن يتفق في مثل هذا * ومعلوم ان موسى عليه السلام وغيره من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبروا عن الله سبحانه وتعالى من توحيده وأسمائه وصفاته وملائكته وأمره ونهيه ووعده ووعيده وارساله بما أخبروا به * ومعلوم أيضا لمن علم حال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه كان رجلا أميا نشأ بين قوم أميين ولم يكن يقرأ كتابا ولا يكتب بخطه شيئا كما قال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ﴾ وان قومه الذين نشأ بينهم لم يكونوا يعلمون علوم الانبياء بل كانوا من أشد الناس شركا وجهلا وتبديلا وتكذيبا بالمعاد وكانوا من أبعد الامم عن توحيد الله سبحانه * ومن أعظم الامم اشراكا بالله عز وجل * ثم اذا تدبرت القرآن والتوراة وجدتهما يتفقان في عامة المقاصد الكلية من التوحيد والنبوات والاعمال الكلية وسائر الاسماء والصفات ومن كان له علم بهذا علم علما ضروريا ماقاله النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وما قاله ورقة بن نوفل ان هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى قال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) وقال تعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) وقال تعالى (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وأمثال ذلك مما يذكر فيه شهادة الكتب المتقدمة بمثل ما أخبر به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وهذه الاخبار منقولة عند أهل الكتاب بالتواتر كما تقل عندهم بالتواتر معجزات موسي وعيسي عليهما السلام وان كان كثير مما يدعونه من أدق الامور لم يتواتر عندهم لانقطاع التواتر فيهم فالفرق بين الجمل الكلية المشهورة التي هي أصل الشرائع التي يعلمها أهل الملل كلهم وبين الجزئيات الدقيقة التي لا يعلمها الا خواص الناس ظاهر ولهذا كان وجوب الصلوات الخمس وشهر رمضان وحج البيت وتحريم الفواحش والكذب ونحو ذلك متواترا عند عامة المسلمين وأكثرهم لا يعلمون تفاصيل الاحكام والسنن المتواترة عند الخاصة فاذا كان في الكتب التي بايدي أهل الكتاب وفيما ينقلونه بالتواتر ما يوافق ما أخبر به نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان في

ذلك فوائد جليلة هي من بعض حكمه اقرارهم بالجزية ﴿ أحدها ﴾ أنه اذا علم اتفاق الرسل على مثل هـذا علم صدقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى حيث أخبر محمد عليه الصلاة والسلام بمثـل ما أخبر به موسى من غير تواطئ ولا تشاعر ﴿ الثاني ﴾ أن ذلك دليل على اتفاق الرسل كلهم في أصـول الدين كما يعلم أن رسل الله قبله كانوا رجالا من البشر لم يكونوا ملائكة فلا يجعـل سـيدنا محمـد صلى الله عليه وسـلم وحـده هو الذي جاء بها كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسـل) وقال تعالى (وما أرسـلنامن قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهـل القرى أفلم يسـيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبـة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خـير للذين اتقوا أفلا تعقلون * حتى اذا استيأس الرسـل وظنوا أنهم قـد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين * لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا يفترى ولـكن تصديق الذى بين يديه وتفصـيل كل شيء وهـدى ورحمة لقوم يؤمنون)

﴿ الثالث ﴾ أن هـذه آية على نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حيث أخبر بمثل ما أخبرت به الانبياء من غير تعلم من بشر وهذه الامور هي من الغيب قال تعالى (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصـبر ان العاقبة للمتقين) وقال تعالى (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وقال تعالى (وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهـدين* ولـكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولـكنا كنا مرسلين* وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولـكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون * ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنـا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين* فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسي من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون* قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين *فان لم يستجيبوا لك فاعلم أنمـا يتبعون أهواءهم ومن أضـل ممن اتبع هواه بغير هـدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين* ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتـذكرون* الذين آتيناهم الـكتاب من قبله هم به يؤمنون* واذا يتلى عليهـم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم

مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون * واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)* وكثير من أهل الكتاب امنوا بمثل هـذه الطرق قال تعالى (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعو واليه مآب) وقال تعالى (ويرى الذين أوتو العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد)

(ولا ريب) ان منكري النبوات لهم شبه * منها انكار ان يكون رسول الله بشرا * ومنها دعوى أن الذي يأتيه شيطان لا ملك وغير ذلك وكل ذلك قد اجاب الله تعالى عنه في القرآن العظيم وقرر ذلك بابلغ تقرير لكن جواب هذا السؤال لا يتسع لبسط ذلك في القرآن قال تعالى (الر تلك آيات الكتاب الحكيم * أكان للناس عجبا ان أوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس) وقال تعالى (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا * قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال تعالى (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين * وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) بين ان الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل اذ لا يستطيعون الاخذ عن الملك على صورته ولو كان في صورة رجل لعاد اللبس وقالوا (ابعث الله بشرا رسولا) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فأسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) * فامر سبحانه بمسألة أهل الذكر اذ ذلك مما تواتر عندهم ان الرسل كانوا رجالا * وقال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية

(وبالجملة) فتقرير النبوات من القرآن اعظم من ان يشرح في هذا المقام إذ ذلك هو عماد

الدين وأصل الدعوة النبوية وينبوع كل خير وجماع كل هدي واما حال المخبر عنه فان النبي والرسول يخبر عن الله تعالى بانه ارسله ولا أعظم فرية ممن يكذب على الله جل وعز كما قال تعالى (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله) ذكر هذا بعد قوله (وماقدروا الله حق قدره اذقالوا ما انزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدي للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آبائكم قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون * وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون * ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الىّ ولم يوح اليه شيء * ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافى للنبوة بقوله ﴿ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى ﴾ وذلك الكتاب ظهر فيه من الآيات والبينات واتبعه كل الانبياء والمؤمنين وحصل فيه مالم يحصل في غيره فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر وأظهر من أن تذكر بخلاف الانجيل وغيره وأيضا فانه أصل والانجيل تبع له فمن ذلك الخبر به وعنه الا فيما أحله المسيح وهذا يقول سبحانه أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا أي القرآن والتوراة وفى القراءة الاخرى قالوا ساحران أي محمد والقرآن وكذلك قوله (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا) الآية وكذلك قوله (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) وكذلك قول الجن (انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم) ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الانبياء المذكورين في القرآن وهي أكبر من غيرها وتبسط أكثر من غيرها قال عبد الله بن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عن بني اسرائيل * ولما قرر الصدق بين حال الكذابين بأنهم ثلاثة أصناف اذ لا يخلو الكذاب من أن يضيف الكذب الى الله تعالى ويقول انه أنزله أو يحذف فاعله ولا يضيفه الى أحد أو ان يقول انه هو الذى وضعه معارضا فقال تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا أو قال أوحى اليّ ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴾ وأما المخبر عنه فانه الله تعالي

ولاريب انه يعلم من أمور الرب سبحانه بما نصبه من الادلة المعاينة الحسية التي يعقل بها بنفسها وبالامثال المضروبة وهي الاقيسة العقلية ما يمتنع معه خفاء كذب الكاذب بل يمتنع معه خفاء صدق الصادق فالدجال مثلا قد علم بوجوه متعددة ضرورية انه ليس هو الله وانه كافر مفتر واذا كانت دعواه معلوما كذبها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقا لها اذ العلوم الضرورية لا تقدح فيها الطرق النظرية فان الضروريات أصل النظريات فلو قدح بها فيها لزم ابطال الاصل بالفرع فيبطلان جميعا فانه يظهر أيضا من عجزه ما ينفي دعواه وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعيا للنبوة يعلم بالاضطرار كذبه للعلم الضروري بان الله سبحانه لا يأمر بهذا سواء قيل ان العقل يعلم به حسن الافعال وقبحها أولا يعلم به فليس كلما أمكن في العقل وقوعه وكان الله قادرا عليه يشك في وقوعه بل نحن نعلم بالضرورة ان البحار لم تنقلب دما وان الجبال لم تنقلب يواقيت وأمثال ذلك من المعادن وان لم يسند ذلك الي دليل معين وان كنا عالمين بان الله تعالى قادر على قلب ذلك لكن العلم بالوقوع وعدمه شيء والعلم بامكان ذلك من قدرة الله سبحانه شيء وكل ذي فطرة سليمة يعلم بالاضطرار ان الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك مما قد يأتي به كثير من الكذابين بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية وهذا باب واسع ليس هذا موضع بسطه ولكن نذكر ما أشار اليه مصنف العقيدة

﴿ فصل ﴾

فهذه الطرق سلكها أكثر أهل الكلام وغيرهم ولهم في تقرير دلالة المعجزة على الصدق طرق ﴿ أحدها ﴾ ان اظهار المعجزة على يدي المتنبي الكذاب قبيح والله سبحانه منزه عن فعل القبيح وهذه الطرق سلكها المعتزلة وغيرهم ممن يقول بالتحسين والتقبيح وطعن فيها من ينكر ذلك ثم ان المعتزلة جعلوا هذه أصل دينهم والتزموا بها لوازم خالفوا بها نصوص الكتاب والسنة بل وصريح العقل في مواضع كثيرة وحقيقة أمرهم انهم لم يصدقوا الرسول الا بتكذيب بعض ما جاء به وكأنهم قالوا لا يمكن تصديقه في البعض الا بتكذيبه في البعض لكنهم لا يقولون انهم يكذبونه في شيء بل تارة يطعنون في النقل وتارة يتأولون المنقول ولكن يعلم بطلان ما ذكروه اما ضرورة واما نظرا وذلك انهم قالوا إن السمع مبني على صدق الرسول وصدقه على

ان الله تعالى منزه عن فعل القبيح فان تأييد الكذاب بالمعجزة قبيح والله منزه عنه قالوا والدليل على انه منزه عنه أن القبيح لا يفعله الا جاهل بقبحه أو محتاج والله سبحانه منزه عن الجهل والحاجة والدليل على ذلك ان المحتاج لا يكون الا جسما والله تعالى ليس بجسم ﴿ والدليل ﴾ على انه ليس بجسم هو مادل على حدوث العالم والدليل على حدوث العالم انه أجسام وأعراض وكلاهما محدث والدليل على حدوث الاجسام انها لا تخلو عن الحوادث ومالا يخلو عن الحوادث فهو حادث والدليل على ذلك انها لا تنفك عن الحركة والسكون وهما حادثان لامتناع حوادث لا أول لها ثم التزموا لذلك حدوث كل موصوف بصفة لان الصفات هي الاعراض والاعراض لاتقوم الا بجسم وقد قام الدليل على حدوث الجسم فالتزموا لذلك أن لا يكون لله علم ولا قدرة وان لا يكون متكلما قام به الكلام بل يكون القرآن وغيره من كلامه تعالى مخلوقا خلقه في غيره ولا يجوز أن يرى لا فى الدنيا ولا في الآخرة ولا هو مباين للعالم ولا مجانبه ولا داخل فيه ولا خارج عنه ثم قالوا أيضا لا يجوز أن يشاء خلاف ماأمر به ولا أن يخلق افعال عباده ولا يقدر أن يهدى ضلالا ولا يضل مهتديا لانه لو كان قادرا على ذلك وقد أمر به ولم يعن عليه لكان قبيحا منه فركبوا عن هذا الاصل التكذيب بالصفات والتكذيب بالقدر وسموا أنفسهم أهل التوحيد والعدل وسموا من أثبت الصفات من سلف الامة وأئمتها مشبهة ومجسمة ومجبرة وحشوية وجعلوا مالكا واصحابه والشافعي وأصحابه وأحمد وأصحابه وغيرهم من هؤلاء الحشوية الى أمثال هذه الامور التي بسطنا الكلام عليها فى غير هذا الموضع وأصل ضلالهم في القدر انهم شبهوا المخلوق بالخالق سبحانه فهم مشبهة الافعال * وأما أصل ضلالهم فى الصفات فظنهم ان الموصوف الذى تقوم به الصفات لا يكون الا محدثا * وقولهم من أبطل الباطل فانهم يسلمون ان الله حي عليم قدير ومن المعلوم ان حيا بلا حياة وعليما بلا علم وقديرا بلا قدرة مثل متحرك بلا حركة وأبيض بلا بياض واسود بلا سواد وطويل بلا طول وقصير بلا قصر ونحو ذلك من الاسماء المشتقة التى يدعى فيها نفى المعنى المشتق منه وهذا مكابرة للعقل والشرع واللغة * الثانى انه أيضا من المعلوم ان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل لا غيره فاذا خلق سبحانه كلاما في محل وجب أن يكون ذلك المحل هو المتكلم به فتكون الشجرة هى القائلة لموسى انني أنا الله لا إله الا أنا فاعبدني ويكون كلما أنطقه الله تعالى من المخلوقات كلامه كلاما لله تعالى وبسط هذا له موضع غير هذا *

﴿ والمقصود هنا ﴾ مايتعلق بتقرير النبوة وقد يقال يمكن تقرير كونه سبحانه منزها عن تأييد الكذاب بالمعجزة من غير بناء على أصل المعتزلة بما علم من حكمة الله تعالى فى مخلوقاته ورحمته ببريته وسنته فى عباده فان ذلك دليل على أنه لا يؤيد كذابا بمعجزة لا معارض لها ويمكن بسط هذه الطريقة وتقريرها بما ليس هذا موضعه في أنه كما علم بما فى مصنوعاته من الاحكام والاتقان انه عالم وبما أن بها من التخصيص انه مريد فيعلم بما فيها من النفع للخلائق انه رحيم وبما فيها من الغايات المحمودة انه حكيم والقرآن يبين آيات الله الدالة على قدرته ومشيئته وآياته الدالة على انعامه ورحمته وحكمته ولعل هذا أكثر في القرآن كقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقوله تعالى (أفرأيتم ماتمنون * أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون * نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون * ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون انا لمغرمون بل نحن محرومون * أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون * لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون * أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم) وقوله سبحانه (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) وقوله عز وجل (فلينظر الانسان الى طعامه * أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) وقوله جل وعز (أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون) وهو سبحانه فى سورة الرحمن يقول فى عقب كل اية (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وهو يذكر فيها ما يدل على خلقه وعلمه وقدرته ومشيئته وما يدل على انعامه ورحمته وحكمته وكذلك ذكر في مخاطبة الرسل للكفار كقوله سبحانه (قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل

ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى)

ومثل هذا فى القرآن كثير وما فطر فيه من المخلوقات دل على ذلك وفى نفس الانسان عبرة تامة فان من نظر في خلق أعضائه وما فيها من المنافع له ومافي تركيبها من الحكمة والنعمة مثل كون ماء العين مالحا ليحفظ شحمة العين من أن تذوب وماء الاذن مرا ليمنع الذباب من الولوج وماء الفم عذبا ليطيب ما يمضغ من الطعام وأمثال ذلك علم علما ضروريا ان خالق ذلك له من الرحمة والحكمة ما يبهر العقول مع ما في ذلك من الدلالة على المشيئة ثم اذا استقرأ ما يجده في نوع الانسان من أن كل من عظم ظلمه للخلق وضراره لهم كانت عاقبته عاقبة سوء واتبع اللعنة والذم ومن عظم نفعه للخلق واحسانه اليهم كانت عاقبته عاقبة خير وأمثال ذلك استدل بما علم على ما لم يعلم حتى يعلم أن الدولة ذات الظلم والجبن والبخل سريعة الانقضاء كما قال تعالى (مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل * الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ) وقال عز وجل (ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) كذلك سنته فى الانبياء الصادقين واتباعهم من المؤمنين وفي الكذابين والمكذبين بالحق ان هؤلاء ينصرهم ويبقى لهم لسان صدق فى الآخرين واولئك ينتقم منهم ويجعل عليهم اللعنة

فبهذا وأمثاله يعلم انه لا يؤيد كذابا بالمعجزة لا معارض لها لان في ذلك من الفساد والضرر بالعباد ما تمنعه رحمته وفيه من سوء العاقبة ما تمنعه حكمته وفيه من نقض سنته المعروفة وعادته المطردة ما تعلم به مشيئته قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين) وقال تعالى (ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا * اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) وقال تعالى (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) ثم قال (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو

لاجلها * وملخص ذلك أن الله تعالى اذا أمر بامر فانه حسن بالاتفاق اذا نهي عن شئ فانه قبيح بالاتفاق لكن حسن الفعل وقبحه اما أن ينشأ من نفس الفعل والامر والنهي كاشفان أو ينشأ من نفس تعلق الامر والنهى به أو من المجموع * فالاول هو قول المعتزلة ولهذا لايجوزون نسخ العبادة قبل دخول وقتها لانه يستلزم أن يكون الفعل الواحد حسنا قبيحا وهذا قول أبي الحسن التميمي من أصحاب أحمد وغيره من الفقهاء (والثانى) قول الاشعرية ومن وافقهم من الظاهرية وفقهاء الطوائف وهؤلاء يجعلون علل الشرع مجرد أمارات ولايثبتون بين العلل والافعال مناسبة لكن هؤلاء الفقهاء متناقضون فى هذا الباب فتارة يقولون بذلك موافقة للاشعرية المتكلمين وهم فى أكثر تصرفاتهم يقولون بخلاف ذلك كما يوجد مثل هذا في كلام فقهاء المالكية والشافعية والحنبلية * وإما ان يكون ذلك ناشئا من الامرين وهذا مذهب الائمة وعليه تجري تصرفات الفقهاء في الشريعة فتارة يؤمر بالفعل لحكمة تنشأ من نفس الامر دون المأمور به وهذا هو الذى يجوز نسخه قبل التمكين كما نسخت الصلاة ليلة المعراج من خمسين الى خمس وكما نسخ أمر ابراهيم بذبح ابنه عليهما السلام

(وبالجملة فجمهور) الأئمة على أن الله تعالى منزه عن أشياء هو قادر عليها ولا يوافقون هؤلاء على أنه لاينزه عن مقدور الظلم الذى نزه الله سبحانه عنه نفسه فى القرآن وحرمه على نفسه وهو قادر عليه وهو هضم الانسان من حسناته أو حمل سيئات غيره عليه كما قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) وهؤلاء الجمهور لا يوافقون المعتزلة على قولهم ان الله تعالى لم يخلق افعال العباد ولا شاء الكائنات بل يقولون ان الله خلق كل شئ وماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن لكنهم مع هذا يثبتون لفعله حكمة وينزهونه عن القبائح وهذا قول الكرامية وغيرهم من أهل الكلام وهو قول أكثر الصوفية وأكثر أهل الحديث وجمهور السلف والائمة وجمهور المسلمين والنظار لكن ليس هذا موضع بسطه * وهؤلاء يسلكون في اثبات النبوة ماسلكه ابن عقيل وغيره في مواضع أخر اذ أثبت حكم الله تعالى فيها حيث قال النبوات واسطة بين الله تعالى وبين خلقه في الافعال والتروك المتضمنة لمصالح المكلفين والثقة بها طريقها ماسبق فى علومنا باستدلالنا على ان الباري حكيم لايؤيد كذابا بالمعجزة ولايمكن من معجزاته الامن صدق فيما يخبر به عنه فلما علمنا ذلك وتحققناه حصلت لنا الثقة بمن تكاملت فيه شرائط النبوة وعلمنا انه سفير فيما بيننا وبين الله

زاهق ولكم الويل مما تصفون) وقال تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) (قل جاء الحق وما يبدؤ الباطل وما يعيد)

﴿ فصل ﴾

وهذه الطريق لم يسلكها أبو الحسن الاشعري وأصحابه ومن وافقه من علماء المذهب كالقاضي أبي يعلي وابن عقيل وابن الزاغوني والاستاذ أبي المعالى وصاحبه الانصارى والشهرستاني وأمثالهم وأبي الوليد الباجي والمازرى ونحوهم بناء على أنهم لا يرون تنزيه الرب سبحانه عن فعل من الافعال لانهم قد علموا أن له أن يفعل ما يشاء وهم لا يقولون بالتحسين والتقبيح العقليين حتى يقولوا ان الفعل الفلاني قبيح وهو منزه عن فعل القبيح بل عندهم أن الظلم غير مقدور اذا الظلم التصرف في ملك غيره فمهما فعل كان تصرفا في ملكه فلم يكن ظلما بل يقولون إنه يجوز أن يأمر بكل شيء وينهى عن كل شيء ولا يجعلون للافعال صفات باعتبارها يكون الحسن والقبح وانتهى ما أثبتوه من الصفات بالعقل الى أنه حي عليم قدير مريد وأثبتوا مع ذلك انه سميع بصير متكلم * فأما الرحمة والحكمة ونحو ذلك فلم يثبتوها بالعقل بل قد ينفون الحكمة التي هي الغايات والمقاصد في أفعاله ويمنعون أن يفعل شيأ لاجل شيء كما قد بسط الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع

﴿ فان المقصود هنا ﴾ التنبيه على طرق الناس فى النبوة والكلام عليها بحسب العدل والانصاف لا بسط الكلام فى كل ما تنازعوا فيه * ومسئلة التحسين والتقبيح العقليين هي كما تنازع فيها عامة الطوائف فقال بكل من القولين طوائف من المالكية والشافعية والحنبلية ومن قال بالاثبات من الحنبلية أبو الحسن التميمي وأبو الخطاب ومن قال بالنفى أبو عبد الله ابن حامد وصاحبه القاضى أبو يعلي وأكثر أصحابه * ومسئلة حكم الاعيان قبل ورود الشرع هى فى الحقيقة من فروعها * وقد قال فيها بالحظر أو الاباحة أعيان من هذه الطوائف * وأما الحنفية فالغالب عليهم القول بالتحسين والتقبيح العقليين وذكروا ذلك نصا عن أبى حنيفة رحمه الله تعالى وأهل الحديث فيها أيضا على قولين ومن قال بالاثبات أبو النصر السجزى وصاحبه الشيخ أبو القاسم سعيد بن علي الزنجاني * فاما ما اختصت به القدرية فهذا لا يوافقهم عليه أحد من هؤلاء ولكن هؤلاء هم وجمهور الفقهاء بل وجمهور الامة يرون أن للافعال صفات يتعلق الامر والنهى بها

تعالى وانه رسوله فيما أخبرنا به عنه قبلناه من غير تكشف عليه بعقولنا ولانضرب له الامثال بآرائنا وعاداتنا بل نعتقد انه جاء من عندمن حكمته فوق حكمتنا وتدبيره فوق تدبيرنا ولايمتنع في العقل ولاتمنع الحكمة من أن يجعل الانبياء مذكرين للعقلاء وموقظين لهم ومرشدين الى الاصلح الذي لايدرك بالعقل ولايبلغ كنهه بالرأى والفحص وماهذا الا كما جعل بعض العقلاء حكيما واعظا مذكرا مؤدبا وبعضهم يحتاج الى مذكر ومؤدب ولا أحد منع من ذلك فثبت حسن الرسالة بالعقل ولان لله جل وعز فى الافعال والتروك اسرارا من المصالح التى لايعلمها العقلاء ولايدركونها بعقولهم فاحتاجوا الى النبوات

﴿ قلت والمقصودهنا ﴾ ان من لم ينزهه عن فعل مقدور له بل جوز ان يفعل كلما يمكن ولم يثبت لفعله حكمة غير تعلق الحكم بالمفعولات وتعلق المشيئة بها فانه احتاج في دلالة المعجزة على الصدق الى غير تلك الطريق فسلكوا طريقين سلك كل طائفة من أهل الكلام والفقه من أصحاب مالك والشافعى وأبي حنيفة وأحمد ﴿ احدهما ﴾ وهو قول أكثر شيوخهم المتقدمين ان وجه دلالة المعجزة على صدق مدعى النبوة امتناع تعجيز الاله عن نصب الدلالة على صدق الرسل فان تصديقهم ممكن وذلك معلوم بالضرورة والاستدلال ولادليل الى التصديق الاخلق المعجزات وبظهورها على يد الكذاب يبطل دليل صدقهم فلا يبقي فى المقدور طريق يصدقون به فيلزم عجز لاله عن الممكن وذلك ممتنع * وقد عول على هذه الطريقة أبو الحسن الاشعرى وأصحابه كالاستاذين أبى اسحاق وأبي بكر بن فورك وكذلك القاضي أبو بكر فى مواضع من كتبه وكذلك القاضى أبو يعلى وأبو الحسن بن الزاغوني ﴿ الطريق الثانى ﴾ هي التى اختارها أبو المعالى وأتباعه وقال انها الطريقة المرضية عند القاضي أبي بكر وهي التى أشار اليها أبو الحسن في الامالى وهي طريقة أبي محمد الصابونى ونحوه من الحنفية ان المعجزات تدل من حيث نزلت منزلة التصديق بالقول والعلم بذلك يقع ضروريا بقرائن أحوال كالعلم بخجل الخجل ووجل الوجل وغضب الغضبان وحرارة الحر ونحوى كلام المخاطب المتكلم ولا يتوقف العلم بماهذا سبيله على نظر واستدلال فيقبل عليه اعتراض * قالوا ووجه ذلك ان الفعل الخارق للعادة اذا علم أنه من قبل الله تعالى وانه خارق للعادة وانه سبحانه فعله عند دعوى الرسالة والطلب وعند قول جار مجرى الطلب اما معينا وإما غير معين من المعجزات وانه متعلق بالدعوي ومطابق لها وان الله تعالى سامع

لدعوي النبوة عليه وعالم بها في مواضعة أهل لغة الرسول ثم فعل ما يدعيه الرسول انه ليس من فعله علم انه قاصد بذلك الى تصديقه وان ما يفعله من الآيات في مثل هذه الحال قائم مقام تصديقه له بالقول صدق أنا أرسلته على وجه يفهم الامة التي يدعى فيها النبوة انه قول صدق به من قبله بل التصديق له بالفعل أبعد من دخول الشبهة والاحتمال فيه وهو جار مجرى قول مدع الرسالة على زيد ان كنت رسولك وصاحبك فاكتب بذلك رقعة أو اركب أو قم أو اقعد وما جرى مجرى ذلك من الافعال الظاهرة للحواس التي يعلم تصديقه بها اذا فعلها فاذا فعل زيد ذلك قام مقام قوله صدق هو رسولى وصاحبي الذى يعلم ضرورة قصده الى تصديقه به وهذا واجب لا محالة قالوا وليس يمكن أن تدل المعجزات على صدق الرسل الا على هذه الطريقة فهى كذلك جارية مجرى أدلة الاقوال * هذا حاصل كلام القاضى أبي بكر ابن الباقلانى فى احد قوليه وأبى المعالى ونحوهما وضربوا لذلك مثلا فقالوا اذا تصدى ملك للناس وتصدر لتاج عليه رعيته وأتباعه وغيره واحتفل المجلس واحتشد وقد أرهق الناس شغل شاغل فلما أخذ كل مجلسه وترتب الناس على مراتبهم انتصب واحد من خواص الناس وقال معاشر الاشهاد قد حدث بكم أمر عظيم وأظلكم خطب جسيم وأنا رسول الملك اليكم ومؤتمنه لديكم ورقيبه عليكم ودعواى هذه بمرأي من الملك ومسمع فان كنت أيها الملك صادقا فى دعواى فخالف عادتك وجانب سجيتك وانتصب فى خدرك قائما ثم اقعد ففعل الملك ذلك على وفق دعواه وموافقة هواه فيتيقن الحاضرون علم الضرورة بتصديق الملك اياه وتنزيل الفعل الصادر منه منزلة القول المصرح بالتصديق * فهذا العمدة في ضرب المثال فان تعسف متعسف في الصورة التى فرضنا الكلام فيها وزعم انه لا يحصل العلم بتصديق الملك لمن يدعى الرسالة كان ذلك جحدا منه لما علم اضطرارا فانا نعلم ببديهة العقول عند ما قدمناه من القرائن حالا ومقالا ان أحدا من الذين شهدوا وشاهدوا لا يستريب فى تصديق الملك لمدعى الرسالة ولا يعرض أحد منهم بعد ظهور الامارات على تشكيك النفس وترديد القول ولا تحوجهم قضية الحال الى سبر ونظر واطالة فكر بل يستوي النظار الذين لا خبرة لهم فى النظر .

﴿ فصل ﴾

﴿ قال المصنف ﴾ والدليل على نبوة الانبياء المعجزات والدليل على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم القرآن المعجز نظمه ومعناه * ﴿ قلت ﴾ قد تبين ان النبوة تعلم بالمعجزات وبغيرها على أصح الاقوال وأما

نبوة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام فانها تعرف بطرق كثيرة ﴿منها﴾ المعجزات ومعجزاته منها القرآن ومنها غير القرآن والقرآن معجز بلفظه ونظمه ومعناه واعجازه يعلم بطريقين جلي وتفصيلي أما الجلي فهو انه قد علم بالتواتر أن محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ادعي النبوة وجاء بهذا القرآن وان في القرآن آيات التحدي والتعجيز كقوله تعالي (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون* قل تربصوا فاني معكم من المتربصين* أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون* أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون* فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) فتحداهم هنا أن يأتوا بمثله وقال في موضع آخر ﴿فليأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾ وقال في موضع آخر ﴿فليأتوا بسورة من مثله﴾ وأخبر مع ذلك انهم لن يفعلوا فقال ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين* فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار) بل أخبر ان جميع الانس والجن اذا اجتمعوا لا يأتون بمثله فقال ﴿قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ وقد علم أيضا بالتواتر انه دعا قريشا خاصة والعرب عامة وان جمهورهم في أول الامر كذبوه وآذوه وآذوا الصحابة وقالوا فيه أنواع القول مثل قولهم هو ساحر وشاعر وكاهن ومعلم ومجنون وأمثال ذلك وعلم أنهم كانوا يعارضونه ولم يأتوا بسورة من مثله وذلك يدل على عجزهم عن معارضته لان الارادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة * ومعلوم ان ارادتهم كانت من أشد الارادات على تكذيبه وابطال حجته وانهم كانوا أحرص الناس على ذلك حتى قالوا فيه ما يعلم انه باطل بادنى نظر وفيلسوفهم الكبير الوحيد (فكر وقدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر) وليس هـذا موضع ذكر جزئيات القصص اذ المقصود ذكر ما علم بالتواتر من انهم كانوا من أشد النـاس حرصا ورغبة على اقامة حجـة يكذبونه بها حتى كانوا يتعلقون بالنقض مع وجود الفرق فانه لما نزل (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) عارضوه بالمسيح حتى فرق الله تعالى بينهما بقوله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون* وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) فمن عارضوا خبره بمثل هذا كيف لا يدعون معارضة القرآن وهم لا يقدرون على ذلك وقوله (ما تعبدون) خطاب للمشركين لم يدخل فيه أهل الكتاب ولا

تناول اللفظ المسيح كما يظنه ظان من الظانين بل هم عارضوه بالمسيح من باب القياس يقولون اذا كانت الانبياء من حصب جهنم لانها معبودة كذلك المسيح وهـذا كما قال تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا) فانهم جعلوه مثـلا لآلهتهم ولم يوردوه لشمول اللفظ كما يظن ذلك بعض المصـنفين في الاصول ولهذا بين الله الفرق بين المسيح وبين آلهتهم بان المسيح عبد الله يستحق الثواب ولا يظلم بذنب غيره بخلاف الحجارة وان في جعلهم من الانبياء حصب جهنم اهانة له بذلك من غـير ظـلم ثم انتشرت دعوته في أرض العرب ثم في سائر الارض الى هذا الوقت وآيات التحدي قائمة متلوة وماقدر أحد أن يعارضه بمايظن أنه مثل * ولما جاء مسيلمة ونحوه بما أتوا به يزعمون انهم أتوا بمثله كان ما أتوا به من المضاحك التي لا تحتاج المعرفة بانتفاء مماثلها الى نظر وذلك كمن جاء الى الرجل الفارس الشجاع ذي اللامة التامة فاراد أن يبارزه بصورة مصورة ربطها على الفرس * كقول مسـيلمة ياضفدع بنت ضفدعين كم تنقنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين رأسك في الماء وذنبك في الطين * وقوله أيضا الفيل وماأدراك ما الفيل له زلوم طويل ان ذلك من خلق ربنا الجليل وأمثال ذلك * ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبي بكر وسألهم أن يقرؤا له شيأ من قرآن مسيلمة فاستعفوه فأبى أن يعفيهم حتى قرؤا شيأ من هذا فقال لهم الصديق ويحكم أين ذهب بعقولكم ان هذا كلام لم يخرج من إل أي من رب فاستفهم استفهام المنكر عليهم لفرط التباين وعدم الالتباس وظهور الافتراء على هذا الـكلام وان الله سبحانه وتعالى لا يتكلم بمثل هذا الهذيان * وأما الطرق فكثيرة جدا متنوعة من وجوه وليس كما يظنه بعض الناس وان معجزته من جهة صرف الدواعي عن معارضته وقول بعضهم انه من جهة فصاحته وقول بعضهم من جهة اخباره بالغيوب الى امثال ذلك فان كلا من الناظرين قد يرى وجهـا من وجوه الاحجار وقـد يريد الحجر وان لم ير غـيره ذلك الوجه واستيعاب الوجوه ليس هو مما يتسع له شرح هذه العقيدة

﴿ فصل ﴾

﴿ قال المصنف ﴾ ثم نقول كلما أخبر به محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من عذاب القبر ومنكر ونكير وغير ذلك من أهوال القيامة والصراط والميزان والشفاعة والجنة والنار فهو حق لانه ممكن وقد أخبر به الصادق فيلزم صدقه * والـكلام على هذا في فصول ﴿أحدها﴾ أن يقال ان

هذه العقيدة اشتمل على الكلام في الايمان بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر ولا ريب ان
هذه الاصول الثلاثة هي أصول الايمان الخبرية العلمية وهي جميعها داخلة في كل ملة وفي ارسال
كل رسول فجميع الرسل اتفقت عليها كما اتفقت على أصول الايمان العملية أيضا مثل ايجاب عبادة
الله تعالى وحده لا شريك له وايجاب الصدق والعدل وبر الوالدين وتحريم الكذب والظلم
والفواحش فان هذه الاصول الكلية علما وعملا هي الاصول التي اتفقت عليها الرسل كلهم *
والسور التي انزلها الله تعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة التي يقال لها السور المكية
تضمنت تقرير هذه الاصول كسورة الانعام والاعراف وذوات الر وحم وطس ونحو ذلك
والايمان بالرسل يتضمن الايمان بالكتب وبمن نزل بها من الملائكة وهذه الخمسة هي اصول
الايمان المذكورة في قوله تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب
والنبيين) وفي قوله عز وجل (ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد
ضل ضلالا بعيداً) وهي التي أجاب بها النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل في صورة اعرابي
وسأله عن الايمان فقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت
وتؤمن بالقدر خيره وشره والحديث قد أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي هريرة
وأخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب وهو من أصح الاحاديث فتلك الثلاثة تتضمن
هذه الخمسة والله تعالى أنزل سورة البقرة وهي سنام القرآن وجمع فيها معالم الدين وأصوله
وفروعه الى أمثال ذلك فان النظر فيها وجه من وجوه الايجاب * ولما ذكر في أولها أصناف
الخلق وهم ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق أخذ بعد ذلك يقرر أصول الدين فقرر هذه الاصول
الثلاثة الايمان بالله ثم الرسالة ثم اليوم الآخر فانه أنزل أربع آيات في المؤمنين وآيتين في صفة
الكافرين وبضعة عشرة آية في صفة المنافقين ثم قال تعالى تقريراً للنبي صلى الله عليه وسلم
(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم) الى قوله تعالى (بسورة من مثله) فانه ذكر التحدي هكذا
في غير موضع من القرآن

﴿ الفصل الثاني ﴾

ان مسائل ما بعد الموت ونحو ذلك الاشعري وأتباعه ومن وافقهم من أهل المذاهب الاربعة
من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية يسمونها السمعيات بخلاف باب الصفات والقدر وذلك

بناء على أصلين ﴿ أحدهما ﴾ ان هذه لا تعلم الا بالسمع ﴿ والثانى ﴾ ان ماقبلها يعلم بالعقل وكثير منهم أو أكثرهم يضم الى ذلك أصلا آخر وهو ان السمع لا يعلم صحته الا بتلك الاصول التى يسمونها بالعقليات مثل اثبات حدوث العالم ونحو ذلك * وأما محققوهم فيقولون ان العلم بحدوث العالم ليس من الاصول التي تتوقف صحة السمع عليها بل يمكن العلم بصحة السمع ثم يعلم بالسمع خلق السموات والارض ونحو ذلك * وأما الاصلان الاولان فنازعهم فيهما طوائف مثل أمر المعاد فانه قد ذهب طوائف الى أنه يعلم بالعقل أيضا وهذا قاله طوائف من المعتزلة ومن غير المعتزلة أيضا من اتباع الائمة الاربعة حتى من أصحاب أحمد كابن عقيل وغيره والفلاسفة الالهيون يثبتون معاد النفوس بالعقل وقد وافقهم على اثبات معاد الارواح بالعقل طوائف من أهل الكلام والتصوف وغيرهم وان كان هؤلاء يثبتون معاد الابدان أيضا اما بالسمع واما بالعقل ﴿ فالمقصود ﴾ أن العقل عندهم قد يعلم به اما معاد الارواح واما المعاد مطلقا * وأما انكار الفلاسفة لمعاد الابدان فهذا مما اتفق أهل الملل على ابطاله

﴿ الفصل الثالث ﴾

أن من انتسب الى الملل منهم من المسلمين واليهود والنصارى هم مضطربون في ما جاءت به الانبياء فى المعاد فالمحققون منهم يعلمون أن حججهم على قدم العالم ونفى معاد الابدان ضعيفة فيقبلون من الرسل ماجاؤا به ومنهم قوم واقفة متحيرون لتعارض الادلة وتكافئها عندهم ومنهم قوم أصروا على التكذيب ثم زعموا أن ماجاءت به الرسل هو أمثال مضروبة لتفهم المعاد الروحانى وهؤلاء اذا حقق عليهم الامر صرحوا بان الرسل تكذب لمصلحة العالم واذا حسنوا العبارة قالوا إنهم يخيلون الحقائق فى أمثال خيالية وقالوا ان خاصة النبوة تخييل الحقائق للمخاطبين وانه لا يمكن خطاب الجمهور الا بهذا الطريق كما يزعم ذلك الفارابى وأمثاله مع أن الفارابى له في معاد الارواح ثلاثة أقوال متناقضة تارة يقول لا تعاد وينكر المعاد بالكلية وتارة يقول انها تعاد وتارة يفرق بين الانفس العالمة والجاهلة فيقر بمعاد العالمة دون الجاهلة ولهم فى تفضيل النبي على الفيلسوف أو بالعكس نزاع فعقلاؤهم كابن سينا وأمثاله يفضل النبي على الفيلسوف وأما غلاتهم فيفضلون الفيلسوف ولا ريب أن أوليهم ليس لهم فى النبوات كلام محصل وكلامهم فى الالهيات قليل وانما توسع القوم في الامور الطبيعية والرياضية ومصنفات معلمهم الاول أرسطو عامتها من ذلك والذى

فيها من الالهيات أمر في غاية القلة مع اضطرابه وتناقضه * فاذا عرف ذلك فما جاء به السمع من أمر المعاد قرره عليهم النظار بطريقين ﴿ أحدهما ﴾ ببيان الكلام الصريح في اثبات معاد الابدان وتفاصيل ذلك ﴿ والثاني ﴾ ان العلم بان الرسل جاءت بذلك علم ضروري فان كل من سمع القرآن والاحاديث المتواترة وتفسير الصحابة والتابعين لذلك علم بالاضطرار ان الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بمعاد الابدان وان القدح في ذلك كالقدح في انه جاء بالصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق ونحو ذلك والقرامطة الباطنية وهم من الفلاسفة أنكروا هذا وهذا وزعموا ان هذه كلها رموز واشارات الى علوم باطنة كما يقولون ان الصلاة معرفة أسرارنا والصيام كتمان أسرارنا والحج زيارة شيوخنا المقدسين ونحو ذلك مما هو مذكور في الكتب المؤلفة في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ولهؤلاء القرامطة صنفت رسائل اخوان الصفا وهم الذين يقال لهم الاسماعيلية لانتسابهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر

﴿ قال ابن سينا ﴾ كان أبي وأخي من أهل دعوتهم ولهذا اشتغلت بالفلسفة * وأما الفلاسفة الذين لم يدخلوا في القرمطة المحضة فهم لا ينكرون العبادات والشرائع العملية بل قد يوجبون اتباعها والعمل بها لا سيما من دخل منهم في التصوف او الكلام لكن منهم من يوجب اتباعها على العامة دون الخاصة أو يوجبها من غير الوجه الذى أوجبها الرسول كما يجوزون ان يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم من يأتي بشريعة أخرى ويقولون إن أحدهم يخاطبه الله سبحانه وتعالى كما خاطب موسى بن عمران ويعرج به كما عرج بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأمثال هذه المقالات التى كثرت لما ظهرت الفلسفة التى أفسدت طوائف من أهل التصوف والكلام

﴿ الفصل الرابع ﴾

انه اذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول مما ينكره بعض أهل البدع كعذاب القبر وسؤال منكر ونكير وكالصراط والشفاعة والحوض ونحو ذلك مما استفاضت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد يستدل عليه بدلائل من القرآن أيضا لكن ليس التصريح به في القرآن كالتصريح بالجنة والنار وقيام القيامة وحشر الخلق ولهذا لم ينكر القيامة ومعاد الابدان أحد من أهل القبلة وانكر هذه الامور التي جاءت بها الاحاديث المستفيضة بل المتواترة عند علماء أهل الحديث طوائف من أهل البدع اما من المعتزلة واما من الخوارج واما من غيرهما

﴿ الفصل الخامس ﴾

ان هذا المصنف وأمثاله انما يذكرون الايمان بالسمعيات على طريق الاجمال وأما العلم بتفصيل ذلك فانما يعرفه من عرف الاحاديث الصحيحة في هذا الباب وما جاء في ذلك من آيات القرآن الكريم وتفسيرها الثابت عن الصحابة والتابعين ونحوهم

﴿ الفصل السادس ﴾

انه اذا علم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله وأن الله تعالى مصدقه في قوله اني رسول الله اليكم فالرسول هو المخبر عن المرسل بما أمره أن يخبر به علم بذلك انه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى اذ الكاذب فيما يخبر به ليس برسول في ذلك كما أن الذي لم يرسل بشيء قط هو كاذب في كل ما يخبر به عمن زعم انه أرسله بالامر كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم اذا حدثتكم عن الله فلن أكذب على الله وكما يعلم انه صادق في قوله ﴿ اني رسول الله اليكم ﴾ يعلم انه صادق في قوله ان الله تعالى يقول لكم كذا ويأمركم بكذا فتكذيبه في هذا الخبر المعين كتكذيبه في الاخبار باصل الرسالة والطرق التي بها يعلم صدقه في المطلق يعلم بها صدقه في المعين واولى فان مادل على الصدق في كل مايخبر عن الله كل على الصدق في هذا الخبر المعين كالمعجزة وان المعجزة دلت على صدقه في دعواه ودعواه اني صادق على الله فيما اخبر به عنه لم يدع الصدق عليه في بعض الامور التي يخبر بها عنه دون بعض بل قال الله فيما أخبر به عنه (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقال تعالى (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشإ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) * وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا أو بدله قل مايكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون) وقال تعالى (وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا * ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لاأقول على الله الا الحق) والرسول الذي يكذب على مرسله مثل الذي يكذب في أصل الرسالة والله تعالى عالم بحقائق الامور فلا فرق بين اظهار

المعجز على يد من يكذب في أصل الرسالة أو يكذب فيما يخبر به عن مرسله

﴿ الفصل السابع ﴾

انه اذا ثبت صدقه في كل ما يخبر به عن الله تعالى فمما أخبر به عنه القرآن فانه قد علم بالاضطرار انه بلغ القرآن عن الله سبحانه وأخبر أن القرآن كلام الله لا كلامه ومما أخبر به الله في القرآن ان الله أنزل عليه الكتاب والحكمة وانه أمر أزواج نبيه عليه الصلاة والسلام أن يذكرن مايتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة وانه امتن على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة

﴿ ومن المعلوم ﴾ أن مايذكر في بيوت ازواج النبي صلى الله تعالي عليه وسلم اما القرآن وإما مايقوله من غير القرآن وذلك هو الحكمة وهو السنة فثبت ان ذلك مما أنزله الله وأمر بذكره * وقد أمر الله تعالى بطاعته فى القرآن في آيات كثيرة وقال (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال عز وجل (والنجم اذا هوي * ماضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوي * ان هو الا وحي يوحي) وقال سبحانه وتعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فهذا وأمثاله يبين أن الله عز شأنه أوجب اتباعه فيما يقوله وان لم يكن من القرآن وأيضا فرسالته اقتضت صدقه فيما يخبر به عن الله تعالى من القرآن وغير القرآن فوجب بذلك تصديقه فيما أخبر به وان لم يكن ذلك من القرآن والله سبحانه أعلم * والحمد لله والصلاة على خاتم رسل الله محمد وآله وصحبه أجمعين

﴿ ترجمة المصنف منقولة من طبقات الخضيري بخط المؤلف ﴾

هو محمد بن محمود بن محمد بن عبد الكافي الاصفهاني شمس الدين الامام العلامة الفقيه الاصولى المتكلم النحوي أبو عبد الله مولده باصفهان سنه ٦١٦ وكان والده نائب السلطنة باصفهان * واشتغل باصفهان بجملة من العلوم فى حياة ابيه بحيث انه تعين ومات نظراؤه * ثم لما استولى العدو على اصفهان رحل الي بغداد واخذ في الاشتغال في الفقه على الشيخ سراج الدين الهرقلى وبالعلوم على الشيخ تاج الدين الارموى * ثم ذهب الى الروم الى الشيخ اثير الدين الابهري فاخذ عنه الجدل والحكمة واتقن هذه العلوم على طريقة العجم ودخل الى هذه البلاد وسمع الحديث بحلب من

طغربك بن عبدالله الحسني وغيره ودخل الى دمشق بعد الخمسين وستمائة وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله* ثم انتقل الى القاهرة واشتهر بها امره وتولى قضاء قوص مدة ثم قضاء كدك ثم رجع الى القاهره ودرس بها بالمشهد الحسيني ثم بقبة الامام الشافعي وصنف التصانيف الحسنة التي منها شرح المحصول* وهو حافل كبير مات ولم يكمله سماه الكاشف عن المحصول وكتاب القواعد في العلوم الاربعة* الاصلين والخلاف والمنطق* قال الشيخ تاج الدين الفزارى صنف كتابا سماه القواعد فيه مقدمة في اصول الفقه ومقدمة في اصول الدين ومقدمة في المنطق ومقدمة في الجدل وأراد ان يجعل فيها شيأ من الفروع فلم يطق لانه لم يكن متبحرا في المذهب سمعت انه علق من كتاب الطهارة الى آخر كتاب الحيض ووقف وله كتاب غاية المطلب في المنطق وشرح الحاجبية في النحو شرحا طولا وغير ذلك وتخرج به طلبة مصر وناظر الفقهاء واشتهرت فضائله وانتهت اليه الرياسة في أصول الفقه وكانت له يد باسطة في النحو والادب* ذكره الشيخ تاج الدين الفركاح وقال لم يكن في زمانه مثله في علم الاصول* دخل حلب وناظر فقهاءها وأقروا بغزارة علمه وقال ابن الزملكاني اشتهر بعلم أصول الفقه واشتغل الناس عليه ورحل اليه الطلبة وكانت له يد في علم أصول الفقه والخلاف والمنطق وشرح المحصول شرحا كبيرا فيه نقل كثير لم يحتو كتاب على نقله لكنه اذا انفرد بسؤال وجواب كان فيه ضعف وله في المنطق كتاب سماه غاية المطالب وكان قليل البضاعة في العلوم النقلية وقال الذهبي له يد طولى في العربية والشعر وتخرج به المصريون وقال الادفوى في البدر السافر كان متدينا عاقلا لبيبا صحيح المعتقد خرج من اصفهان شابا فاشتغل ببغداد وقدم الى مصر فولاه ابن بنت الاعز قضاء قوص فسار سيرة حسنة بشهامة وصرامة تعرض الحاجب بقوص في بعض الامور الشرعية فضربه بالدرة وكان اذا أخذ في الدرس لاينزعج ولايغضب* قال النور الاشناني قرأت عليه في الاصول ثم أردت ان اقرأ في المنطق فقال لا حتى تمتزج بالعلوم الشرعيات امتزاجا جيدا وكان أبو حيان يعظمه وكذا غيره حتى قالوا لم يرد من العجم الى مصر في تلك الاعصار اكمل منه ثم نقل عنه تصحيفات في القرآن وفي رجال الحديث* ثم قال له نثر حسن* مات في رجب سنة ٦٨٨ ودفن بالقرافه رحمه الله تعالى

فهرست شرح العقيدة الاصفهانية على وجه الاختصار

صحيفة

صحيفة

﴿تمت الفهرست﴾